# عَهْدُ الْإِمَامِ عَلِيٍّ لِلْأَشْتَرِ

## قانون حياة .. ودستور دولة

بقلم

د. الْمُرْتَضَى بنِ زَيْدٍ الْمَحَطْوَرِيِّ الْحَسَنِيِّ

مكتبة بدر للطباعة والنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

1435هـ - 2014م

صف وإخراج

يحي محمد حسن الجيوري

مكتبة بدر للطباعة والنشر والتوزيع

اليمن صنعاء.جولة تعز.غرب حديقة 26سبتمبر Sana'a Republic of Yemen

تلفون: ٢-٢٦٩٠٩١-٠٠٩٦٧١ Tel :009671-269091-2

فاكس: ٢٦٩٠٧٩-ص-ب: ٢٩١ Fax: 269079. P.O.Box 291 sana'a

www.almahatwary.org

info@almahatwary.org

dr.almahatwary@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

**كانت** أحوال المسلمين عندما كتب الإمام عليه السلام عهده للأشتر النخعي **تمرُّ** بمأزق خطر، **وتعيش** مرحلة انقسام: **بين** حَقٍّ يمثله الإمام علي عليه السلام، **وباطل** يمثله معاوية؛ **فوالده** أبو سفيان **كان** حامل لواء المشركين في معاركه ضد رسول الله، **وبجانبه** زوجه آكلة الأكباد هند بنت عتبة **وبنوه** وبنو أبيه- **يبغون** الإجهاز على النبي صلى الله عليه وآله والإسلام والمسلمين.

**فلما** أحبط الله مكرهم، **وَرَدَّ** كيدهم في نحورهم، **وانتصر** الإسلام عليهم بفتح مكّة - **أسلم** أبو سفيان أو استسلم على مَضَضٍ، **وكان** جَمْرَةُ بَنِيهِ مُعَاوِيَةَ؛ فوضعوا **كما** ظهر من سير الأحداث خطّة للثأر من رسول الله صلى الله عليه وآله **لكن** الثأر هذه المرة تحت راية رسول الله نفسه، وسيقودون المعركة باسم الله؛ **ولأنهم** لم يتمكنوا من النيل من رسول الله صلى الله عليه وآله **بعد** أن انقادت له العرب، وأظهر الله دينه- **جعلوا** هدفهم أحب الخلق إليه، وأقربهم منه، سيفه القاطع، وزنده القوي عليًّا عليه السلام، **وبدأت** ملامح التوصل إلى هدفهم **حين** وَلَّى عُمَرُ في بداية عهده يَزِيدَ بن أبي سفيان **وهو** من الطلقاء على فلسطين، **ثُمَّ** وُلِّيَ دِمَشْقَ وَخَرَاجَهَا **بعد** أن وَلَّاهُ أبو بكر قيادة جيشٍ، **وكان** أخوه معاوية تحت إمرته، **وَلَمَّا** وُلِّيَ عمر **جعل** معاوية وَالِيًا على الأردن، **وبعد** موت يزيد **تَوَلَّى** معاوية الإمارة من تلقاء نفسه بَدَلًا عنه، **وَأَقَرَّهُ** عمر.

**وقد** أُثِرَ أَنَّ عمر كان يتغاضى عن معاوية **ولم** يكن يحاسبه **كما** كان يحاسب عُمَّالَهُ الآخرين![1] **رُبَّمَا** لأن معاوية بدهائه أظهر الطاعة المطلقة لعمر؛ **فكان**

---

(1) **قد** نقل أن عمر قاسم عماله أموالهم، ولم ينقل أنه قاسم معاوية. ينظر: العقد الفريد 1/ 46، و فتوح البلدان 307. **وهذه أمثلة** من تسامح عمر وتغاضيه عن معاوية: **المثال الأول: أنه كان** يرزق معاوية ألف =

أطوع له من بنانه، **وأذل** من يَرْفَا غلامه -**كما** قال الإمام علي، **ولما** جاء عثمان **وهو** من بني أمية **جمع** لمعاوية الديار الشامية كُلَّهَا التي هي اليوم: «سوريا، ولبنان، وفلسطين، والأردن؛ **ولا** يبعد أن الشام امتدت إلى أجزاء واسعة من جنوب تركيا - **ولا** سيما لواء الإسكندرونة»، **وجعل** ولاة الأمصار تابعين له! **فكان** هو الحاكم الفعلي أيام عثمان، **وصارت** الشام الكبرى **مزرعة** أموية خالصة يَعُدُّ فيها مُعَاوِيَةُ الْعُدَّةَ للانقضاض على الخلافة؛ **فاصطنع** الرجال، **وزرع** الولاء

---

دينار في كل شهر. الاستيعاب 3/ 471. **بينما** كان يرزق عمرو بن العاص 200دينار، وسلمان الفارسي5000درهم، **وقيل:** غير ذلك. تأريخ دمشق 59/ 112، وسير أعلام النبلاء 3/ 133، وتأريخ الإسلام (حوادث41-60هـ) ص310، والبداية والنهاية 8/ 133. **المثال الثاني: قال عمر** حين دخل الشام ورأى معاوية: هذا كسرى العرب؟ **وكان** قد تلقاه معاوية في موكب عظيم، **فلما** دنا منه **قال له**: أنت صاحب الموكب العظيم؟ **قال:** نعم يا أمير المؤمنين، **قال:** مع ما يبلغني عنك من وقوف ذوي الحاجات ببابك؟! **قال:** مع ما يبلغك من ذلك! **قال:** ولم تفعل هذا؟ **قال:** نحن بأرضٍ جواسيسُ العدوِّ بها كثيرة؛ **فيجب** أن نظهر من عز السلطان ما نرهبهم به، فإن أمرتني فعلت، وإن نهيتني انتهيت؛ **فقال عمر لمعاوية**: ما أسألك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس، **إن** كان ما قُلْتَ حقًّا إنه لرأيُ أريب، **وإن** كان باطلاً إنه لخدعة أديب، **قال:** فمرني يا أمير المؤمنين. **قال:** لا آمرك ولا أنهاك!؛ **فقال عمرو بن العاص:** يا أمير المؤمنين ما أحسن ما صَدَرَ الفتى عما أوردته فيه! **قال:** لِحُسْنِ مصادره وموارده جشمناه ما جشمناه! الاستيعاب 3/ 471، وسير أعلام النبلاء 3/ 133، وتأريخ دمشق 95/ 112-113، والبداية والنهاية 8/ 133. **المثال الثالث: ذُمَّ** معاويةُ عند عمر يومًا، فقال: دعونا من ذم فتى قريش، مَنْ يضحك في الغضب، ولا يُنَالُ ما عنده إلا على الرضا، ولا يؤخذ ما فوق رأسه إلا من تحت قدميه! الاستيعاب 3/ 472 ترجمة معاوية، وتأريخ دمشق 56/ 112، والبداية والنهاية 8/ 133.

**المثال الرابع: تساهل** معه في قضية الربا التي حصلت له مع عبادة بن الصامت الأنصاري النقيب صاحب رسول الله ﷺ لَمَّا غزا مع معاوية أرض الروم، فنظر إلى الناس وهم يتبايعون كِسَرَ الذهب بالدنانير، وكسر الفضة بالدراهم، **فقال:** يا أيها الناس، إنكم تأكلون الربا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تبتاعوا الذهب بالذهب إلا مثلًا بمثل، لا زيادة بينهما ولا نَظِرَةً» **فقال** له معاوية: يا أبا الوليد، لا أرى الربا في هذه إلا ما كان نَظِرَةً، **فقال عبادة**: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتحدثني عن رأيك! لئن أخرجني الله لا أساكنك بأرض لك علي فيها إمرة! **فلما** قَفَلَ لحق بالمدينة، **فقال** له عمر بن الخطاب: ما أقدمك يا أبا الوليد؟ فقص عليه القصة، وما قال من مساكنته، **فقال:** ارجع يا أبا الوليد إلى أرضك، فقبح الله أرضًا لست فيها وأمثالك، **وكتب إلى معاوية**: لا إمرة لك عليه، واحمل الناس على ما قال؛ فإنه هو الأمر. **هذا** لفظ ابن ماجة 1/ 8 رقم18، ونحوه في المستدرك 3/ 355، وتأريخ دمشق 26/ 195، وأصله عند مسلم 3/ 1210 رقم1587.

في صدور الشاميين لبني أمية ولنفسه خاصة؛ **وكأنهم** لا ولاء لهم لوالي المسلمين الأكبر في المدينة **إلا** من خلال معاوية.

**وَلَمَّا** قُتِلَ عثمان بتواطؤ من معاوية؛ **إذ** لا ذريعة له ولا وسيلة إلى كرسي الخلافة غير دم عثمان؛ **وقد** وَجَدَ في قميصه الْمُلَطَّخِ بالدم بُغْيَتَهُ للمطالبة بدمه، وَهَيَّأَ الشام لحربٍ ضَرُوسٍ.

**فَلَمَّا** تولّى الإمام علي عليه السلام **وأراد** اقتلاع الشجرة الخبيثة **لم** يتمكن من ذلك؛ **لأن** عروقها قد كانت تغلغلت في تخوم الأرض؛ **فرفض** معاوية العزل، **وَظَلَّ** يراوغ ويطالب بِقَتَلَةِ عثمان أَوَّلًا، **واتهم** الإمام عليًّا عليه السلام بالتستر عليهم وحمايتهم، **وساعده** خروج عائشة وطلحة والزبير في حرب شرسة سُمِّيَتْ بحرب الجمل **أَضَرَّتْ** بالإمام علي عليه السلام كثيرًا وأنهكت قواه حتى وإن انتصر.

**وهناك** من ولاة عثمان الذين أراد الإمام عليٌّ عليه السلام خلعهم لشكوى الناس من فسادهم؛ **ولأنهم** سبب النقمة على عثمان، **وهم:** عبد الله بن عامر في البصرة، ويعلى بن مُنْيَةَ في اليمن، وخالد بن أبي العاص بن هشام في مكة، وعبد الله بن أبي سرح في مصر: **فأمّا** عبد الله بن عامر فخرج من البصرة، **وأما** يعلى بن منية **فلحق** بطلحة والزبير في مكة **واشترك** معهما في حرب الجمل، **وأما** ابن أبي سرح **فقيل:** كان سائرا إلى عثمان **وَلَمَّا** علم بمقتله رجع نحو مصر **فوجد** محمد بن أبي حذيفة **قد** تغلب عليها **ومنع** ابن أبي سرح من دخولها؛ **فتحول** إلى فلسطين.

**لم تُسْعِفِ** الظروفُ الإمامَ عليًّا عليه السلام في تطبيق سياسته الصارمة في لَجْمِ أصحاب الدنيا الذين أَثْرَوْا ثَرَاءً فَاحِشًا على حساب الفقراء.

**وكان** رَفْضُ الإمام عليه السلام لتولية طلحة والزبير على الكوفة والبصرة، **ورفضه** الإبقاء على معاوية في الشام- **داخلًا** في الحد من تكديس الثروات الضخمة، وَالتَّطَلُّعِ إلى السلطة من أجل الوجاهة.

**وكان** عليه السلام يرى أن يُقْسَمَ المال بين الناس بالسوية؛ **فلا** فرق عنده بين سابق في الإيمان وتابع **فيما** يخص الحقوق التي تَضْمَنُهَا الدولة؛ **وإنما** الفضل وثواب السبق عند الله، **ولا** يُشْتَرَى بالمال؛ **فكانت** هذه الصرامة من أسباب حرب الجمل وصفين؛ **إذ** لم يُطِيقُوا خشونة الإمام علي عليه السلام، وزهده، ولبسه للخشن، وأكله لِلجَشِبِ! **إضافة** إلى الحسد الأصيل الذي حملته صدور قريش، والعداء الشديد الذي يختزنه معاوية أصالة ووراثة.

**وتوالت** المصائب على الإمام علي عليه السلام **بخديعة** معاوية وعمرو بن العاص لأصحابه **حين** رفعوا المصاحف **ودعوا** لتحكيم القرآن **حِينَ** أحسوا بالهزيمة الماحقة يوم صفين **فانخدع** الذين صاروا خوارج، **وتخادع** لفيف من المنافقين بقيادة الأشعث بن قيس ومن لا بصيرة له، **وناشدهم** الإمام بأن يواصلوا القتال، **وقال** لهم: «أَعِيرُونِي سَوَاعِدَكُمْ سَاعَةً؛ **فَقَدْ** بَلَغَ الْحَقُّ مَقْطَعَهُ، وَأَوْشَكَ أَنْ يَنْقَطِعَ دَابِرُ الْبُغَاةِ وَرُؤُوسِ الْفِتْنَةِ، **وَلَمْ** يَبْقَ فِيهِمْ إِلَّا كَلَعْقِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ».

**وقال** لهم علي عليه السلام كلمته الشهيرة: «هَذِهِ كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ! **وَاللهِ** مَا مُعَاوِيَةُ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَالْوَلِيدُ الْفَاسِقُ بِأَصْحَابِ دِينٍ وَلَا قُرْآنٍ؛ **لَقَدْ** قَاتَلْتُهُمْ عَلَى الْقُرْآنِ كَافِرِينَ، وَأُقَاتِلُهُمُ الْيَوْمَ عَلَى الْقُرْآنِ مَفْتُونِينَ» ! **فلم** يلتفتوا لقوله، **ولا** أصغوا لنصحه؛ **فاستشهد** بقول دريد بن الصمة- **وهو** مغيظ محنق، **قد** شحنوا صدره الطاهر غيظًا، وملؤوا قلبه الكبير النقي قيحًا:

**أَمَرْتُهُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى فَلَمْ يَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلَّا ضُحَى الْغَدِ**

**في** ظل هذه الظروف، **ونظرًا** للعلم الذي حواه فؤاد الإمام، **وسابقته** في الإسلام، **وقربه** من الرسول الكريم ﷺ، **ومعايشته** الطويلة لدول الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه، **وما** عاناه الرعية من ولاة عثمان- **فقد** حرص الإمام على أن يكون عهده للأشتر بمثابة **دستور** يمشي عليه الولاة؛ **حاويا** نصائح تمنع من الوصول

بأمور الدولة إلى ما وصلت في عهد عثمان؛ **فحث** ولاته على اتباع سياسة **تضمن** إيصال حقوق الرعية، **وإدارة** شؤونهم ببراعة، **ورعاية** مصالحهم بأمانة **واستقامة** على الدوام، **والسماع** لشكواهم بدون ضجر، **وإنصاف** مظلومهم على قاعدة: ضَعِيفُكُمْ عِنْدِي قَوِيٌّ حَتَّى يُؤْخَذَ الْحَقُّ لَهُ، وَقَوِيُّكُمْ ضَعِيفٌ حَتَّى يُؤْخَذَ الْحَقُّ مِنْهُ.

**وَحَدَّدَ** واجبات الوالي، ومهامه الأساسية، والخطوط العريضة التي توصله إلى تطبيقها، **وعَرَّفَ** وُلَاتِهِ وَالْأُمَّةَ جمعاء بطبقات المجتمع، **وكيفية** التعامل مع كل طبقة منها؛ **مُذَكِّرًا** في كل حال بمسؤولية الوالي أمام الله، **ومخوفا** إياه منه، **ومرغبا** إياه فيما عنده.

## أهمية عهد الإمام علي للأشتر:

**إن** هذا العهد يكشف **عن** علم أمير المؤمنين الواسع **في** جميع العلوم: السياسية، والعسكرية، والإدارية، والاجتماعية، والأخلاقية، **وعن** خبرته المتقادمة، والمتراكمة، ورؤيته الثاقبة؛ **لما** يمكن أن تؤول إليه أمور الناس **لو** سارت على نمط يخدم مصالح الولاة، **ويجعل** من الرعية قطعان ماشية: يذبح الوالي ويحلب؛ **لقد** أدرك الإمام أن المشكلة المرعبة **هي** جشع الولاة، واستبدادهم، وانقطاع علاقتهم بالله؛ **فلا** يخافونه **ولا** يستحيون منه؛ **فقد** وصلت ثروة البعض في عصر ما بعد النبوة **إلى** أن خَلَّفُوا جِبَالًا من الأموال، **وفي** عصرنا وصل الجشع **إلى** سرقة المئات من مليارات الدولارات، وأطنان الذهب، **ونحو** ذلك مما هو أغرب من الخيال.

**ونظرًا** لأهمية هذا العهد؛ **فقد** لاقى اهتمامًا من العلماء والمفكرين، وشرح وترجم إلى عدة لغات.

**وَلَمَّا** رأيت **عدم** الفارق بين اليوم والأمس **من** تَحَكُّمِ الوالي وأقاربه وخاصته على رقاب الناس وأقواتهم ومصالحهم، واستهتارهم بإنسانيتهم وكرامتهم، وتعطيلهم للأنظمة الانتخابية، والتفافهم على الدساتير التي كتبوها بأيديهم، واستفرادهم

بالثروة والسلطة، **وإذا** أعطى أحدهم بعض الحق لرعيته **سماه** مَكْرُمَةً.

**ورأيت** ثورة الشعوب العربية ضد تلك الأنظمة القمعية البوليسية ومطالبتهم بحقوقهم المشروعة- **تَذَكَّرْتُ** ما دفع بالمصريين في باكورة العهد الإسلامي للثورة ضد الخليفة ومعهم العراقيون والكثير من الصحابة في المدينة المنورة- **وإذا** بالأسباب الماضية **هي** ذات الأسباب اليوم **التي** دفعت بالشباب إلى الساحات في كل البلدان **مع** الاختلاف **في** أسماء الولاة، **وكميات** الأموال، **وحجم** الاستعباد والانتهاك.

**إن** عهد الإمام للأشتر **بمثابة** ثورة أعادت للإسلام اعتباره، **وَقَلَّمَتْ** للطامحين الطامعين أبناء الدنيا أظافرهم؛ **هذا** العهد النفيس **خلاصة** ثلاث وثلاثين سنة من التلمذة على يد خير خلق الله، وسيد رسل اللهﷺ، وأعقل وأذكى بني آدم محمد رسول اللهﷺ؛ **لقد** خرج من قلبٍ وعقلٍ وفمٍ أنبغ وأذكى وأزكى وأنقى رجل عَرَفَتْهُ الدنيا من اتباع الرسل؛ **ولا غرابة** أن يصدر عنه عهده الشهير **لأنجب** تلاميذ الإمام، **وأعز** رجاله، **وأوفى** أبطاله، **وأخلص** أصحابه، **وأنقى** أشياعه الذي تلقى دروس التنمية البشرية الراقية على يد الإمام عليعليه السلام **كما** تلقاها الإمام من رسوله، **وتلقفها** الأشتر بنفس الشغف والحب، والإصرار والعزم على بلوغ الهدف الأعلى والوصول إلى القمة، **وَظَفِرَ** رضوان الله عليه بما أراد، **ومنحه** الإمام سلام الله عليه أعلى وسام تقلده مجاهد؛ **فقال** فيه: «رَحِمَ اللهُ مَالِكًا؛ كَانَ لِي كَمَا كُنْتُ لِرَسُولِ اللهِ»! **وهي** كلمة تغني عن أسفار من الثناء، ومجلدات من المناقب.

**ولمكانة** الأشتر الرفيعة لدى الإمام التي لا يشاركه فيها من أنصاره الكبار **إلا** قيس بن سعد بن عبادة؛ **فأحد** هذين العملاقين **هو** القادر على استعادة مصر من براثن معاوية! **ولمثل** الأشتر **أو** زميله قيس **يكتب** هذا العهد الرائع الشامل

لإدارة شؤون الحياة.

**أودع** فيه من قواعد فن التعامل مع الناس، وكيفية إدارة شئونهم **مَا** يجعل فلاسفة الدنيا، وعباقرة العالم، وعظماء قادة العالم **يُطَأْطِئُونَ** له جباههم مع بيان ساحر، وعبارات أَخَّاذَةٍ، وبلاغة **لا** يقدر عليها **إِلَّا** مَنْ نشأ في أسرة اختارها الله للرسالة، واصطفاها للهداية، **وَمَنْ** يرقى إلى مستوى ابن القرآن، وعين عيون بني هاشم الذين هم عيون قريش الذين هم عيون العرب؟!

**إنه** ﷺ أفصح العرب بعد رسول اللهﷺ **أما** إذا تطابق القول والعمل، **وكان** كرسول الله قرآنًا يتحرك؛ **فقد** وصل الغاية؛ **إذ** أجهد ﷺ في سبيل الخير نفسه، **وأعجز** بِبُعْدِ همته، وسمو قدره، وعلو شأنه من يأتي بعده؛ **إنه** ﷺ كما وصفه رسول اللهﷺ: مخشوشن في ذات الله.

**قَدْ حَالَفَ الْحَقَّ لَا يَبْغِي بِهِ بَدَلًا فَأَصْبَحَ الْحَقُّ بِالْإِيمَانِ مَقْرُونَا**

**تَفَوَّقَ** على شهوته، **وَطَوَّعَ** لما يريد نفسه؛ **وقال:** «وَاللهِ لَأُرَوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهُشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ لَوْ وَجَدَتْهُ مَأْدُومًا»! **وأي** زعيم في التأريخ بعد الأنبياء طلق الدنيا ثَلَاثًا، **وقال** للذهب والفضة المعدنين النفيسين السالبين للعقول: يا صفراء ويا بيضاء غُرِّي غيري إلا الإمام عليﷺ!.

**حَقًّا** هذا هو الإمام القدوة الذي يستطيع **أن** يصوغ مثل هذا العهد المدهش في بلاغة صياغته، وسعة أفقه، وشمول علومه لجميع الطبقات، وإحاطته بحاجات كل الفئات؛ **لأنه** ينطق بلسان الوحي الإلهي، **ويفكر** بعقلٍ استوعب الهَدْيَ الرباني، **واختزن** شارد ووارد ما أتى به رسول اللهﷺ؛ **وقد** عَبَّرَ عن ذلك بقوله: عَلَّمَنِي رسول الله ألف باب من العلم فتشعب لي في كل باب ألف باب. **وهذا** تعبير عن كثرة أبواب العلوم والمعارف التي ألقاها إليه رسول اللهﷺ، وليست محددة بألف؛ **وإنما** هو أسلوب عربي معروف، **قال** تعالى: ﴿**فِي سِلْسِلَةٍ**

ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾[الحاقة:32]؛ **فليس** المراد أن السلسلة لا تزيد ولا تنقص؛ **وإنما** المعنى أنها كافية لإرهاق مَنْ يُكَبَّلُ بها.

**وكما** تقول: ألف مرحب، وألف مبروك؛ **فالمعلوم** أن العظماء وعقلاء البشر **لا** يضيعون فرصة **ولا** لحظة، **ولا** يتركون الوقت يمر سدى.

**وقد** أمرنا الله تعالى باتباع النبيﷺ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر:7] **وجعله** الله نبراسًا لأمته وقدوة وأسوة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[الممتحنة:6]، **وأوصانا** رسول الله أن نتمسك بعده بحبلين اثنين: كتاب الله، وعترته أهل بيته.

**وما** دام العمل في الإسلام **مَرْبُوطًا** بالأجر ونعيم الجنة حتى وإن كان كَسْبَ العيش – **فهذا** من أعظم المحفزات على الجد والتشمير.

**فينبغي** لمن يريد الاستفادة منه **أَنْ** يقف عند كل كلمة، **ويتريث** مُتَأَمِّلًا عند كل فقرة؛ **فإنه** على رأس كنز **لا** يُقَدَّرُ بثمن، **ولا** تُدْرَكُ له قِيمَةٌ، **ولا** يَعْرِفُ نَفَاسَتَهُ وقَدْرَهُ **إلا** أولوا الألباب، **يَدُلُّكَ** ذلك على عمق ما حواه، وصرامة وجلالة من وُلِّيَ مصر.

**أما** من يقرأه بعجلة وطيش؛ **فإنما** هو كالغيث ينزل على سباخ؛ **وَمَنْ** وَضَعَ الْعِلْمَ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ **فَقَدْ** ظَلَمَهُ؛ **فَأُهِيبُ** بأهل العزائم والهمم، **وفي** مقدمتهم المجاهدون لأنفسهم وللظلم والظالمين، والباذلين أنفسهم لإسعاد الناس– **أَنْ** يجعلوا من هذا العهد **نَبْضَ** قلوبهم، **ودَلِيلَ** حياتهم، **ولا سيما** مَنْ قُدِّرَ لَهُ أن يقود مجتمعًا، **أو** يأمر بمعروف ، **أو** ينهى عن منكر، **أو** يتحمل مسؤولية.

**وها أنا** ذا أقدم للقارئ الكريم تعليقات سريعة مستعينًا بشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد أهم شروح النهج، **وبالديباج** الوضي للإمام يحيى بن حمزة، **وإرشاد** المؤمنين إلى معرفة نهج البلاغة المبين للسيد يحيى بن إبراهيم جحاف، **وفي** ظلال نهج البلاغة لمحمد جواد مغنية، **وغيرهم** في ذكر بعض الحكايات

التي تناسب الموضوع. **علمًا** أن كلام الإمام أجلى من الشمس، وأوضح من النهار، **ولم** أفعل سوى التبرك بتقديمه ببعض التعليقات السهلة.

**وأسأل** الله أن أكون قد وُفِّقْتُ، **وأن** يكون خالصًا لوجهه الكريم؛ **لينال** الرضى والقبول، وحسبنا الله ونعم الوكيل،،،

## ترجمة مالك الأشتر رضي الله عنه:

هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن خزيمة بن سعد بن مالك بن النخع، **من** قبيلة "مذحج"، **من** كبار التابعين، **ومن** سادات المجاهدين، **شديد** الولاء لأولياء الله، **ثقيل** الوطأة على أعداء الله، **من** أهل الكوفة، **شهد** مشاهد علي كلها: الجمل، وصفين.. **وكانت** لضرباته الفتاكة بجوار الإمام علي **أثرًا** حاسمًا في هزيمة الأعداء، **وكان** رئيس قومه، **وله** بلاء حسن في وقعة اليرموك، **وفيها** شُتِرَتْ عينه [استرخى جفنها]. **وقيل**: شُتِرَتْ في حروب الردة مع أبي مسكة الأيادي؛ **ولهذا** لُقِّبَ بالأشتر، **وقيل**: لُقِّبَ بذلك نسبة لأحد أجداده.

**وكان** من المستنكرين لمخالفات عثمان.

**وَلَّاه** الإمام عَلِيٌّ على مصر، **فلما** كان في الطريق إليها **دَسَّ** له معاوية عسلا مسمومًا سنة 37هـ! **وقد** حزن الإمام علي عليه السلام حزنًا شديدًا.

**إن** القلم ليعجز عن كتابة كلمات تُنْصِفُ طَودًا شامخًا **نذر** نفسه للحق، **ووهب** روحه لله، **إنه** فارس قحطان وعدنان **بعد** أمير المؤمنين علي عليه السلام.

**وَيُعَدُّ** رحمه الله من رؤساء الشيعة وأكابرها وعظمائها، **شديد** التحقق بولاء أمير المؤمنين عليه السلام ونصره؛ **وكان** شديد البأس، جوادًا، رئيسًا حليمًا فصيحًا شاعرًا، **وكان** يجمع بين اللين والعنف؛ **فيسطو** في موضع السطوة، **ويرفق** في موضع الرفق، **وكان** محل ثقة الإمام.

**وقد** خاطب عاملين وَلَّاهُ عليهما [النهج:549]: «**وَقَدْ** أَمَّرْتُ عَلَيْكُمَا **وَعَلَى** مَنْ فِي

حَيِّزِكُمَا **مَالِكَ** بْنَ الْحَارِثِ الأَشْتَرَ؛ **فَاسْمَعَا** لَهُ وَأَطِيعَا، وَاجْعَلَاهُ دِرْعًا وَمِجَنًّا؛ **فَإِنَّهُ** مِمَّنْ لَا يُخَافُ وَهْنُهُ، **وَلَا** سَقْطَتُهُ، **وَلَا** بُطْؤُهُ عَمَّا الْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ، **وَلَا** إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُطءُ عَنْهُ أَمْثَلُ»؛ **ولمكانته** الكبيرة والأثيرة لدى الإمام علي؛ **فقد** كان معاوية **يَقْنُتُ** بلعن خمسة، **وهم**: علي، والحسن، والحسين -عليهم السلام- وعبد الله بن العباس، والأشتر. **وفي** جانب معاوية خمسة **كان** الإمام علي يعتبرهم رأس الشر، ويلعنهم **وهم**: معاوية، وعمرو بن العاص، وأبو الأعور السلمي، وحبيب بن مسلمة، وبسر بن أرطاة.

**والأشتر** رضي الله عنه جدير بكتاب مستقل ؛ **أسأل** الله أن يشرفني بإتمامه ، بعنوان: «رجال حول علي عليه السلام».

**ويكفيه** في هذا المقام **هذا** العهد نفسه؛ **فمكانته** الرفيعة في قلب الإمام **تسببت** في فتح باب مدينة العلم على مصراعيه ، **ويكفيه** في لوحة المجد **قول** الإمام علي عليه السلام: «كَانَ لِي كَمَا كُنْتُ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله»!

**وعند** هذه الكلمة **أتوقف** احترامًا وإجلالًا لها[1].

(1) شرح نهج البلاغة4/ 538، وطبقات ابن سعد 6/ 213، وتهذيب الكمال 27/ 213، وأعيان الشيعة9/ 40.

# عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه

**لَمَّا وَلَّاهُ على مصر وأعمالها حِينَ اضْطَرَبَ أَمْرُ أَمِيرِهَا محمد بن أبي بكر، وهو أَطْوَلُ عَهْدٍ كَتَبَهُ، وَأَجْمَعُهُ للمحاسنِ.**

**قد** كان وَلَّى أميرُ المؤمنين عليه السلام قَيْسَ بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري على مصر، **وكان** حازمًا، شجاعًا، كريمًا، ذكيًّا؛ **فكان** أثقل خلق الله على معاوية وعمرو بن العاص؛ **لقرب** مصر من الشام، **وَخَوْفًا** أن يأتيهما قيس بجيش مصر؛ **فَأَعْمَلَا** حِيلَتَهُمَا وأشاعا بين أهل الشام **أَنَّ** قيس بن سعد يعمل معهما سرا، **وأنه** قد بايع معاوية! **فبلغ** الخبر أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة؛ **فقال**: والله إني غير مصدق بهذا على قيس! **ثم** رأى أن يعزله ويولي مكانه محمد بن أبي بكر؛ قَطْعًا لألسنة الناس؛ **فقد** كثرت الأصوات المنادية بعزل قيس من أصحاب الإمام المخلصين؛ **لاسيما** وأن قيسًا **لم** يقاتل قَوْمًا كانوا قد امتنعوا من بيعة الإمام علي ممن يسمون بالعثمانية، **لكنهم** في نفس الوقت التزموا الحياد.

**وَلَمَّا** وصل محمد بن أبي بكر إلى مصر **طلب** من القوم البيعة والدخول في الطاعة أو الخروج من البلاد- **فأبوا** حتى يستبين أمر عليٍّ ومعاوية، **وَلَمَّا** عَلِمُوا بأمر التحكيم، **وما** نتج عنه، ورجوع علي عليه السلام بجيشه إلى العراق- **اجترأوا** على محمد بن أبي بكر، وأعلنوا له عن سوء نيتهم؛ **فدخل** معهم في قتال، **وفي** تلك الأثناء ظهر معاوية بن حُدَيْجٍ[1] من السكاسك **يدعو** إلى الطلب بدم عثمان، **وأمدهم** معاوية بجيش بقيادة عمرو بن العاص؛ **فَقُتِلَ** محمد بن أبي بكر رحمه الله، وأدخلوه في جلد حمار وأحرقوه؛ **ففسد** حينئذ أمر مصر، **ووصلت** الأخبار إلى أمير المؤمنين في الكوفة؛ **فقال**: ما أرى لمصر إلا أحد الرجلين: صاحبنا الذى عزلنا

(1) الكندي، شهد صفين مع معاوية، **وهو** الذي قتل محمد بن أبي بكر ووضعه في جيفة حمار وأحرقه. الأعلام للزركلي 7/ 260.

بالأمس - **يعني** قيس بن سعد بن عبادة- **أو** مالك بن الحارث الأشتر، **ووقع** اختياره أخيرًا على مالك الأشتر **وكتب** له هذا الكتاب، **وهو** دستور دولة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى.

**ولو لم تكن** إلا الديباجة الجامعة لبناء الدولة، المانعة من شتاتها **لاكتفينا** بها.

## أهداف الحكم الإسلامي

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُاللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ:**

**جِبَايَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا.**

**بدأ** الإمام علي عليه السلام **بتحديد** السلطات التي أسندها لواليه، **متمثلة** بأربع سلطات أساسية، **يدخل** تحتها مسئوليات ومهام الحكومة: **سواء** منها ما كان يحمل الطابع السيادي: كالمالية، والدفاع، والأمن. **أو** ذات الطابع الخِدْمِيّ: كالتعليم، والصحة، والمواصلات، والقضاء. **أو** الاقتصادي: كالزراعة، والخراج. **أو** ذات الطابع السياسي: كالعلاقات الخارجية، والشورى، وغيرها من الأمور التي ستتضح من خلال قراءة بقية العهد، **والسلطات الأربع هي:**

1- **جِبَايَةُ خَرَاجِهَا:** وهذه هي الوظيفة المالية، **وهي** وسيلة لإيجاد التوازن الاجتماعي؛ **من** خلال أخذ الزكاة ونحوها من الموارد من القادرين وصرفها في مصارفها.

2- **جِهَادُ عَدُوِّهَا:** ويتم ذلك من خلال بناء جيش قوي، محترف، نموذجي، مخلص لله لجهاد الأعداء، **لا** لقمع الحريات، **وإيذاء** الشعوب.

3- **اسْتِصْلَاحُ أَهْلِهَا:** وذلك يتم بالتعليم، والتثقيف منذ الصغر، وَغَرْسِ قِيَمِ الحب، والخير، واحترام الحياة، والتربية على النظافة، والنشاط.

**ومما** يصلح البلاد والعباد **فَصْلُ** الخصومات بالقضاء العادل، والأمن.

**وقد** وجدنا هذه العناوين **التي** أشار لها الإمام **مُطَبَّقَةً** في البلدان المتقدمة؛

**فحياة** رسول الله ﷺ **ما** عدا الإسلام ماثلة عندهم؛ **أقول هذا** وقلبي يتمزق حسرة على الوضع المتدهور البالغ السوء الذي انحدر إليه الناس في البلدان المتخلفة.

**وأول** ما يتبادر إلى الأذهان لدى علماء الاقتصاد والمهتمين برفاهية البلاد والعباد **هو** بناءُ بُنْيَةٍ تحتيةٍ قويةٍ.

**وَأَهَمُّ** ملامح هذه البنية **التَّعْلِيمُ** الراقي المتطور في كافة فروع المعرفة؛ **فعندما** يتوفر لأي بلد عباقرةٌ أفذاذٌ، وعلماءُ راسخون كبار - **فستنهض** كما نهض نمور آسيا، **وكما** نهضت ألمانيا من بين الرماد وصارت عملاقًا اقتصاديًّا مَهِيبًا؛ **فإذا** أردنا النهوض -ولا بد منه- **فيجب** أن نوكل إلى علماء الشريعة والتراث الإسلامي العربي **شُؤُونَ** التعليم، والقضاء، والتوجيه والإرشاد. **ونُوكِلُ** إلى الأطباء **ما** يتعلق بشؤون الطب ونهضته، **وهكذا** علماء الفيزياء، والرياضيات، والهندسة، والفلك، والطبيعيات، وشؤون الكمبيوتر، والشؤون الصناعية والحربية، ونحو ذلك من علوم العصر **مع** التنسيق التام بين العلماء **من** كافة التخصصات؛ **فمن** الصواب والخير **أَنْ** يجتمع واضعوا السياسات، وراسموا المشاريع؛ **ليتبادلوا** الرأي؛ **فلا** غنى لأي تخصص عن التخصص الآخر؛ **فمن** المعلوم أني حين أكتب هذا الكلام **تشاركني** فيه القافلة البشرية: من مخترع الورق، والكهرباء، والحبر، **ويشاركني** الحداد، والنجار، وكل المهن، **وَكُلُّ** التجارب لها دخل بصورة مباشرة أو غير مباشرة؛ **فلست** وحدي بالقادر أن أعمل شيئا بمفردي؛ **فالمجتمع** في شتى جوانبه واحتياجاته يُشْبِهُ الإنسان جَسَدًا وَرُوحًا؛ **وقد** أحسن التشبيه **نَبِيُّنَا** الأعظمُ ﷺ:«الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»[1]، و«كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى»[2]؛ **وَقَبْلَ** هذا كله **حَمَلَ** هذا الْعَهَدَ قَوَاعَدَ للتربية الأخلاقية، الإنسانية، **وحاول** بكل ممكن

(1) البخاري 1/ 182 رقم467 (ر)، ومسلم 4/ 1999 رقم2585، وأحمد 4/ 405 رقم19641(ر)، وغيرهم.
(2) البخاري 5/ 2238 رقم5665، ومسلم 4/ 1999 رقم 2586، وأحمد 4/ 270 رقم18398(ر).

أَنْ يَزْرَعَ أسس الرحمة، ومحبة الغير، **وَأَكَّدَ** وكرر **على** التقوى، والزهد، والقناعة، **وَكَبَحَ** جماح النفس، وقمع شهواتها؛ **فالإمام**ﷺ يريد للرئيس، والقاضي، والمفتي، والخطيب، والوزير، والمهندس وأمثالهم **أَنْ** يحملوا نقاءه، **وأن** يتحلوا بالورع عما حرم الله، والزهد، والعفة، والفطنة، والذكاء، والهمة، والنظرة الشاملة **التي** تحلى بها رسول اللهﷺ **وأهل** البيت **وكرام** الصحب **ومن** تبعهم بإحسان - **فإن لم** يفعلوا **فإنما** هم كارثة على الأمة، ووباء قاتل؛ **لأنهم** في مكان القدوة.

**ولابد** من التنويه **إلى** أن حملة الاختصاصات لا بد أن يتعلموا من علماء الشريعة، ورجال الدين؛ **فمنهم** يتعلم الآخرون هيبة الدين، والحلال والحرام، **ولو** في أدنى درجات التعليم، **وهو** القدر الواجب، **ومنهم** يتعلم الناس الإخلاص، وحب العمل، والإتقان، **كما** يجب على علماء الشريعة الإلمام بالقدر الواجب من العلوم الحديثة، **ويعرفوا** أن الله جل وعلا في خلقه عجائب وغرائب في السموات والأرض والنفس نبه عليها بقوله: ﴿**وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ**﴾[الذاريات:21]، ﴿**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ**﴾[آل عمران:191]؛ **فَمِنْ** غير اللائق **أن** يجهلوا على سبيل المثال **أَنَّ** العين لا يكفيها طبيب واحد، **بل** تحتاج لأكثر من عشرة تخصصات: «جفون- قرنية- قزحية: المختصة بلون العين- ضغط العين- عضلات العين المسئولة عن الْحَوَلِ- الشبكية **وهي** بطانة العين- أعصاب العين كلها-العدسة- الجهاز الدمعي- البصريات: الانكسار، النظارات».

**ومن المعلوم** أن الفتوى والقضاء حول الجنايات والأروش ونحوها- **لها** علاقة بتطور المعرفة والعلم الحديث؛ **فلم** نَعُدْ بحاجة لمسائل الخنثى المشكل، **ولا** تنتظر المعتدة التي انقطع حيضها **إلى** أن يعود الحيض **أو** تبلغ سن الإياس! **فقد** قدم الطب حلولا تكاد تكون قاطعة، **ونعرف** الآن ما في بطن المرأة ليأخذ

ميراثه بدون إبقاء ميراث ذكرين أو نحو ذلك!

**ولا** يخفى أن التعليم الراقي **أهم** حقوق الإنسان، **وأن** بناء الفرد واستصلاحه **يكون** بتكامل عدة جوانب: أسرية، واجتماعية، وغذائية وغيرها **مما** قد أفرد العلماء في شرحه مجلدات **لم** تغب عن ذهن أمير المؤمنين، **وهو** التلميذ النجيب لمربي البشرية سيدنا محمد؛ **فالقائد** الفذ، والحكيم البصير **هو** الذي يبحث عن مصادر دخل لشعبه.

**فلو** افترضنا أَنَّ حكومة اليمن قامت ببناء سفاراتها في الخارج بِالْآجُرِّ والجص على الطراز اليمني، **وَزُيِّنَتْ** بالقمريات والنقوش، **ثم** تقوم السفارات بترويج مزايا خامات البناء، **وأنه** صحي يقاوم الحر والبرد... إلخ، **وأن** السفارة مستعدة أن توفر للراغبين مثل هذا البناء - **لَمَا** شَكَكْتُ أن الطلبات ستزدحم من أثرياء العالم وغيرهم، **وسنفتح** أَسْوَاقًا للألوف الذين **لا** نسمح بسفر أحد منهم **إلا** بعد إعداده إعدادًا ممتازا، **وتهذيبه** تهذيبًا راقيًا على الوفاء، والصدق، والأمانة، والدقة، والنشاط.

**فما بالك** لو احتذينا بماليزيا وسنغافورة واليابان، وغيرها من الدول المتقدمة الراقية، **رغم** شحة مواردها الطبيعية؛ **فاليابان** جاثمة فوق فوهات البراكين، **واستطاعت** أن ترقى بالإنسان تعليمًا وتفكيرًا **إلى** أن صنعوا المعجزات! **وصارت** سنغافورة **لا** تصدر إلى الخارج **إلا** مدراء بنوك **أو** مستشفيات **أو** مصانع **أو** نحو ذلك؛ **لِمَا** لديهم من القدرات العلمية؛ **إذ** أقل اللغات التي يجيدها الفرد عندهم أربع إلى خمس **وقد** تصل إلى عشر! **وليس** في هذا غرابة؛ **فالتعليم** صارم وجاد وحديث، **ويبدأ** منذ سن الخامسة، **وربما** يُعَلَّمُونَ قبل ذلك.

**والمدرسون** للأطفال من كبار البروفسورات والخبراء؛ **لأنهم** عرفوا وجهلنا **أَنَّ** الصغير - **كما** عَلِمْتُ من كبار المتخصصين- **يستوعب** من سن 5- 18 سنة

بنسبة «85٪»، وبعدها إلى سن 35 بنسبة «15٪»، وبعدها بنسبة «5٪».

**وقد سبقهم** نبيناﷺ إلى ذلك؛ **فقد** كان يستقبل المواليد فور الولادة، **وربما** مضغ لهم شيئًا من التمر، **ثم** يؤذن في أذن المولود اليمنى، ويقيم في اليسرى، **وكأنه**ﷺ يُؤْذِنُ بأن المولود **قَادِرٌ** على الالتقاط منذ خروجه من بطن أمه؛ **فهو** يتعلم كل يوم.

**بل** حَثَّ قبل الزواج **على** اختيار الزوجة الصالحة والزوج الصالح **لإنجاب** النسل الصالح. **وكان**ﷺ لا يترك أطفال بني هاشم منذ أن يُفْصِحُوا **حتى** يعلمهم ما يناسبهم من معرفة ربهم، **وأهمية** وجودهم، **وما** يتلونه من قصار السُّوَرِ.

**وخير** مثال **مَا** جرى لأمير المؤمنين عليٍّ؛ **إذ** بدأ بتعليمه منذ سن الرابعة؛ **فأخرج** منه عملاقًا لم ولن يتكرر! **وكذا** ابن عباس **لَقَّنَهُ** وهو طفل **بهذه** الكلمات الرائعة: «**يَا** غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: **احْفَظِ** اللَّهَ يَحْفَظْكَ، **احْفَظِ** اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ: **إِذَا** سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، **وَإِذَا** اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ. **وَاعْلَمْ** أَنَّ الْأُمَّةَ **لَوِ** اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ **لَمْ** يَنْفَعُوكَ **إِلَّا** بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، **وَلَوِ** اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ **لَمْ** يَضُرُّوكَ **إِلَّا** بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ! رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

**وروى** عمر بن أبي سلمة **وكان** طِفْلًا في حضن رسول اللهﷺ **مع** أمه أم المؤمنين أم سلمةرضي الله عنها **قال**: كنت آكل مع رسول الله، **وكنت** آكل بشمالي، **وكانت** يدي تطيش في الصحفة؛ **فقال** ليﷺ: « يَا غُلَامُ: سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ».

**ومن أعظم** ما تركه رسول الله من هذه التربية الراقية **تربيته** لعلي وفاطمة وحسنًا وحسينًا عليهم السلام، **وما** خلّفوه لذريتهم من أهل البيت العظام **من** ثَقَافَةِ **أَنَّهُ** يجب على كل واحدٍ منهم **أن** يكون أعلم أهل زمانه **أو** مِنْ أعلمهم، **وأن** يستكمل مزايا الفضل، **وكانت** تلك الشروط **مُؤَكَّدَةً** في المذهب الزيدي **لمن** يأمر بالمعروف **أو** ينهى عن المنكر.

**ولابد** أن يكونوا قبل غيرهم متطابقين مع الرسول الأعظم خَلْقًا وَخُلُقًا؛ **فَعَلِيٌّ** وهو مستودع العناية الإلهية والنبوية، **والسابق** الفائز بأوفر سهم، وأوفى

نصيب- **يعتبر** الأول في ترتيب القادة العظام الذين أعدهم الرسول عِلْمًا، ودراية، وإدارة، وكفاية، وشجاعة، وقضاء، ومعاملة. **فأين** نحن من هذا السلوك النبوي الذي سَبَقَ أذكياء العالم! وَضَيَّعَهُ للأسف أتباع محمدﷺ؟

**والخلاصة:** فالإنسان **هو** الركيزة الأولى، **وهو** الثروة، والمعين الذي لا ينضب؛ **فالشعب** الروسي رغم التقدم العلمي الهائل **لم** يتقدم كالشعب الأمريكي؛ **وكلا** البلدين عائم فوق ثروات طبيعية هائلة؛ **والسبب** الإنسان وثقافته.

**وهكذا** بإلقاء نظرة على شعوب الأرض **ستجد** أن الشعب العربي يعيش محنة الإنسان المتخلف الفاسد **الجاثم** على بحر من النفط، **يبعثر** المليارات على ملذاته، ونزواته، **وشراء** الأسلحة بمليارات لا حصر لها: **تُكَدَّسُ** في المخازن! **أو** لمحاربة الجيران! **أو** لقمع الشعوب البائسة الجائعة الفقيرة! **فإن** بُنِيَ مستشفى أو مدرسة **تبارت** وسائل الإعلام **بأن** ذاك من تبرعات الأمير، **أو** هبات الملك، **أو** مكرمات الرئيس؛ **فَلْيُسَبِّحِ** الْجَمِيعُ بحمده، **وَلْيَهْتِفِ** الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ بِمَجْدِهِ؛ **فالوالي** - حسب ثقافة الْمُلْكِ الْعَضُوضِ الذي حارب عَلِيًّا وحاربه بضراوة - **ظِلُّ** الله في الأرض! **وجاء** بقضاء الله! **وَتَسَلَّطَ** بقَدَرِ الله! **وهو** نائب عن الله! **لا** يُسْأَلُ عَمَّا يفعل! **بل** يُحَتِّمُ الدين كما يزعمون: **أَنْ** تُسَلِّمَ الأمة قيادها لولي الأمر وتستسلم! **فقد** قال النبي ﷺ: «يَكُونُ مِنْ بَعْدِي أَئِمَّةٌ **لَا** يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، **وَلَا** يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، **وَسَيَقُومُ** فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جِثْمَانِ إِنْسٍ»! **قال:** قلت: كيف أصنع يا رسول الله إِنْ أَدْرَكْتُ ذلك؟ **قال:** «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ **وَإِنْ** ضَرَبَ ظَهْرَكَ! **وَأَخَذَ** مَالَكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»![1] **أَلَا** تعجبون من هذا ! **حاشا** نبي الله أن

(1) مسلم 3/ 1475 رقم 1847، وأبو دواد 2/ 496 رقم 4244، **وفيه:** «إن كان لله تعالى خليفة في الأرض فضرب ظهرك وأخذ مالك فَأَطِعْهُ وإلا فَمُتْ وأنت عَاضٌّ بجذل شجرة»، والبيهقي في السنن8/ 157، وفي شعب الإيمان6/ 62 رقم 7051، والطبراني في الأوسط3/ 190 رقم 2893، ومصنف عبدالرزاق11/ 341 رقم 20711، ومصنف ابن أبي شيبة 7/ 477 رقم 37113، ومسند أحمد9/ 112، 113 رقم 23485- 23489، **وفيه:** «فَالْزَمْهُ وإن نَهَكَ جسمك، وأخذ مالك، فإن لم تره فاهرب في الأرض ولو أن تموت وأنت عاض بجذل شجرة»، والمستدرك4/ 502.

يقول مثل هذا الكلام الذي لا تجرؤ على قوله إلا وسائل إعلام الظالمين المروجة لظلمهم، **و** لا تقدر على قوله إلا الثقافة المتخلفة التي تردد ما يقال لها كَالْبُبَّغَاءِ.

**وقد** قيل لي: **إن** مفتي ليبيا **قال** في إحدى الفضائيات: طاعة القذافي واجبة، والخروج عليه حرام! **وَإِنْ** فعل ما فعل؛ **لأنه** لم يعلن الكفر البواح! **والثورة** عليه حرام وباطل! **فقيل** له: فإن نجح الثوار وحكموا؟ **قال:** تجب طاعتهم! **فَمِنْ** عقائدنا طاعة الوالي وإِنْ تَغَلَّبَ أَوْ تَسَلَّطَ[1]!

**نَعَمْ** هي كذلك **إن** أخذ مالك زَكَاةً، **أو** جَلَدَ ظَهْرَكَ حَدًّا، **أَمَّا** حَرَامًا **أو** ظُلْمًا **فلا** ولا كَرَامَةَ.

**وكذلك** روى علماء السلاطين **أنه** سأل سَلَمَةُ بن يزيد الجعفي رَسُولَ اللهﷺ **فقال**: يا نبي الله، أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَ حَقَّهُمْ، وَيَمْنَعُونَ حَقَّنَا، **فَمَا** تَأْمُرُنَا؟ **فأعرض** عنه، **ثم** سأله، **فأعرض** عنه، **ثم** سأله في الثالثة؛ **فقال:** «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا؛ فَإِنَّ عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ»[2]!.

**ثم** حَرَّمُوا النكير عليهم، وتَنْغِيصَ رَفَاهِيَّتِهِمْ؛ **فَمَنْ** أنكر عليهم، **أو** خرج **فقد** شَقَّ عَصَى المسلمين! **وفارق** الجماعة! **وعصى** توجيه النبيﷺ!

**ومن** الروايات العجيبة: **أنه**ﷺ قال: «**خِيَارُ** أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ، وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، **وَشِرَارُ** أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ، وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ، وَيَلْعَنُونَكُمْ»! **قِيلَ:** يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ **فَقَالَ:** «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ ! **وَإِذَا** رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ **فَاكْرَهُوا** عَمَلَهُ،

---

(1) وقد حدث حال مراجعة هذا البحث أن قُتِلَ القذافي شر قتلة يوم الخميس 22/ ذي القعدة/ 1432هـ الموافق20/ 10/ 2011م، وهو مختبئ في أنبوب مجاري، وقُتِلَ معه بعض أولاده في مشهد مُذِلٍّ دام محزنٍ وضعه فيه ظُلْمُهُ، وعنفه، ووحشيته، وقسوته، وغروره، وبعثرته لمئات المليارات؛ ففساده وفساد أسرته فاق كل تصور؛ فمن يعتبر؟!

(2) أخرجه مسلم عن وائل بن حجر 3/ 1474 رقم 1846، والترمذي 4/ 488 رقم 2119، والطبراني في الكبير 7/ 40 رقم 6322، و22/ 16 رقم 20، و442 رقم 634، والبيهقي في السنن 8/ 158، 188.

**وَلَا** تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»[1]!!. **وَأَيْضًا** رَوَوْا: «**مَنْ** كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ؛ **فَإِنَّهُ** مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا **مَاتَ** مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[2]!.

**وما روي** أَيْضًا: عن عبادة بن الصامت، عن النبيﷺ: «**أَلَّا** نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، **إِلَّا** أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ بُرْهَانٌ»[3]!.

**هذه** هي الثقافة المدمرة، **والتعليم** الخائب الفاسد؛ **وذلك** ما كان يخشاه الإمامؒ؛ **وَمِنْ أجل** ذلك **كَانَ** شديد المراقبة لعماله، **لا** يفتر عن تهذيبهم، وتربيتهم التربية الطاهرة، **ويملأ** قلوبهم وعقولهم **بالمحبة لله**، والخوف منه، والرجوع إليه، والخضوع له، والحرص على رضاه، **والحذر** من سطوته، وعدم التعرض لنقمته؛ **ذلك** ما أوصى به الأشترؒ.

4- **عِمَارَةُ بِلَادِهَا:** بتوجيه الموارد نحو التنمية، **واستغلال** ثروات البلاد الطبيعية والبشرية، **والاهتمام** بها من أجل زيادة الإنتاج **من** الثروات المتجددة: كالسمك، وما أخرجت الأرض. **وعدم** الإسراف والإهدار للثروات غير

---

(1) مسلم 3/ 1481 رقم 1855، والبيهقي 8/ 158، والطبراني في الكبير 18/ 63 رقم 116، 117، وأبو يعلى 2/ 473 رقم 1300، وأحمد بن حنبل 4/ 56 رقم 11224، **وفيه:** «يَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ تَطْمَئِنُّ إِلَيْهِمُ الْقُلُوبُ، وَتَلِينُ إِلَيْهِمُ الْجُلُودُ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ تَشْمَئِزُّ مِنْهُمُ الْقُلُوبُ، وَتَقْشَعِرُ مِنْهُمُ الْجُلُودُ» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنُقَاتِلُهُمْ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «لَا مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ».

(2) البخاري 6/ 2588 رقم 6645 ، ومسلم 3/ 1477 رقم 1849، وأحمد1/ 590 رقم 2487، والطبراني في الكبير 12/ 160 رقم 12759، ومسند أبي يعلى 4/ 234 رقم 2347، والبيهقي في السنن 8/ 157.

(3) البخاري 6/ 2588 رقم 6647، ومسلم 3/ 1469 رقم 1709، والبيهقي 8/ 145، وصحيح ابن حبان 10/ 428 رقم4567، **وفيه:** قال رسول اللهﷺ: «يا عبادة» **قلت:** لبيك، **قال:** «اسمع وأطع في عسرك ويسرك ومكرهك وأثرة عليك، وإن أكلوا مالك وضربوا ظهرك، إلا أن تكون معصية لله بواحا». أقول: يا للعجب وهل هناك معصية أشنع من ضرب المسلم وأكل ماله والاستبداد به!؟ إنه الكفر البواح بشحمه ولحمه. **إن** القلب ليشمئز من هذه الروايات وتضيق النفس، ويظلم الروح، وما كان كذلك فالنبيﷺ منه براء كما روى عبد الملك بن سعيد بن سويد، عن أبي حميد، وعن أبي أسيد أن النبي رسول اللهﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْحَدِيثَ عَنِّي تَعْرِفُهُ قُلُوبُكُمْ، وَتَلِينُ لَهُ أَشْعَارُكُمْ وَأَبْشَارُكُمْ، وَتَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْكُمْ قَرِيبٌ - فَأَنَا أَوْلَاكُمْ بِهِ، وَإِذَا سَمِعْتُمُ الْحَدِيثَ عَنِّي تُنْكِرُهُ قُلُوبُكُمْ، وَتَنْفِرُ أَشْعَارُكُمْ وَأَبْشَارُكُمْ، وَتَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْكُمْ بَعِيدٌ - فَأَنَا أَبْعَدُكُمْ مِنْهُ». ينظر: ابن حبان1/ 264، ومسند البزار9/ 168، ومسند أحمد5/ 434 رقم16058، و9/ 154 رقم23667.

المتجددة: كالذهب والبترول والمعادن الأخرى.

**فمن أجل:** جهاد العدو، واستصلاح الناس، وعمارة البلاد: **يَطِيبُ** الْخَرَاجُ، **وَيُبَادِرُ** دافعو الزكاة، والضرائب ونحو ذلك **بالدفع** طَيِّبَةً نُفُوسُهُمْ؛ **لِعِلْمِهِمْ** أنها لن تذهب إلى جيب الوالي وأعوانه، **بل** إلى بيت مالهم، **يحرسها** وَالٍ **عَفِيفُ** النَّفْسِ، **نَظِيفُ** الْكَفِّ، **ملتزم** بتقوى الله، وإيثار طاعته، وإسعاد الناس، وتوفير مواردهم عليهم؛ **لتعبيد** الطرق، **ونهضة** التعليم، والصحة، والزراعة، والصناعة، وتثبيت الأمن، والقضاء العادل، ونحو ذلك.

**وها هو** الإمام **يُهَيِّئُ** نَفْسَ أَعَزِّ رجاله، وأصلب أعوانه، **وَيُرَوِّضُهُ** تَرْوِيضًا **يَجْعَلُ** مُرَّ الْحَقِّ لديه أَحْلَى من الشهد، **وَيُهَيِّئُهُ** حِرْزًا حَرِيزًا لحفظ ما يُلْقَى عليه من نفائس الحكم وجواهر الكَلِمِ - **فابتدأ** قَائِلًا:

## [معاملة الحاكم مع نفسه وربه]

**أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَإِيْثَارِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ: مِنْ فَرَائِضِهِ، وَسُنَنِهِ الَّتِي لَا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا، وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا. وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ؛ فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ[1]؛ فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ.**

---

(1) **الجمحات:** طموح النفس، وميلها إلى شهواتها، وتحقيق مآربها؛ **فتنزع** إلى الاستئثار بكل شيء، فَانْزَعْهَا وَزَعْهَا بكفها وردعها:

**فَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا ... وَإِذَا تُرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ**

**إن** النفس البشرية غاية في الغرابة والتعقيد؛ **لذلك** قيل: لهوى النفوس سريرة لا تُعْلَمُ. **ولله** در البوصيري:

**وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى ... حُبِّ الرَّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ**
**فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَحَاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَهُ ... إِنَّ الْهَوَى مَا تَوَلَّى يُصْمِ أَوْ يَصِمِ**
**وَرَاعِهَا وَهْيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ ... وَإِنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ الْمَرْعَى فَلَا تُسِمِ**
**كَمْ حَسَّنَتْ لَذَّةً لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً ... مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ**

**الإنسانُ** قبل أن يَحْكُمَ النَّاسَ **عليه** أَنْ يَحْكُمَ نَفْسَهُ، **ويَتَحَرَّرَ** من عبوديته لشهواتها، **ويجعلها** تابعة له؛ **ليتمكن** من قيادة الناس وحكمهم؛ **فإنَّ** من كان تابعًا لنفسه **فقد** يهمل مصالح الناس التي تتعارض مع مصالحه، وتمنعه من شهواته، **وقد** يَصِلُ الإهمال إلى حد التعطيل، **وفي** أحسن الأحوال- **وبعد** أن أطلق لنفسه عنانها، وأسلس لها قيادها في سبيل تحقيق نزواتها - **فقد** يرى أن من حق الرعية أيضًا أَنْ يصلوا إلى ما تشتهيه أنفسهم؛ **وفي** ذلك من الفساد **أَشَدُّ** من الذي قبله، **وكلاهما** يهدمان أسس الحكم، ويعطلان أهدافه، **وقد** شدد الإمام علي عليه السلام في هذا المجال على:

1- **تقوى الله، وإيثار طاعته؛** فإن التقوى جِمَاعُ كل خير، **وخَيْرٌ** من كل زاد. **والأمر** بالتقوى **قد** ورد في العديد من كلام أمير المؤمنين وخطبه؛ **تأسيا** منه بكتاب الله تعالى، **وكلام** رسول الله ﷺ؛ **فما** أكثر ما ورد فيهما من الأمر بالتقوى **والحث** عليها لكل أحد من العباد؛ **قال** تعالى: ﴿**وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ**﴾[البقرة:194]، **وقال:** ﴿**وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[آل عمران:130]، **وقال:** ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[الحشر:18].

**وما جاء** عن رسول الله ﷺ في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا»[1]، **وقوله** ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «**وَاتَّقِ** دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ **فَإِنَّهُ** لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»[2]. **وقوله** ﷺ: «**ثَلَاثُ** دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: **دَعْوَةُ** الْوَالِدِ، **وَدَعْوَةُ** الْمُسَافِرِ، **وَدَعْوَةُ** الْمَظْلُومِ»[3]، **وقوله** ﷺ: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ: **لَا** تَظْلِمُوا عِنْدَ قِسْمَةَ مَوَارِيثِكُمْ، **وَلَا** تَغُلُّوا غَنَائِمَكُمْ، **وَلَا** تَجْبُنُوا عَنْ قِتَالِ عَدُوِّكُمْ، **وَامْنَعُوا** ظَالِمَكُمْ مِنْ مَظْلُومِكُمْ، **وَأَنْصِفُوا** النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، **وَلَا** تُحَمِّلُوا عَلَى الله ذُنُوبَكُمْ»[4].

---

(1) أمالي أبي طالب 538 رقم 748، ومسلم 4/ 1994 رقم 2577، وأحمد 8/ 96 رقم 21477.

(2) البخاري 2/ 544 رقم 1425، ومسلم 1/ 50 رقم 19.

(3) أبود داود 2/ 187 رقم 1536.

(4) أمالي أبي طالب 535 رقم 738، والطبراني في الكبير 8/ 282 رقم 8082، وأسقط السادسة.

**أما** نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام **فهو** مشحون بموضوع التقوى، **وله** خطبة شهيرة في التقوى؛ **فقد** رُوِيَ أَنَّ صَاحِبًا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يُقَالُ لَهُ هَمَّامٌ كَانَ عَابِدًا **فَقَالَ**: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صِفْ لِيَ الْمُتَّقِينَ **حَتَّى** كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ! **فَتَثَاقَلَ** عليه السلام عَنْ جَوَابِهِ **ثُمَّ** قَالَ: يَا هَمَّامُ اتَّقِ اللَّهَ، وَأَحْسِنْ فَـ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[النحل:128]؛ **فَلَمْ** يَقْنَعْ هَمَّامٌ بِهَذَا الْقَوْلِ **حَتَّى** عَزَمَ عَلَيْهِ؛ **فَحَمِدَ** اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ **وَصَلَّى** عَلَى النَّبِيِّ ﷺ **ثُمَّ قَالَ** عليه السلام: أَمَّا بَعْدُ **فَإِنَّ** اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **خَلَقَ** الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ **غَنِيًّا** عَنْ طَاعَتِهِمْ، **آمِنًا** مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ؛ **لِأَنَّهُ** لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ، **وَلَا** تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ؛ **فَقَسَمَ** بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ، **وَوَضَعَهُمْ** مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ: **فَالْمُتَّقُونَ** فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ: **مَنْطِقُهُمُ** الصَّوَابُ، **وَمَلْبَسُهُمُ** الِاقْتِصَادُ، **وَمَشْيُهُمُ** التَّوَاضُعُ.

**غَضُّوا** أَبْصَارَهُمْ **عَمَّا** حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، **وَوَقَفُوا** أَسْمَاعَهُمْ **عَلَى** الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ، **نُزِّلَتْ** أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ **كَالَّتِي** نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ؛ **وَلَوْلَا** الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ **لَمْ** تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ؛ **شَوْقًا** إِلَى الثَّوَابِ، **وَخَوْفًا** مِنَ الْعِقَابِ؛ **عَظُمَ** الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ؛ **فَصَغُرَ** مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ؛ **فَهُمْ** وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا؛ **فَهُمْ** فِيهَا مُنَعَّمُونَ، **وَهُمْ** وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا؛ **فَهُمْ** فِيهَا مُعَذَّبُونَ: **قُلُوبُهُمْ** مَحْزُونَةٌ، **وَشُرُورُهُمْ** مَأْمُونَةٌ، **وَأَجْسَادُهُمْ** نَحِيفَةٌ، **وَحَاجَاتُهُمْ** خَفِيفَةٌ، **وَأَنْفُسُهُمْ** عَفِيفَةٌ.

**صَبَرُوا** أَيَّامًا قَصِيرَةً؛ **أَعْقَبَتْهُمْ** رَاحَةً طَوِيلَةً، **تِجَارَةٌ** مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ. **أَرَادَتْهُمُ** الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا، **وَأَسَرَتْهُمْ** فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا: **أَمَّا اللَّيْلَ** فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ، **تَالِينَ** لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلًا؛ **يُحَزِّنُونَ** بِهِ أَنْفُسَهُمْ، **وَيَسْتَثِيرُونَ** بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ: **فَإِذَا** مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ **رَكَنُوا** إِلَيْهَا طَمَعًا، **وَتَطَلَّعَتْ** نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا، **وَظَنُّوا** أَنَّهَا نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ، **وَإِذَا** مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ- **أَصْغَوْا** إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، **وَظَنُّوا** أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ؛ **فَهُمْ** حَانُونَ

عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، **مُفْتَرِشُونَ** لِجِبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ - **يَطْلُبُونَ** إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ.

**وَأَمَّا النَّهَارَ** فَحُلَمَاءُ، عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ، **قَدْ** بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ، **يَنْظُرُ** إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى **وَمَا** بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ، **وَيَقُولُ**: لَقَدْ خُولِطُوا، **وَلَقَدْ** خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ: **لَا** يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ، **وَلَا** يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ؛ **فَهُمْ** لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ، **وَمِنْ** أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ، **إِذَا** زُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ **خَافَ** مِمَّا يُقَالُ لَهُ؛ **فَيَقُولُ:** أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي، وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي. **اللَّهُمَّ** لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، **وَاجْعَلْنِي** أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، **وَاغْفِرْ** لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ.

2- **الْعَمَلُ بِمَا فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ؛** لأنها مصدر سعادة لمن اتبعها، وشقاء ما بعده شقاء لمن تركها.

3- **الِانْتِصَارُ للهِ سُبْحَانَهُ فِي جَمِيعِ الْقَضَايَا الَّتِي تُوَاجِهُهُ صَغِيرِهَا وكَبِيرِهَا؛** لأن كل قضيةٍ فيها حق وباطل؛ **وَمَنْ** نصر الحق **فقد** نصر الله سبحانه وتعالى: **وَإِنَّ** نُصْرَةَ الله باليد تكون بالجهاد بالسلاح؛ **والنصرة** بالقلب **تتم** بالاعتقاد للحق، **والنصرة** باللسان: **تحصل** بقول الحق، **والأمر** بالمعروف والنهي عن المنكر.

4- **الإيمان بأن الله سبحانه قد تكفل بنصر من نصره، وإعزاز من أعزه؛** قال تعالى: ﴿**إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ**﴾[محمد:7]، **وقال**: ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٞ**﴾[الحج:40]، **وقال**: ﴿**وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ**﴾[المنافقون:8]؛ **لأن** الله سبحانه وتعالى **إذا** قال فقوله الحق، **وإذا** وعد فوعده الصدق.

5- **كَسْرُ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَرَدْعِهَا عِنْدَ الْجُمُحَاتِ؛** وذلك بتذكيرها بقدرة الله عليها، وعذابه الأليم الذي رصده إن تمادت في غيها. **ولم** يكتف الإمام ﷺ **بالأمر** بالتقوى **رغم** أن كل ما بعدها داخل تحتها؛ **ليخلع** من قلب وَالِيهِ ما يَشِينُ الوُلَاةَ: **مِنَ** الجشع، **وحب** التسلط، **والأنانية** التي تُفْرِزُ الظُّلْمَ

وَاحْتِقَارَ الناس، وَإِهْمَالَ مصالحهم؛ **فلابد** أن يُلَيِّنَ عريكته **بما** أوتي من بلاغة الْحِكَمِ المعبرة عن إمام تَقِيٍّ **تَمَيَّزَ** بسيرة عَطِرَةٍ كسيرة النبيﷺ **ما** وَنَى، **ولا** قَصَّرَ، **ولا** تأخر، **ولا** ضَعُفَ، **ولا** جَبُنَ، **بل** أخذ نفسه بالشدة **التي** لا هوادة فيها **ولا** مداهنة.

**وهذا** كتابه لعثمان بن حنيف[النهج: كتاب الرسائل رقم45]، **وكان** عَامِلَهُ على البصرة؛ **يعاتبه** على حضوره وَلِيمَةً **دَعَاهُ** إِلَيْهَا أَحَدُ أغنياء البصرة **يُظْهِرُ** الْعَجَبَ الْعُجَابَ من شدته عليه السلام على نفسه، **ومن** متابعته اليقظة الصارمة لِوُلَاتِهِ:

**أَمَّا** بَعْدُ يَا ابْنَ حُنَيْفٍ **فَقَدْ** بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَأْدُبَةٍ **فَأَسْرَعْتَ** إِلَيْهَا: تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ! **وَمَا** ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ: عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ!

**فَانْظُرْ** إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ: **فَمَا** اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ، **وَمَا** أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ. **أَلَا** وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ. **أَلَا** وَإِنَّ إِمَامَكُمْ **قَدِ** اكْتَفَى **مِنْ** دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ ، **وَمِنْ** طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ ! **أَلَا** وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ! **وَلَكِنْ** أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ؛ **فَوَاللَّهِ** مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْرًا! **وَلَا** ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْرًا! **وَلَا** أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْرًا! **وَلَا** حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْرًا! **وَلَا** أَخَذْتُ مِنْهُ **إِلَّا** كَقُوتِ أَتَانٍ دَبِرَةٍ! **وَلَهِيَ** فِي عَيْنِي أَوْهَى وَأَوْهَنُ مِنْ عَفْصَةٍ مَقِرَةٍ[1].

**بَلَى** كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ **مِنْ** كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ **فَشَحَّتْ** عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، **وَسَخَتْ** عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ، **وَنِعْمَ** الْحَكَمُ اللَّهُ! **وَمَا** أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وَغَيْرِ فَدَكٍ؛ **وَالنَّفْسُ** مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ: **تَنْقَطِعُ** فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا، **وَتَغِيبُ** أَخْبَارُهَا، **وَحُفْرَةٌ** لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا، **وَأَوْسَعَتْ** يَدَا حَافِرِهَا – **لَأَضْغَطَهَا** الْحَجَرُ وَالْمَدَرُ، **وَسَدَّ** فُرَجَهَا

(1) أي: مُرَّةٍ؛ مَقِرَ الشيءُ صار مُرًّا، وَأَمْقَرَهُ بالهمز أيضا؛ **قال** لبيد:

**مُمْقِرٌ مُرٌّ عَلَى أَعْدَائِهِ وعَلَى الْأَدْنَيْنِ حُلْوٌ كَالْعَسَلْ**

التُّرَابُ الْمُتَرَاكِمُ؛ **وَإِنَّمَا** هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى؛ **لِتَأْتِيَ** آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ، **وَتَثْبُتَ** عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ؛ **وَلَوْ** شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ، وَلُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ، وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ؛ **وَلَكِنْ** هَيْهَاتَ **أَنْ** يَغْلِبَنِي هَوَايَ، **وَيَقُودَنِي** جَشَعِي **إِلَىٰ** تَخَيُّرِ الْأَطْعِمَةِ، **وَلَعَلَّ** بِالْحِجَازِ أَوِ الْيَمَامَةِ **مَنْ** لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، **وَلَا** عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ! **أَوْ** أَبِيتَ مِبْطَانًا وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى، وَأَكْبَادٌ حَرَّى، **أَوْ** أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

**وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ ... وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ**

**أَأَقْنَعُ** مِنْ نَفْسِي **بِأَنْ** يُقَالَ: هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ **وَلَا** أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، **أَوْ** أَكُونُ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ! **فَمَا** خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي **أَكْلُ** الطَّيِّبَاتِ: كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا، **أَوِ** الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقَمُّمُهَا: **تَكْتَرِشُ** مِنْ أَعْلَافِهَا، **وَتَلْهُو** عَمَّا يُرَادُ بِهَا، **أَوْ** أُتْرَكُ سُدًى، **أَوْ** أُهْمَلُ عَابِثًا، **أَوْ** أَجُرُّ حَبْلَ الضَّلَالَةِ، **أَوْ** أَعْتَسِفُ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ!

**وَكَأَنِّي** بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: **إِذَا** كَانَ هَذَا قُوتُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ **فَقَدْ** قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الْأَقْرَانِ، وَمُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ! **أَلَا** وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُودًا، **وَالرَّوَاتِعَ** الْخَضِرَةَ **أَرَقُّ** جُلُودًا، **وَالنَّابَاتِ** الْبَدَوِيَّةَ أَقْوَى وَقُودًا، وَأَبْطَأُ خُمُودًا؛ **وَأَنَا** مِنْ رَسُولِ اللَّهِ كَالصِّنْوِ مِنَ الصِّنْوِ، وَالذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ.

**وَاللَّهِ** لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي **لَمَا** وَلَّيْتُ عَنْهَا، **وَلَوْ** أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا! **وَسَأَجْهَدُ** فِي أَنْ أُطَهِّرَ الْأَرْضَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ، **وَالْجِسْمِ** الْمَرْكُوسِ [يعني معاوية] **حَتَّىٰ** تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ. **إِلَيْكِ** عَنِّي يَا دُنْيَا فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ، **قَدِ** انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ، **وَأَفْلَتُّ** مِنْ حَبَائِلِكِ، **وَاجْتَنَبْتُ** الذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ! **أَيْنَ** الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكِ؟! **أَيْنَ** الْأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ؟!

**فَهَا هُمْ** رَهَائِنُ الْقُبُورِ، وَمَضَامِينُ اللُّحُودِ! **وَاللَّهِ** لَوْ كُنْتِ شَخْصًا مَرْئِيًّا،

وَقَالَبًا حِسِّيًّا، **لَأَقَمْتُ** عَلَيْكِ حُدُودَ اللَّهِ **فِي** عِبَادٍ غَرَرْتِهِمْ بِالْأَمَانِيِّ، **وَأُمَمٍ** أَلْقَيْتِهِمْ فِي الْمَهَاوِي، **وَمُلُوكٍ** أَسْلَمْتِهِمْ إِلَى التَّلَفِ، وَأَوْرَدْتِهِمْ مَوَارِدَ الْبَلَاءِ؛ **إِذْ** لَا وِرْدَ وَلَا صَدَرَ! **هَيْهَاتَ** مَنْ وَطِئَ دَحْضَكِ زَلِقَ، **وَمَنْ** رَكِبَ لُجَجَكِ غَرِقَ، **وَمَنِ** ازْوَرَّ عَنْ حَبَائِلِكِ وُفِّقَ. **وَالسَّالِمُ** مِنْكِ لَا يُبَالِي إِنْ ضَاقَ بِهِ مُنَاخُهُ، **وَالدُّنْيَا** عِنْدَهُ كَيَوْمٍ حَانَ انْسِلَاخُهُ، **اعْزُبِي** عَنِّي **فَوَاللَّهِ** لَا أَذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذِلِّينِي، **وَلَا** أَسْلَسُ لَكِ فَتَقُودِينِي! **وَايْمُ اللَّهِ** يَمِينًا أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ **لَأَرُوضَنَّ** نَفْسِي رِيَاضَةً تَهِشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُومًا، **وَتَقْنَعُ** بِالْمِلْحِ مَأْدُومًا! **وَلَأَدَعَنَّ** مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ مَعِينُهَا، مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا! **أَتَمْتَلِئُ** السَّائِمَةُ مِنْ رِعْيِهَا فَتَبْرُكَ، **وَتَشْبَعُ** الرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ، **وَيَأْكُلُ** عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعَ؟! **قَرَّتْ** إِذًا عَيْنُهُ **إِذَا** اقْتَدَى بَعْدَ السِّنِينَ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ، وَالسَّائِمَةِ الْمَرْعِيَّةِ!

**طُوبَى** لِنَفْسٍ **أَدَّتْ** إِلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا، **وَعَرَكَتْ** بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا، **وَهَجَرَتْ** فِي اللَّيْلِ غُمْضَهَا، **حَتَّى** إِذَا غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، **وَتَوَسَّدَتْ** كَفَّهَا، **فِي** مَعْشَرٍ **أَسْهَرَ** عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، **وَتَجَافَتْ** عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ، **وَهَمْهَمَتْ** بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ، **وَتَقَشَّعَتْ** بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ، **أُولَئِكَ** حِزْبُ اللَّهِ **أَلَا** إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

**فَاتَّقِ** اللَّهَ يَا ابْنَ حُنَيْفٍ **وَلْتَكْفِكَ** أَقْرَاصُكَ؛ **لِيَكُونَ** مِنَ النَّارِ خَلَاصُكَ.

**أَيُّ** فمٍ طاهر، **وأَيُّ** قلب نقي، **وأَيُّ** إمام تقي **يقول** مثل هذا الكلام الذي يشبه أصداء الوحي، وترجيع الملائكة؟! **لا** أظن أنه وُجِدَ باليمامة **أو** اليمن جائعًا **أو** محتاجًا **في** عهد هذا الإمام الذي تربى هذه التربية، **وتحلى** بهذا الطهر، والزهد، والعصمة، والعفة، والنقاء، والرحمة، والقناعة، والسمو، والتواضع!.

## [الاستفادة من أخطاء الولاة السابقين]

**ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ: مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ؛ وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلَاةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ؛ وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ؛ فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ؛ فَامْلِكْ هَوَاكَ، وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ.**

**يا** مالك **قد** كنت تسمع أخبار الولاة، **وتعيب** قومًا، **وتمدح** قومًا، **وأنت** الآن في إمارتك مستهدف؛ **فسيقول** الناس فيك ما كنت تقول في الأمراء، **وما** كان سببًا لزوال تلك الدول حتمًا **سيكون** سببًا لزوال دولتك **إن** لم تَتَحَاشَهُ؛ **فاحذر** أن تُعَابَ **وَتُذَمَّ** كما كنت تَعِيبُ وتَذُمُّ المستحقَّ للعيب والذم.

**ما** أعمقه من تفكير! **فالإمام** يشير إلى تَلَمُّسِ سِيَرِ الغابرين؛ **للاستفادة** من العظات وَالْعِبَرِ، **وَلِيُنَبِّهَ** ولاة الأمور **إلى** ضرورة تَفَهُّمِ وَفَهْمِ أحوال البلد والناس، **وأن** يدركوا خطورة المسؤولية، **وضرورة** معرفة المشاكل العامة.

**نعم**: فإنما يُسْتَدَلُّ على الصالحين بكثرة ثناء الناس عليهم، **ويُسْتَدَلُّ** على الفاسقين بذم الناس لهم؛ **فَأَلْسِنَةُ** الرعية **أَقْلَامُ** الحق تعالى إلى الملوك؛ **فإذا** كان الغالب على الملوك والأمراء **ادِّخَارُ** الصفراء والبيضاء، **وَحُبُّ** الشهوات: من النساء، والبنين، والقناطير المقنطرة: من الذهب والفضة، والقصور الفخمة، والفرش الوَثيرة، والتحف النادرة، والسيارات واليختات والطائرات الفخمة المصنوعة بأغلى الأثمان؛ **فهذا** هو جنون البذخ **الذي** لا أجد عبارة في وصفه، **ولا** عبارة تحيط بشرحه.

**فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ**: حَقًّا فإن أعز ما يدخر الإنسان **هو** العمل الصالح؛ **فإنه** ذخيرة الدنيا والآخرة ؛ **قال** تعالى : ﴿**وَٱلۡعَصۡرِ ۝ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي**

خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾[العصر:1-3].

**ولكي** تظفر بهذه الذخيرة **فَامْلِكْ** هَوَاكَ؛ **فَإِنَّ** متابعة الهوى **تُقَرِّبُ** الإنسان من المعاطب، **وتورده** مناهل المهالك، **وتُبْعِدُهُ** عن الله؛ **فَشُحَّ** بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ؛ **فإن** الشح بالنفس **هو** الإنصاف منها **فيما** أحببت أو كرهت؛ **فذلك** مفتاح النجاح الأبدي، وشفرة المجد السرمدي.

ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا ... فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ
لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ ... عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ
فَهُنَاكَ يُقْبَلُ مَا وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى ... بِالْعِلْمِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ

## [علاقة الحاكم بالرعية]

وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعًا ضَارِيًا؛ تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ: يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَأِ؛ فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ؛ فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ؛ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ.

وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ، وَابْتَلَاكَ بِهِمْ؛ فَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ، وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ، وَلَا تَبَجَّحَنَّ بِعُقُوبَةٍ، وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً، وَلَا تَقُولَنَّ: إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ.

وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً - فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ، وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ[1]، وَيَفِيءُ إِلَيْكَ

(1) **الْغَرْبُ**: حد السيف يستعار للسطوة والسرعة في البطش والفتك. **ويُفِيءُ**: يُرْجِعُ إليك ما بَعُدَ عنك من

**بِمَا عَزَبَ مِنْ عَقْلِكَ! إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ.**

**ذات** يوم قصد الإمام الهادي﵇ طَرِيقًا غير طريقه الذي جاء منه قبل صلاة الجمعة **وهو** عائد إلى البيت، **ومَرَّ** بباب الحبس؛ **فوقف** وتَرَجَّلَ عن فرسه، **ووقف** الناس على باب الحبس، **ودخل** فجلس فنظر إليه، **وأمر** بتنظيفه، **وأمر** بأن يُعْتَنَى بأهل الحبس؛ **فَيُوفَّرَ** لهم الماء والطعام، **وأمر** لهم بفراش.

**وقد** كان يأمر **من** يعرف القراءة **بأن** يُعَلِّمَهَا لمن لا يقرأ، **ويسأل** كل مسجون عن السبب الذي سُجِنَ من أجله وينظر فيه.

**إن** هذه الزيارة الميدانية المباغتة بنفسه **كَشَفَتْ** حِرْصَهُ على معرفة أحوال المعتقلين، **ورغبته** في أن ينالوا حقهم، **وأن** يصون لهم آدميتهم؛ **فالحبس** لا بد أن يكون نظيفًا، **ومُزَوَّدًا** بالضروريات: **من** فراش، وغذاء، ووسائل قراءة.

**فهو** ﵇ مُتَأَسٍّ بجده الوصي؛ **فَلَمْ** يَتَرَفَّعْ كِبْرًا وَغُرُورًا **مِنَ** الدخول إلى الحبس، **ولعل** فيه من أهل السوابق والإجرام، **وكان** يكفيه أَنْ يُكَلِّفَ غيره من الفضلاء والعلماء **فيما** يشبه لجنة حقوق الإنسان للتطلع على أوضاع السجن ونزلائه، **ثم** ترفع إليه تقريرها- **لكنه** أدى هذا الدور بنفسه؛ **فما** حَكَّ ظهرك مثل ظفرك، **ولم** يكن يهدف **إلا** إلى العدل، **وإبراء** الذمة، **وإسعاد** الرعية. **ولم** يخطر بباله **أَيُّ** مكسب مادي **أو** سياسي، **أو** سمعة، **أو** شهرة، **أو** نفاق سياسي.

**ولم** تكن هناك وسائل اتصال كاليوم **تَنْشُرُ** عنه ما يُنْشَرُ عن الفارغين من الأمراء سَابِقًا وَلَاحِقًا من زيف كثير؛ **لكنه** وهو إمام هدى **كان** يؤسس لثقافة الحق والعدل والإنسانية، واحترام الحقوق، وأداء الواجب؛ **ليغرسها** في نفوس الناس.

**ولاسيما** حالة السجناء، **وما** يجب على السجانين من رعاية حقوقهم؛ **فلا** يجوز

---

عقلك من أفاءَ يُفِيءُ. **وَالْمُسَامَاةُ**: مُبَارَاتُهُ تعالى في السُّمُوِّ وهو العُلُوُّ.

أن يعيش السجين فترة عقوبته في ضياع، وإهدار كرامة، **حتى** وإن كان يستحق الإعدام، **أو** أي عقوبة كانت؛ **فالنبي**ﷺ أوصانا بالإحسان **حتى** في قتل الضار، **وقال** لنا: «إِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ»، **ولم** ينس ﷺ الوصاية بالحيوانات؛ **فقال**: «وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»[1]! **بل** يجب أن يحظى السجين **بما** يستحقه كإنسان: فيتعلم، وَيُوَفَّرُ له في السجن وسيلةُ عَمَلٍ ليعول أسرته، وينفع مجتمعه، **كما** هو حاصل في الدول المحترمة **من** إبداع، واقتصاد مزدهر، وإصلاح داخل السجون، **فَهُنَاكَ** مُنْتَجَاتٌ فِي غَايَةِ الرَّوْعَةِ أبدعها المسجونون، **بل** هناك دول وَفَّرَتْ للمحكوم عليهم بالأشغال الشاقة سَوَاحِلَ على شاطئ البحر؛ **فجعلوا** منها وَاحَاتٍ، وبساتين، ومزارع، وجنات؛ **وذلك** لا يُقَارَنُ بِتَخَلُّفِ الذين يسوقونهم لتكسير الحجار دون أي فائدة.

**حتى** لم يهتدوا إلى تكسير الحجار للبناء، **بل** هم كما قال المثل: «عَمْيَاءُ تُخَطِّطُ مَجْنُونَةً»!

**وكان** لدى الإمام الهادي **حِرْصٌ** شديد **على** أن لا يدخل السجن أحد ، **أو** يبقى فيه وهو غير مستحق لذلك؛ **ولهذا** كان حريصًا أن يدخل السجن بنفسه، **وأن يتأكد** ويسأل عن سبب سجنهم، **وَمَنْ** سَجَنَهُمْ؛ **فَيُقِرَّ** أَحْكَامًا، **وَيُرَاجِعَ** أخرى، **وَيُزِيلَ** الظلم عن المظلومين، **وَيُعِينَ** من يستحق الإعانة ممن حُبِسَ في مال وهو عاجز عن أدائه.

**وذات مرة** تنازع قوم على جارية؛ **فأمر** بالتحفظ عليها في موضع غير الحبس، **حتى** يحضر بعض أهل الدعوى **فَيُحْسَمَ** أَمْرُهَا، **وبعد** يومين دعا قومها **وقال** لهم: «اعْلَمُوا أَنِّي حَبَسْتُ هَذِهِ الْجَارِيَةَ **وَلَمْ** يَكُنْ يَجِبُ عَلَيْهَا الْحَبْسُ، **وَإِنَّمَا** فَعَلْتُ رَجَاءَ انْقِطَاعِ أَمْرِهَا؛ **فَامْضُوا** إِلَيْهَا فَاسْأَلُوهَا أَنْ تَجْعَلَنِي فِي حِلٍّ، وَأَطْلِقُوهَا»!.

**وهنا** يتجلى رُوحُ العدالة، **وحُسْنُ** تدبير هذا الإمام العادل الفقيه المجتهد؛ **فهو** لم يحكم في بداية الأمر **بأن** تذهب الجارية مع أيٍّ من طرفي النزاع، **ولَمَّا** لم

(1) أصول الأحكام 3/ 235 رقم 2136، ومسلم 2/ 1548 رقم 1955، وأبو داود 3/ 244 رقم 2815، والترمذي 4/ 16 رقم 1409، والنسائي 7/ 227 رقم 4405، وابن ماجة 2/ 1058 رقم 3170.

يُحْسَمْ أَمْرُهَا في 48 ساعة؛ **لعدم** حضور بعض أهل الدعوى **أطلق** سراحها، **وهي** في غير سجن، **بل** في مكان شريف، **ولَكِنَّهُ** عَزَّ عليه، وحَزَّ في نفسه **أن** يَحُدَّ من حريتها **ولو** لساعات، **ولو** للحظات **دون** أن يثبت لديها أَنَّهَا تستحق ذلك؛ **فأملِ** علينا دَرْسًا عَمَلِيًّا في حفظ حقوق الناس، **وتجنب** ظلم الضعفاء، والاعتداء على حرياتهم؛ **فَقَدَّمَ** اعْتِذَارَهُ للجارية، **وطلب** منها أن تسامحه؛ **لأنه** قَيَّدَ حريتها لساعات مُجَلَّلَةً مُكَرَّمَةً، **وَبَيَّنَ** لقومها براءة موقفها؛ **حتى** لا يتوهم متوهم بها رِيْبَةً، **مُوَضِّحًا** سبب حجزها، **وأن** لا علاقة لها بالقضية، **وإن** كانت محل النزاع.

**وهذه** درجة عالية من الوعي لدى الإمام الذي **لم** تكن في وقته منظمات حقوقية يحاذر مَآخِذَهَا؛ **لِيَظْهَرَ** سِجِلُّهُ نظيفًا لدى الرأي العام! **بل** فعل ما فعل **خوفًا** من الله، **ومُرَاقَبَةً** له، **واستحياءً** منه، **وخضوعًا** لجلاله، **وإعطاءً** لكل ذي حق حقه، **وامتثالًا** لتوجيهات النبي العظيم، **وتأسيًا** بالإمام علي الذي أُثِرَ عنه قوله: «**وَاللهِ** لَوْ أُعْطِيتُ الأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا **عَلَى** أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جِلْبَ شَعِيرَةٍ **مَا فَعَلْتُ**»!.

**إن** الواقف على هذه الأحداث ليشعر بالأسى عندما يرى ما آلت إليه السجون **التي** تشرف عليها الدولة، **أو** سجون المشائخ ونحوهم **من** أوضاع مزرية، **يُكَدِّسُ** العشرات والمئات في وضع لا تطيقه الحيوانات! **يُرْمَى** في الغرفة التي تتسع لأربعة **أكثر** من عشرين: **لا** يقدرون على النوم، **ولا** الحركة، **ولا** توجد دَوْرَاتُ مِيَاهٍ، **ولا** تَهْوِيَةٌ، **ولا** يُسْمَحُ لهم بالزيارة، **ولا** دخول الأطباء للرعاية الصحية، **ولا** يُوَفَّرُ الغذاء الذي يليق بآدميتهم.

**وقد** يُغَيَّبُ السَّجِينُ لسنوات لا يدري أهله أين هو؟! **وهناك** سجناء قابعون لسنوات **بدون** أحكام، **وبدون** تهمة واضحة، **وكثير** من السجناء قد انتهت فترة سجنهم **وما** يزالون قابعين في السجن، **وَالْبَعْضُ** مُعْسِرُونَ؛ **وَتَمُرُّ** السنوات وهم

خلف القبضان؛ **فلا** نصير، **ولا** مجير، **ولا** راحم!

**وما** يُسَمَّى بوكلاء النيابات، والقضاة **عبارة** عن ذئاب عليها ثياب **إلا** من عصم الله.

**وقد** يذهب أحدهم للعمرة **أو** للحج، **أو** يتمتع بالإجازة القضائية الطويلة **وهو** يعرف أنه قد سجن أُنَاسًا؛ **وَوَاجِبُهُ** يُحَتِّمُ عَلَيْهِ سرعة النظر في قضيتهم والمبادرة بالحسم؛ **فَيَصْدُقُ** على مثل هؤلاء **وَمَنْ** وَلَّاهم **قول** النبيﷺ: «**دَخَلَتِ** امْرَأَةٌ النَّارَ **فِي** هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا؛ **فَلَا** هِيَ أَطْعَمَتْهَا، **وَلَا** هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ **حَتَّى** مَاتَتْ هَزْلًا» [مسلم 4/ 2110 رقم 2619].

**بل** هناك ما هو أفظع وأشنع: **وهو** التعذيب الوحشي؛ **إذ** يُعَلَّقُ السَّجِينُ كالذبيحة لساعات! **ويُصَابُ** بَعْضُهُمْ بِتَلَفِ بَعْضِ الْحَوَاسِّ، **وبعضهم** يُكْسَرُ عَظْمُهُ، **ويَلْحَقُ** بالْمُعَذَّبِ من الضرب والصفع والشتم والإيذاء **ما لا** يمكن أن يفعله بشر له مشاعر وأحاسيس، **لكن** ذلك واقع، وحادث، وحاصل في سجون اليمن! **وفي** سجون البلدان التي يحكمها الطغاة، **ولا** غرابة أن تسمع بنسف السجن وَمَنْ فيه، **وأن** تكتشف الْمَقَابِرُ الْجَمَاعِيَّةُ! **وقد** حدث في الفترة الأخيرة لأحد طلابي ومعارفي **وهو** في عمر السابعة عشرة **أن** كُسِرَتْ جُمْجُمَتُهُ وَأَسْنَانُهُ، وفقئت عيناه وهو حي يتلوى! **وبعد** أن لفظ أنفاسه تحت هذه الوحشية التي لا تفعلها الحيوانات المفترسة **أطلقوا** النار على جثته الهامدة!!!

**والحقيقة** فإنه لا يحضرني قاموس لاستيعاب الفظائع التي لم يَرْتَكِبْ مِثْلَهَا **إلا** أبو الدوانيق الملك العباسي الثاني قبحه الله **الذي** رمى بكوكبة من أئمة آل البيت الأطهار: **يقدمهم** الإمام الجليل الكامل والد الأئمة عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب **في** سرداب تحت الأرض، **لا** يعرفون الليل من النهار! **وإذا** مات أحدهم ترك جثته عندهم، **وكان** يبني على بعضهم وهو حي!

**وقد** وقفت في طريقه قبحه الله ابنة الإمام عبدالله الكامل **تستعطفه** على أبيها

وأهلها **فنزل** بعد ذلك بنفسه إلى المطبق **ففقأ** عيني بعضهم بأصابعه!

**فهؤلاء** الجفاة القساة الأجلاف المتوحشون **قد** فاقوا فرعون ذي الأوتاد!

**وهذا** حاصل في عصر الدول التي تدعي رعاية حقوق الإنسان، **بل** هي التي ترعى الطغاة، وتحافظ على المستبدين، وتمدهم بوسائل القمع وأدوات التعذيب، وتتفنن في إذلال الشعوب، وإثارة الفتن والحروب؛ **إذ** لا هَمَّ لها إلا مصالحها، وإنعاش الصناعة الحربية لديها؛ **لتصدرها** لأذنابها في الدول المنكوبة، **وعلى** رأسها الدول العربية.

**ثم** إن السجناء المظلومين **لا** يظفرون بكلمة اعتذار، **ولا** يأخذون حقهم ممن أذاقهم الويل في فترة اعتقالهم، **ولا** يعرفون ما سبب حبسهم! **فيا ترى** كيف سيتصرف الإمام علي **أو** الهادي **لو** شاهد مثل هذه الأوضاع؟!

**حَقًّا أقول:** إذا بُنِيَتْ علاقة الحاكم مع الرعية **على** أساس المحبة لهم، والرحمة بهم؛ **فإنها** ستخفف عنه مؤونة كبيرة في إدارته لهم، **وكبح** جماحهم، **وإيقاف** المتعدين عند حدودهم، **وتُمَكِّنُهُ** من إكمال مهامه **بأقل** عدد من الجيوش والجنود، **وَخُصُوصًا** إذا علموا أن حاكمهم إِنْ حَمَّلَهُمْ مَغْرَمًا **فهو** عائد عليهم، **وإِنْ** عَاقَبَ أَحَدًا منهم **فَإِنَّ** ذلك لمصلحتهم؛ **وهذا** الشعور لا يتأتى للحاكم بسهولة **ما لم** يتبع أُمُورًا تَضَمَّنَهَا إِرْشَادُ الإمام علي عليه السلام **وهي** كما يلي:

1- **أَنْ** يَشْعُرَ هُوَ أَوَّلًا بِأَنَّهُ يُحِبُّ الرعية، ويرحمهم، ويلطف بهم.

**ومعنى أَشْعِرْ:** اجْعَلْ محبة الناس مُلَاصِقَةً لقلبك كملاصقة الثوب المباشر للجسد المسمى بالشعار؛ **فإذا** امتلأ قلبك بالرحمة للغير **فَاضَ** بالمحبة، واللطف، والشفقة؛ **ولاسيما** مَنْ هم ضِمْنُ مَسْؤُولِيَّاتِكَ؛ **إِنَّ** مَحَبَّةَ الغير، والرِّفْقَ بهم، وتَكْرِيمَ آدميتهم، والتَّعَامُلَ معهم بلين من غير ضعف، وقوة من غير عنف- **إنما** هي **نفحة** من الرحيم الرحمن، **وبُرْهَانٌ** على صدق الإيمان؛ **قال** تعالى: ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ**﴾[آل عمران:159]، **وقال** تعالى: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ**

﴿مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح:29].

2- **أن** لا يكون بينهم كالسبع الضاري بين الخراف الوديعة: **يَسْتَغِلُّ** سلطاته في فرض الضرائب والإتاوات التي تُنْهِكُهُمْ، **وَيَسْتَحْوِذُ** عليها لنفسه، **وَيُتْخِمُ** بها خزائنه، **ويرفع** بها أرصدته، **ويُفْرِطُ** في العبث والرفاهية هو وَمَنْ يدور في فلكه؛ **قال** تعالى:﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:188]؛ **ويؤكد** الإمام علي عليه السلام على الحقوق الإنسانية؛ **فيقول**: الناس صنفان:

**إِمَّا** أخ لك في الدين؛ **فله** حق الْأُخُوَّةِ الدينية، **وحق** الْأُخُوَّةِ الإنسانية.

**وَإِمَّا** نظير لك في الْخَلْقِ **وهم** غير المسلمين؛ **فلهم** حق الإنسانية، والمواطنة؛ **وكِلَا** الصنفين له حق العيش؛ **في** ظل الأمان والعدل، **وَكِلَا** الصنفين **بحاجة** إلى التقويم والتهذيب **على** قاعدة: **القَوِيُّ** ضَعِيفٌ **حَتَّى** يُؤْخَذَ الْحَقُّ مِنْهُ، **والضَّعِيفُ** قَوِيٌّ **حَتَّى** يُؤْخَذَ الْحَقُّ لَهُ.

3- **أَنْ** يَعْلَمَ أَنَّ الرَّعِيَّةَ مع الوالي كالأطفال مع الأبوين، **وما** داموا يعيشون مَعًا في مجتمع واحد؛ **فَكُلٌّ** واحد منهم مُعَرَّضٌ للأخطاء: **سواء** كانت الأخطاء عن قصد، **أو** غير قصد؛ **فَيُعَامِلُهُمْ** وفق شرع الله سبحانه.

4- **أن يتعامل** معهم بالعفو والصفح **في** الأمور التي يكون الْعَفْوُ فيها مَوْكُولًا للحاكم، **وليس** لأحد من الرعية فيها حق، **وإلا** فالأمر إليه: **إن** شاء عفى، **وإن** شاء أخذ حقه.

5- **عدم** الندم على العفو؛ **لأن** الْعَفْوَ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ من العقوبة؛ **وَالْعَفْوُ** هو الأصل، **والْعُقُوبَةُ** استثناء؛ **قيل**: «عَفْوُ الْمُلُوكِ أَبْقَى لِلْمُلْكِ».

**وروي** عن الإمام علي عليه السلام: «**لَأَنْ** أُخْطِئَ فِي الْعَفْوِ **أَحَبُّ** إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُخْطِئَ فِي الْعُقُوبَةِ»[1]، **وهناك** اليوم قاعدة: «الْمُتَّهَمُ بَرِيءٌ حَتَّى تَثْبُتَ إِدَانَتُهُ»، **وهي** قاعدة

(1) المجموع الفقهي333، وعبدالرزاق7/ 347 رقم13437.

إسلامية، إنسانية؛ **فالأصل** براءة الذمة.

**لقد** نهاه عن البطش والقسوة؛ **فالوالي** يجب أن يكون كالطبيب **لا** يفعل **إلا** ما ينفع المريض **حتى** لو بَتَرَ عُضْوًا منه.

6- **لَا تَفْتَخِرْ** وَتُظْهِرْ مَزْحَكَ **إذا** شَفَيْتَ غَيْظَكَ مِنْ أَحَدِ الرَّعِيَّةِ؛ **وتَذَكَّرْ** أن الله سبحانه فوقك، **وطالما** سَتَرَ عَيْبَكَ، **وَغَفَرَ** ذَنْبَكَ، **وَصَفَحَ** عَنْ سَيِّئَاتِكَ، **ولا** زِلْتَ بحاجة إلى المزيد من عفوه وصفحه وغفرانه؛ **فَارْحَمُوا** مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ.

7- **إن** شعرت أيها الوالي بشيء من غرور السلطان **فبادر** بِتَمْرِيغِ أَنْفِكَ في التراب، **وتَذَكَّرْ** أنك مخلوق ضعيف، **وَأَنَّ** أَوَّلَكَ نُطْفَةٌ مَذِرَةٌ، **وَآخِرَكَ** جِيفَةٌ قَذِرَةٌ، **وَمَا** بَيْنَهُمَا تَحْمِلُ الْعَذِرَةَ: **تَقْتُلُكَ** الشَّرْقَةُ، **وَتُؤْذِيكَ** الْبَقَّةُ، **وَتَجْرَحُكَ** الشَّوْكَةُ! **وَمَنْ** أَنْتَ حَتَّى تُسَامِيَ اللهَ فِي عَظَمَتِهِ، وَتُحَاكِيَهُ فِي جَبَرُوتِهِ؟! **هَلْ** صَوْتُكَ الرَّعْدُ؟ وَنَظَرُكَ الْبَرْقُ؟ وَتَنَفُّسُكَ الرِّيحُ الْعَاصِفُ؟! ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾[عبس:17-22].

**وهذا** شاعر الْمَهْجَرِ إيليا أبو ماضي يقول [ديوانه318]:

نَسِيَ الطِّينُ سَاعَةً أَنَّهُ طِيْـ ... ـنٌ حَقِيرٌ فَصَالَ تِيْهًا وَعَرْبَدْ
وكَسَى الْخَزُّ جِسْمَهُ فَتَبَاهَى ... وَحَوَى الْمَالَ كِيْسُهُ فَتَمَرَّدْ
يَا أَخِي لَا تَمِلْ بِوَجْهِكَ عَنِّي ... مَا أَنَا فَحْمَةٌ وَلَا أَنْتَ فَرْقَدْ
أَنْتَ لَمْ تَصْنَعِ الْحَرِيرَ الَّذِي تَلْـ ... ـبَسُ وَاللُّؤْلُؤَ الَّذِي تَتَقَلَّدْ
أَنْتَ لَا تَأْكُلُ النُّضَارَ إِذَا جُعْـ ... ـتَ وَلَا تَشْرَبُ الْجُمَانَ الْمُنَضَّدْ
أَنْتَ فِي الْبُرْدَةِ الْمُوَشَّاةِ مِثْلِي ... فِي كِسَائِي الرَّدِيمِ تَشْقَى وَتَسْعَدْ
لَكَ فِي عَالَمِ النَّهَارِ أَمَانِي ... وَرُؤًى وَالظَّلَامُ فَوْقَكَ مُمْتَدْ
وَلِقَلْبِي كَمَا لِقَلْبِكَ أَحْلَا ... مٌ حِسَانٌ فَإِنَّهُ غَيْرُ جَلْمَدْ

8- **أن يَحْذَرَ الِاغْتِرَارَ باللهِ تَعَالَى،** والانخداع بحلمه؛ **فإنه** يُمْهِلُ ولا يُهْمِلُ! **فَإِنْ** حَدَثَتْ بِهِ أُبَّهَةٌ وَخُيَلَاءُ، وَانْتِفَاخٌ لأجل الرئاسة والإمارة **فَلْيَتَذَكَّرْ** عَظَمَةَ الله تعالى

**وقُدْرَتَهُ** على إعدامه **كقدرته** على إيجاده، **وقُدْرَتَهُ** على إماتته **كقدرته** على إحيائه؛ **فَإِنَّ** تَذَكُّرَ ذلك **يغُضُّ** من التَّعَظُّمِ والتَّكَبُّرِ **وَيُطَأْطِئُ** منه.

9- **عدم** استغلال السلطات واسْتِخْدَامِهَا في غير ما مُنِحَتْ من أجل تحقيقه؛ **لأن** ذلك يُفْسِدُ الْقَلْبَ، **وَيُضْعِفُ** الدِّينَ، **ويُلْقِي** بصاحبه إِلَى التَّهْلُكَةِ، **وَيُغَيِّرُ** الْأَحْوَالَ إلى السوء والشقاء.

**أقول:** لا تعجبوا لكنوز المحبة التي يختزنها ضَمِيرُ ابْنِ عم مَنْ وصفه ربه **فقال:** ﴿**لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾[التوبة: 128]؛ **فبأخلاق** هذا النبيﷺ تَخَلَّقَ، **وعلى** يديه تَرَعْرَعَ، **ومِنْ** مدرسته تَخَرَّجَ، **ومِنْ** مَعِينِهِ نَهَلَ **حتى** رَوِيَ؛ **فحاز** كُلَّ سَبْقٍ، **واستبد** بكل مجد، **واستأثر** بكل فضل، **ولم** تَفُتْهُ سوى النبوة؛ **وقد** بَيَّنَ درجته المصطفى نَفْسُهُ؛ **فقال:** «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»[1].

**وَلِكَيْ** نُعْطِيَ الإمام بعض حقه، **ونستفيد** منه؛ **فهو** القدوة، **وهو** إمام المتقين- **لَا بُدَّ** مِنْ أَنْ نُشِيرَ إلى كتابه العجيب لعامله على الصدقة؛ **فهو** يَنْبُوعُ رَحْمَةٍ، وَنَبْعُ شَفَقَةٍ وَإِنْسَانِيَّةٍ ، **وَدُسْتُورٌ** لأي عامل **حتى** يرث الله الأرض ومن عليها،

---

(1) حديث المنزلة من الأحاديث المتواترة. ينظر: الأحكام للهادي 1/ 38، والأمالي الصغرى 104، وتيسير المطالب 50، والبخاري رقم 4154، 3503، ومسلم 2404، وابن ماجة رقم 115، 121، والنسائي في الخصائص 60، والطبراني في الكبير 1/ 146 رقم 148، و2/ 247 رقم 2035، و4/ 20 رقم 220، والطبراني في الأوسط 2728، وأبو يعلى رقم 379، وابن حبان 15/ 369 رقم 6926 رقم 6927، والحاكم في المستدرك 3/ 108- 109، وعبدالرزاق رقم 20390، والحميدي في مسنده رقم 71، والترمذي 3730 -3731، وأحمد في المسند 1/ 379 رقم 154، 1608، و10/ 307 رقم 27149، وسنن ابن ماجة 1/ 45 رقم121، وأسد الغابة 4/ 100، وابن كثير 5/ 11، وفتح الباري 8/ 91، والاستيعاب 3/ 201، والإصابة 2/ 502، ومجمع الزوائد 9/ 109، و الجامع الكبير للسيوطي 16/ 26 رقم 7887، 2/ 195 رقم 4799، والتأريخ الكبير للبخاري 1/ 115، وابن أبي شيبة 6/ 366 رقم 32072، 32075، وابن سعد 3/ 23-25، والبداية والنهاية 5/ 11، وكفاية الطالب ص 281، وشواهد التنزيل 1/ 150 رقم 204-205، والطبري 3/ 104، ومناقب ابن المغازلي 79-87 رقم 40-56، وتأريخ دمشق 1/ 306-393، وعيون الأثر 2/ 294، وتأريخ بغداد 4/ 204، والسيرة النبوية لابن كثير 4/ 12-13، والاكتفاء 2/ 273، والسيرة الحلبية 3/ 132، وحلية الأولياء 7/ 196.

**وليس** مُوَجَّهًا لواحد **بل** هو سياسة متبعة تجاه كل ذي روح؛ **فلنستمع** لوصايته بالبهائم، **وحرصه** على راحة الدواب، **حتى** ليتمنى المرؤ من باب الضجر الذي نحن فيه، والامتهان لكرامة الإنسان **أَنْ** يكون في عصر هذا الإمام بهيمة؛ **لينال** ذلك الحق، والرحمة، والكرامة.

**وهذا** نص الوصية التي كان يكتبها ﷺ لمن يستعمله على الصدقات [النهج:559]:

**انْطَلِقْ** عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، **وَلَا** تُرَوِّعَنَّ مُسْلِمًا، **وَلَا** تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهًا، **وَلَا** تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ! **فَإِذَا** قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِّ **فَانْزِلْ** بِمَائِهِمْ **مِنْ** غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ ، **ثُمَّ** امْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ **حَتَّى** تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ، **وَلَا** تُخْدِجْ بِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ، **ثُمَّ تَقُولَ:** عِبَادَ اللَّهِ، **أَرْسَلَنِي** إِلَيْكُمْ **وَلِيُّ اللَّهِ** وَخَلِيفَتُهُ **لِآخُذَ** مِنْكُمْ حَقَّ اللَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ؛ **فَهَلْ** لِلَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إِلَى وَلِيِّهِ؟ **فَإِنْ** قَالَ قَائِلٌ: لَا، **فَلَا** تُرَاجِعْهُ!

**وَإِنْ** أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ **فَانْطَلِقْ** مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ، **أَوْ** تُوعِدَهُ، **أَوْ** تَعْسِفَهُ، **أَوْ** تُرْهِقَهُ!! **فَخُذْ** مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ .

**فَإِنْ** كَانَ لَهُ مَاشِيَةٌ **أَوْ** إِبِلٌ **فَلَا** تَدْخُلْهَا **إِلَّا** بِإِذْنِهِ؛ **فَإِنَّ** أَكْثَرَهَا لَهُ. **فَإِذَا** أَتَيْتَهَا **فَلَا** تَدْخُلْ عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ، **وَلَا** عَنِيفٍ بِهِ، **وَلَا** تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَةً، **وَلَا** تُفْزِعَنَّهَا، **وَلَا** تَسُوءَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا. **وَاصْدَعِ** الْمَالَ صَدْعَيْنِ، **ثُمَّ** خَيِّرْهُ **فَإِذَا** اخْتَارَ **فَلَا** تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ. **ثُمَّ** اصْدَعِ الْبَاقِيَ صَدْعَيْنِ، **ثُمَّ** خَيِّرْهُ، **فَإِذَا** اخْتَارَ **فَلَا** تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ، **فَلَا** تَزَالُ كَذَلِكَ **حَتَّى** يَبْقَى **مَا** فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ؛ **فَاقْبِضْ** حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ.

**فَإِنِ** اسْتَقَالَكَ فَأَقِلْهُ، **ثُمَّ** اخْلِطْهُمَا، **ثُمَّ** اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلًا؛ **حَتَّى** تَأْخُذَ حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ. **وَلَا** تَأْخُذَنَّ عَوْدًا، **وَلَا** هَرِمَةً، **وَلَا** مَكْسُورَةً، **وَلَا** مَهْلُوسَةً، **وَلَا** ذَاتَ عَوَارٍ[1].

---

(1) **عَوْدًا**: الْمُسِنَّةُ من الإبل. **وَالْهَرِمَةُ**: أَسَنُّ من العود. **وَالْمَهْلُوسَةُ**: الضعيفة. **والْعَوَارُ**: العيب.

**وَلَا** تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا **إِلَّا** مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ، **رَافِقًا** بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ **حَتَّى** يُوصِلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ؛ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ.

**وَلَا** تُوَكِّلْ بِهَا **إِلَّا** نَاصِحًا شَفِيقًا، **وَأَمِينًا** حَفِيظًا؛ **غَيْرَ** مُعْنِفٍ، **وَلَا** مُجْحِفٍ، **وَلَا** مُلْغِبٍ، **وَلَا** مُتْعِبٍ. **ثُمَّ** احْدُرْ إِلَيْنَا **مَا** اجْتَمَعَ عِنْدَكَ نُصَيِّرْهُ **حَيْثُ** أَمَرَ اللَّهُ بِهِ.

**فَإِذَا** أَخَذَهَا أَمِينُكَ **فَأَوْعِزْ** إِلَيْهِ **أَلَّا** يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَبَيْنَ فَصِيلِهَا، **وَلَا** يَمْصُرَ لَبَنَهَا؛ **فَيَضُرَّ** ذَلِكَ بِوَلِيْدِهَا. **وَلَا** يُجْهِدَنَّهَا رُكُوبًا؛ **وَلْيَعْدِلْ** بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَبَيْنَهَا، **وَلْيُرَفِّهْ** عَلَى اللَّاغِبِ، **وَلْيَسْتَأْنِ** بِالنَّقِبِ وَالظَّالِعِ، **وَلْيُورِدْهَا** مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْغُدُرِ، **وَلَا** يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الْأَرْضِ **إِلَى** جَوَادِّ الطُّرُقِ، **وَلْيُرَوِّحْهَا** فِي السَّاعَاتِ، **وَلْيُمْهِلْهَا** عِنْدَ النِّطَافِ وَالْأَعْشَابِ؛ **حَتَّى** تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ بُدَّنًا مُنْقِيَاتٍ[1] غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ، **وَلَا** مَجْهُودَاتٍ؛ **لِنَقْسِمَهَا** عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ؛ **فَإِنَّ** ذَلِكَ **أَعْظَمُ** لِأَجْرِكَ، **وَأَقْرَبُ** لِرُشْدِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

**تَعَالَوْا** يَا رُحَمَاءَ الْعَالَمِ، **ويَا** أَصْحَابَ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ، **ويَا** أَيُّهَا الْمُنَادُونَ بِالرِّفْقِ بخلق الله تعالى! **تَعَالَوْا** فَاسْتَمِعُوا لهذا الكلام **الذي** يَفِيضُ رَحْمَةً وَلُطْفًا وَعَطْفًا وَشَفَقَةً وَرِقَّةً؛ **كَأَنَّهُ** غَيْثٌ مُنْهَلٌّ عَلَى أَرْضٍ مُجْدِبَةٍ، **أَوْ** قَطَرَاتِ النَّدَى فَوْقَ أَزَاهِيرِ الرُّبَى! **فهذه** رحمته بالحيوان **فما** بالكم بالإنسان!.

**إن** حياة الإنسان العربي **لا تطاق**: المنزل، والتلفون، والمسجد، والبريد، والمخرج، والمدخل **كُلُّهُ** مُرَاقَبٌ؛ **فكأنك** تتنفس من خَرْمِ إِبْرَةٍ، **أو** تعيش في قَعْرِ جُبٍّ، **بل** أعيش ويعيش السواد الأعظم في الدول العربية خاصة في قبضة براثن

---

(1) **النَّقَبُ**: رقة خُفِّ البعير حتى تكاد الأرض تجرحه: **أمره** أن يستأني بالبعير ذي النقب، من الأناة، وهى المهلة. **والظالع**: الذى ظلع، أي غمز في مشيه.

**والغُدُرُ**: جمع غدير: الماء.**وجواد الطريق**: حيث لا ينبت المرعى. **والنِّطَافُ**: جمع نطفة، **وهى** الماء الصافي القليل. **والْبُدَّنُ**: السمان، **واحدها** بادن.

**ومنقيات**: ذوات نَقْيٍ، **وهو** المخ في العظم، والشحم في العين من السِّمَنِ، **وَأَنْقَتِ** الإبل وغيرها: سَمِنَتْ وصار فيها نقي، **وناقة** منقية، **وهذه** الناقة لا تنقي.

وحوش جائعة، وسباع ضارية، ومخالب جوارح كاسرة.

**وكأن** الإمام ﷺ ينظر من وراء الغيب **حين** قال للأشتر ما قاله.

**يا أمير المؤمنين** إن شعب مصر الطيب **ثار** على مُسْتَبِدٍّ جَثَمَ على صدورهم 30سنة، **وجَنَّدَ** قُرَابَةَ مليوني شرطي ومخبر؛ **للبطش** بمن عارضه، **وَقَهْرِ** من قاومه، **أَذَلَّ** الشَّعْبَ، وَأَفْقَرَهُ، وَأَجَاعَهُ، **وَمِنْ** جملة وسائل القمع **جهاز** أمن الدولة الذي أحيا دولة فرعون: **يُذَبِّحُ** به أَبْنَاءَ مصر، **ويستحيي** نساءهم؛ **إنه** كان من المفسدين.

**وسمعنا** في وسائل الإعلام بأن ثروته بلغت 70 مليار دولار، والله أعلم بالحقيقة.

**وقبله** طاغية تونس **حكم** شعبه بالحديد والنار 23 سنة، **ولحق** بهما طاغية ليبيا وهو أظلم وأطغى، **كتم** أنفاس الشعب الليبي الكريم أكثر من 42 سنة، **وبقية** الطغاة يتلاحقون، **وَمَنْ** سقط منهم لم تبك عليه السماء والأرض، **بل** ربما تحسرت عليهم إسرائيل؛ لتفانيهم في خدمة مصالحها.

**وقد** سمعت وسمع العالم مجنون ليبيا **وهو** يقول: **أنا** ليبيا، **أنا** المجد، **أنا** ملك ملوك أفريقيا، **من** لا يحبني لا يستحق الحياة! **ويقول** شاتمًا للثوار ضده: لماذا ثار هؤلاء الجرذان؟ **سأقتلهم** فَرْدًا فَرْدًا، **وألاحقهم** دَارًا دَارًا، زنقة زنقة...إلخ.

**وفتحت** كَتَائِبُهُ التي تربت على تأليهه، والمرتزقة من أكلة لحوم البشر أفارقة وغيرهم **نَارَ** جهنم على رؤوس الشعب بالصواريخ والطائرات، **إضافة** إلى تداعي القوات الصليبية **التي** جاءت وَعَيْنُهَا على النفط الليبي، **وبَيَّتَتِ** النِّيَّةَ على تدمير ليبيا؛ **ليتسنى** لها بعد ذلك كسب عقود البناء، وتصدير الأسلحة، ونحو ذلك من سلب ثروات الشعوب المغلوبة، **وقد** قُتِلَ من أبناء الشعب الليبي **حتى** مصرع الطاغية قُرَابَةَ مائة ألف، **ناهيك** عن الجرحى، والمشردين، وتدمير البلد، والمآسي التي لا حصر لها، **وهاهم** اليوم يتصارعون.

**واليمن** تنحدر مِنْ سَيِّءٍ إلى أسوأ **منذ** حكمها العسكر! **وماذا** عسى أن أصف

حال بلاد يحكمها جُهَّالٌ مغامرون؟! **أغلبهم** لم يقعدوا لدى مُعَلِّمٍ قط؛ **وإنما** تعلموا بصعوبة **كيف** يوقعون القرارات والأوامر!.

**ولا** أطيل في هذا **بل** سأضرب أمثلة تتعلق بالتعليم في اليمن:

**المثال الأول:** قال محافظ ممن مَرَّ على بلاد الجوف: يوجد بالمحافظة ألف وثمانمائة مُدَرِّسٌ لا يعرفون القراءة والكتابة! **ولا** تستغربوا ذلك؛ فالناس على دين ملوكهم.

**المثال الثاني:** في محافظة حجة **وأنا** منها: **كان** يَدْفَعُ مَنْ يريد الحصول على درجة أستاذ **أو** وكيل مدرسة خمسين ألف ريال، **ثم** ارتفعت إلى ثلاثمائة ألف قابلة للزيادة!.

**ولا أطيل**؛ فهذه المصائب أصبحت مألوفة؛ **فإذا** ٱنْهَارَ البلد تَعْلِيمِيًّا **انْهَارَ** أَخْلَاقِيًّا، وَاقْتِصَادِيًّا، وَاجْتِمَاعِيًّا! **وهل** يَرَى النُّورَ شَعْبٌ يَقُودُهُ ظَلَامٌ؟!.

**سَأَلْتُ طَالِبًا مِنْ قَرَابَتِي:** ما سِرُّ حُصُولِكَ في امتحان شهادة الثانوية على نسبة تؤهلك لدخول كلية الطب؟! **هل** الدراسة جادة والمدرسون أكفاء؟ **قال**: لا. **قلت:** هل أنت ذَكِيٌّ جاد مثابر؟ **قال:** لا. **قلت:** هل حَصَلْتَ على الدرجة الرفيعة بالغش؟ **قال** مستغربًا: لا أقدر على الغش **ولو** وضعوا كتب المنهج أَمَامِي! **قلت:** فما الحكاية إذن؟ **قال:** يدفع كل طالب ألفين أو نحوها، **وَمُدِيرُ** الْمَدْرَسَةِ وَالْمُدَرِّسُونَ والمركز التعليمي للمحافظة والمجلس المحلي **يوفرون** من يكتب الإجابات، **وبقدر** ما ندفع ترتفع الدرجات!!

**وهناك** عجيبة أخرى: **فالمجالس** المحلية **تتنافس** في رصد الدرجات العالية، **وتعميم** النجاح على الجميع خِدْمَةً لأبناء المنطقة، **وحِرْصًا** على مصالحهم!.

**وهذا** الوضع ربما هو موجود في كثير من مدارس الريف اليمني خاصة.

**ومن الغرائب** أَنَّ الْقَاضِيَ عِنْدَنَا شُرْطِيٌّ **لا** علاقة له بالشريعة، **ولم** يدرس علم الحلال والحرام، **مع** احترامي للنادر منهم.

**وإذا كانت** حياة موظفينا قائمة على عمارة بطونهم وفروجهم - **فلتذهب** حياة الناس وسعادتهم إلى الجحيم، **وبقدر** ما يبحث الجائعون عن لقمة عيش **ولو** من براميل القمامة- **تُمْعِنُ** القصور الرئاسية **وما** دونها في البذخ والرفاهية وبعثرة الثروات **على** حساب أَقْوَاتِ شَعْبٍ **قد** أُهْدِرَتْ كَرَامَتُهُ، **ومُسِخَتْ** شَخْصِيَّتُهُ، **وَتَشَوَّهَتْ** فِطْرَتُهُ، **وصارت** طَوَائِفُ من أبنائه **تُحِبُّ** الذُّلَّ **كَمَا** يُحِبُّ الْأَحْرَارُ الْكَرَامَةَ؛ **فحياتهم** تشبه حياة دود العذرة **تموت** إن فارقتها!.

## [الإنصاف والوسطية]

**أَنْصِفِ اللَّهَ، وَأَنْصِفِ النَّاسَ: مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ ؛ فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ ؛ وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ؛ وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ، وَكَانَ لِلَّهِ حَرْبًا حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ؛ وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ، وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ - مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ.**

**وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ؛ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخَاءِ، وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ، وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ، وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ، وَأَقَلَّ شُكْرًا عِنْدَ الْإِعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عُذْرًا عِنْدَ الْمَنْعِ، وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ - مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ.**

**وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ، وَجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ -الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ؛ فَلْيَكُنْ صَغْوُكَ لَهُمْ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ.**

**إذا** عرفت قيمتك، وحجمك، وَقَدْرَكَ، **وأنك** تحت قدرة الله ورقابته - **فأنصف** الله، وأنصف الناس من نفسك.

**إِنَّ** إِنْصَافَ اللهِ **هو** القيام له بما فرض عليك **من** عبادات بأدلة السمع،

**أو** واجبات بدليل العقل. **وأما** الإنصاف من النفس، **ومِنَ** الأهل **فَمِنْ** أُسُسِ العدل، واستقامة أمر الدول؛ **فإذا** لم يكن الوالي قدوة لشعبه **فسيفقد** احترامه، **وتسقط** منزلته؛ **لأن** فاقد الشيء لا يعطيه.

**والمرتضى** كرم الله وجهه تَرْجُمَانُ المصطفىﷺ **الذي** قال: «لَوْ سَرَقَتْ فَاطِمَةُ - صَانَهَا اللهُ- لَقَطَعْتُ يَدَهَا»[1]. **وقال** لأخيه، ووصيه، وبطل أبطاله يوم فتح مكة **عندما** اقترح على النبيﷺ **أَنْ** يَضُمَّ سِدَانَةَ البيت إلى بني هاشم: «**إِنَّمَا** أُعْطِيكُمْ **مَا** تُرْزَؤُنَ **لَا** مَا تَرْزَؤُنَ! **الْيَومُ** يَوْمُ بِرٍّ وَوَفَاءٍ»! **وَرَدَّ** مِفْتَاحَ الكعبة إلى عثمان بن طلحة الذي كان سَادِنًا لها.

**نعم:** فما اختاركم الله يا بني هاشم معدنا للنبوة **إلا** لتكونوا قدوة؛ **ولأنكم** أَقْدَرُ مِنْ غَيْرِكُمْ على لَجْمِ هوى النفس، وَكَبْحِ جِمَاحِهَا؛ **ولأنكم** أَصْبَرُ الناس على تحمل مشاق الْمُجَاهَدَةِ، **وأنتم** أولى الناس بإيثار الغير على أنفسكم؛ **فَتَرَفَّعُوا** عن سفاسف الدنيا، **وتنزهوا** عن تَرُّهَاتِهَا؛ **إن** الله أراد لكم أن تكونوا ملوك الجنة، **فلا** تكونوا عبيد الدنيا.

**تَطَبَّعَ** عَلِيٌّ بهذا الطبع قَوْلًا وَعَمَلًا، **وَتَخَلَّقَ** بأخلاق النبي الكريم ﷺ؛ **فكان** وَفِيًّا أَمِينًا على رسالة رسول اللهﷺ الذي **لم** يَتْرُكْ تَهْذِيبَهُ، وَتَعَهُّدَهُ، **ومَحْوَ** حُبِّ الدنيا من قلبه، **وَإِفَاضَةَ** حُبِّ الله ورسوله والدار الآخرة **على** روحه وعقله وقلبه ونفسه، **وما** نَسِيَ ﷺ سَاعَةَ جَاءَهُ مَعَ الزَّهْرَاءِ بَضْعَةِ قلب أبيها يطلبان منه خَادِمًا تُسَاعِدُ البتول على شؤون البيت؛ **فنظر** إليهما نَظْرَةَ المشفق الحاني؛ **وقال**: «أَأُعْطِيكُمَا وَأَدَعُ فُقَرَاءَ المسلمين؟! **أَلَا** أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ؟ **إِذَا** أَوَيْتُمَا إلى فِرَاشِكُمَا **فَقُولَا**: سُبْحَانَ اللهِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَالْحَمْدُ للهِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاللهُ أَكْبَرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ؛ ذَلِكُمَا خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ»[2].

---

(1) النسائي 8/ 74 رقم4901.

(2) البخاري رقم 5959، ومسلم رقم 2727، وأبو داود 2/ 735 رقم 5092، والترمذي 5/ 477 رقم 3408.

**ثم** قسم العمل بينهما: **فتقوم** فاطمة بعمل البيت في الداخل، **وعلي** في الخارج! **ويا** دار ما دخلك شر.

**فالإنصاف** هو العدل؛ **وقد** أمر الله بالعدل؛ **فقال**: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ**﴾[النحل:90]؛ **وَمَنْ** لَمْ يَعْدِلْ فَقَدْ ظَلَمَ؛ **وقد** حَرَّمَ الله الظلم على نفسه **وحَرَّمَهُ** على عباده؛ ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ**﴾[النساء:40]، ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ**﴾[يونس:44]، ﴿**وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا**﴾[الكهف:49]؛ **وَحَرَّمَ** الله على الإنسان **أَنْ** يظلم نفسه؛ **فما** بالك أن يظلم غيره؛ **قال** تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا**﴾[النساء:97]، **ولقد** أوجب الله تعالى العدل والإنصاف **مع** مَنْ نُحِبُّ ونَكْرَهُ، **ومن** نختلف معه **أو** نتفق؛ **قال** تعالى: ﴿**وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ**﴾[المائدة:8]؛ **فَعَاقِبَةُ** الظُّلْمِ وَخِيمَةٌ؛**قال** تعالى: ﴿**وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا**﴾[الفرقان:27]؛ **فالمولى** عز وجل **يُمْهِلُ** الظَّالِمَ **وَلَا** يُهْمِلُهُ؛ **فإذا** أخذه فلن يُفْلِتَهُ، **وإِنَّ** لِلظَّالِمِ يَوْمًا يتمنى أن أمه لم تَلِدْهُ.

**إِنَّ** أَشْنَعَ الظُّلْمِ وَأَبْشَعَهُ وَأَقْبَحَهُ ظُلْمُ الْوَالِي لِرَعِيَّتِهِ، **وكذا** كل ظالم لا يتمكن المظلوم من رد ظلمه؛ **وَالْوَيْلُ** لِمَنْ ظَلَمَ مَنْ لم يجد له نَاصِرًا إِلَّا اللهُ؛ **إِنَّ** دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ لَا تُرَدُّ؛ **والظُّلْمُ قِسْمَانِ:**

**القسم الأول:** أَنْ يَظْلِمَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ **بِتَفْرِيطِهِ** فيما يجب عليه نحو ربه: **كأن** يكفر بالله، **أو** يرتكب ما دون ذلك من المعاصي، **أو** يُقَصِّرَ في الواجبات؛ **وهذا** اللون من الظلم **يُمْكِنُ** إِزَالَتُهُ بالتوبة النصوح: **وهي** تَدَارُكُ مَا فَرَطَ، **وَإِصْلَاحُ** مَا فَسَدَ: **فيقضي** فوائت الصلاة و الصيام، **ويتوقف** عن ارتكاب

المعاصي، **ويندم** على ما فعل، **ويعزم** على أن لا يعود؛ **ليلقى** الله مُؤْمِنًا بلسانه وقلبه، **ومُصَدِّقًا** ذلك بجوارحه؛ **فيعمل** كُلَّ ما أمره الله بعمله، **وينتهي** عن كل ما نهى الله عنه.

**القسم الثاني:** ظُلْمُ العبد لغيره: **وأَفْدَحُ** هذا الظُّلْمِ **ظُلْمُ** الوالي لرعيته: **يقتل** الأبرياء، **أو** يحبسهم، **أو** يُرَوِّعُهُمْ، **أو** يَسْلُبُ أموالهم لغير مصلحة عامة، **أَوْ** لَهَا بدون تعويض عادل، **أو** يحتجب عنهم، **أو** يحابي في الوظائف أقاربه، **أو** أصدقاءه، **أو** المتزلفين المنافقين، **أو** أهل السطوة؛ **لغرض** كسبهم.

**والحديث** عن حُكَّامِ هذا الزمان **الذي** نحن فيه، **وبيان** احترافهم للقتل، والتعذيب، والاستحواذ على أموال الناس العامة والخاصة والأوقاف، **وانتهاكهم** للمحرمات بدون حدود ولا قيود، **وفتح** باب الرشوة على مصراعيه، والربى، والكذب، والخداع، والنفاق- **يحتاج** إلى لغة وقواميس تساعد اللغة العربية العاجزة عن وصف حالهم، وشرح حقيقتهم؛ **رغم** ثرائها، ووفرة مترادفاتها؛ **لأنهم** قد فاقوا إبليس، وابتكروا من الشرور والآثام وثقالة الطباع، وقساوة القلوب، والعجرفة، وبرودة الدم **ما لم** يكن في خيال الشيطان، **ولا** وسائله القديمة **مُقَارَنَةً** بتفوق الخُبْثِ الحضاري، **وتطور** الرجس الحديث كتطور الأسلحة الفتاكة ذات التدمير الشامل: **يكنز** أحدهم عشرات المليارات من الدولارات، وقناطير الذهب، وأغلى أحجار الماس، واللؤلؤ، والجواهر!

**بينما** جماهير الفقراء يتضورون جُوعًا، **ويلجأ** بعضهم لمقالب القمامة **لعله** يجد ما يسد رمقه ورمق أطفاله.

**وفي اليمن** يزحف الألوف من الأطفال البائسين **من** الإناث والذكور **مَشْيًا** على الأقدام عبر الحدود الشمالية إلى السعودية، وَأَعْمَارُهُمْ دون الخامسة عشرة: **فمنهم** من يُسْتَغَلُّ جِنْسِيًّا. **ومنهم** من يرعى الأغنام في الصحراء الحارقة. **ومنهم**

من يَمْتَهِنُ التَّسَوُّلَ. **ومنهم** من يُمْتَهَنُ في أي عمل **لا** يناسب طفولته، **أو** آدميته إن كان كبيرا. **ومنهم** من يَلْدَغُهُ ثعبان، **أو** يفترسه سبع، **أو** يموت عطشًا وجوعًا، **أو** يسقط من الحر والإعياء. **ومنهم** من يسقط برصاص حرس الحدود. **ومنهم** من يُحرَقُ **كما** حصل لمجموعة تقارب العشرين الذين تناقل الناس أخبارهم! **ويتبادل** القادة بعد ذلك **التهاني** بالمناسبات! **وبنجاح** الفحص الطبي، **أو** الشفاء من نزلة البرد، **أو** ارتفاع الضغط، **ويشيدون** بالعلاقة المتينة بين البلدين الشقيقين، **والعمل** على تطويرها بما يعود بالنفع على الشعبين، **وخاصة** شعب اليمن الذي يلاقي أبناؤه كل أصناف الذل، وألوان المهانة.

**واللَّوْمُ** على حُكَّامِ اليمن؛ **الذين** أهانوا كرامة الإنسان اليمني **وأمعنوا** في احتقاره وإذلاله؛ **لأنهم** لا يهتمون **إلا** بأنفسهم وكراسيهم؛ **فصار** الجميع مَهِينًا.

**مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيْلَامُ**

**والمشكلة أنهم** يحسبون **أنهم** يحسنون صنعا: **يرون** في بلادتهم ذَكَاءً، **وفي** كذبهم صِدْقًا، **وفي** غدرهم وَفَاءً، **وفي** خيانتهم أَمَانَةً، **ويرون** الحرام حَلَالًا، والحلال حَرَامًا، **ويعتبرون** مَنْ يَئِنُّ مِنْ ظلمهم حَاقِدًا، **وَمَنْ** يشكو من عنصريتهم مُنْشَقًّا، **وَمَنْ** ينصحهم متآمرا!. **أَلَذُّ** شيءٍ في أسماعهم: المديح، والنفاق، والتملق الممجوج، **آذَانُهُم** مفتوحة للوشايات، **تُدَارُ** الْأُمُورُ عَشْوَائِيًّا وَارْتِجَالًا بِأَجْهِزَةٍ **غَارِقَةٍ** فِي التَّخَلُّفِ وَالْفَسَادِ.

**والخلاصة**: عميا تُنَقِّشُ مجنونة، وعصيد في كوز؛ **فقبح** الله الظالم فَرْدًا كان أو جماعة.

**وهناك** ظلم المرء لأسرته؛ **فالذي** يطلق زوجته بعد النفاس بدقائق **أو** قبله يعتبر فَاقِدًا للمروءة، والرجولة، والضمير، والرحمة، والإحساس، والمشاعر الإنسانية، والوفاء؛ **إنه** حقير، قذر، ظالم، تافه.

**والذي** يَنْبُذُهَا بعد طول عشرة **وبعد** ما تحسنت أحواله **يشبه** الأول.

**وهناك** ظلم الأخ الأكبر للأصغر **أو** العكس، **والأخت** الكبرى تظلم الصغرى والعكس، **والجار** يظلم جاره، **والمدرس** يظلم تلاميذه، **أو** العكس.

**وكذا** ظلم الحيوان، وظلم البيئة؛ **إِنَّ** الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ في الدنيا والآخرة:

**في** الدنيا يَهُدُّ الْعُرُوشَ، وَيُزِيلُ الدُّوَلَ، وَيُفْنِي الْأُسَرَ، وَيَجْلِبُ الشُّؤْمَ والدَّبُورَ.

**وفي** الآخرة يورث النار وبِئْسَ القرار، **أعاذنا** الله منها.

**قال** الإمام القاسم الرسيعليه السلام: **إياك** والظلم والعدوان، والإقدام على الزور والبهتان. **وعليك** بالعدل والإنصاف، والبذل والإلطاف. **ولا** تظلم أحدًا؛ **فإن** الظالم نادم؛ **والظلم** يخرب الدار، ويفرد الجار، ويسخط الملك الجبار، **وهو** من أكبر المصائب والحسرات، يوم لا شفيع يشفع، **ولا** دعاء يُرْفَعُ، **ولا** عمل ينفع، يوم لا ينفع الظالم ندمه، **وقد** زلت به قدمه، **وقد** شهدت عليه جوارحه؛ **فيَا** حَسْرَةَ الظالم **وَيَا** وَيْحَهُ!! **أيها** الظالم انظر إلى الذين جمعوا كَثِيرًا، وَأَمَّلُوا طَوِيلًا، وعاشوا قليلا، **هل** تسمع لهم حِسًّا؟! **أو** ترى لهم في القبور أُنْسًا: **سكنوا** في التراب، **واغتربوا** عن الأصحاب، **ولم** يسلموا من العقاب، **حُمِّلُوا** ثَقِيلًا، **وَعَايَنُوا** وَبِيلًا، **وصارت** النار لهم منزلا ومقيلا، **وعُرِضَتْ** عليهم جهنم بكرة وأصيلا.

**أين** الذين شَيَّدُوا الْعُمْرَانَ، وَتَنَافَسُوا فِي الْبُنْيَانِ، وعانقوا النسوان، وفرحوا بالولدان، وتملكوا البلدان، وغلقوا الأبواب، وأقاموا الْحُجَّابَ؟!

**أما** رأيت كيف دارت عليهم الدوائر، **وَخَلَتْ** مِنْهُمُ الْمَكَاثِرُ، **وتعطلت** منهم المنابر، **وضمتهم** المقابر، **وغيبتهم** الحفائر، **وتمزقت** جلودهم، **وتفرقت** جنودهم، **ورجعت** قصورهم خرابا، **ودُورُهُمْ** يَبَابًا، **وأجسادهم** ترابا؟!

**أين** مُلْكُهُمْ؟ **أين** ديارهم؟ **أين** أخبارهم؟ **أين** مواكبهم؟ **أين** مراكبهم؟ **أين** خيلهم؟ **أين** مواليهم؟ **أين** أنصارهم؟ **أين** عددهم؟ **أين** وزراؤهم؟ **أين** ندماؤهم؟ **أين** أمراؤهم؟! **أصبح** غنيهم فَقِيرًا، وَأَمِيرُهُمْ حَقِيرًا! **هل** بقي الذِّكْرُ إِلَّا لمن أطاع مولاه،

ورفض في رضاء الله دنياه، وخالف مِن خوفِ الله هواه؟ **وَقَدَّمَ** الْخَيْرَ لِعُقْبَاهُ؛ **فدخل** دار السرور، **وكفاه** الله كل محذور، دَارٌ فيها الأمان، والحور الحسان. إهـ.

**إن قانون** الإمارة يا مالك يقضي **بأن** تجتهد في رضى العامة، **وتسعى** في كسب وُدِّ الشعب، **وتميل** مع سواد الأمة؛ **فإنهم** الغيث الماطر، والموج الهادر؛ **فَلْيَكُنْ** صَغْوُكَ لهم: أَيْ إِصْغَاؤُكَ وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ؛ **فهم** فراش الدولة، وغطاؤها، **وهم** الرِّئَةُ وَالْقَلْبُ، وَالْيَدُ وَالرِّجْلُ؛ **بهم** تُعْمَرُ الْمَدَائِنُ، وتُمْلَأُ الْخَزَائِنُ.

**أمَّا** الخاصة من أهل الثروة والوجاهة والنفوذ الذين يلتصقون بالأمراء في العادة، ويحيطون بهم إحاطة السِّوَارِ بِالْمِعْصَمِ: **يصادقونهم**، ويسامرونهم، **ويتزلفون** إليهم؛ **فيصير** كالصديق لهم **ولمن** ضارعهم من حواشيه أهل الشفاعات والقرابات! **فلو** كان هؤلاء الخاصة ثلاثة أو خمسة في المائة؛ **فإنهم** يُجْهِدُونَ الوالي بطلباتهم، **ويستأثرون** بثروة البلد، **ويثيرون** عليه النقمة؛ **فإذا** بلغ السيل الزُّبَى، **وثار** الشعب **كان** الْخَاصَّةُ أَوَّلَ مَنْ يَتَخَلَّى عن الوالي! **فسرعان** ما يتبخرون، ويتلاشون، ويتساقطون كأوراق الشجر أمام هيجان الشعب واضطرابه.

**أقول:** إن شئت أن تعجب لعمق نظر الإمام- **فانظر** لثورة شعب إيران ضد الشاه محمد رضى بهلوي **الذي** لم ينفعه جيشه الضارب، **ولا** بَطْشُ جهاز مخابراته الرهيب المسمى بالسافاك، **ولا** دَعْمُ الغرب والشرق **لعرش** ما يسمى بالطاووس، **وشرطي** أمريكا بالخليج، **ويَدِهَا** اليسرى في الشرق الأوسط، **بإزاء** يدها اليمنى إسرائيل، **وعلى** الرغم من سَحْقِ دباباته لستة عشر ألفًا في إحدى المظاهرات! **لكنها** في النهاية **سُحِقَتْ** تحت أقدام الملايين **بقيادة** شيخ كبير معمم **يمتلك** إرادة صلبة، **وعزيمة** قوية، **وَإِيمَانًا** رَاسِخًا، **وَزُهْدًا**، وَبَسَاطَةً، **هو** الإمام الخميني الذي عاش عيشة البسطاء، **ودفن** في مقبرة الشهداء؛ **فأكرمه** شعبه أَيَّمَا إكرام، **وتخلص** الشعب من الشاه، **وخرج** طَرِيدًا ذَلِيلًا، **ولم** تقبله أمريكا **ولا** أوروبا ليموت فيها من مرض

السرطان، **وقُبِرَ** عند صديقه أنور السادات في مصر عام 1979م.

**كل** هذا الانفجار الشعبي **بسبب** أن هؤلاء الحكام **يطلقون** أيديهم وأيدي خواصهم وذويهم وأهليهم في مال الله ومال الشعب **في** الوقت الذي تقوم أجهزتهم القمعية **بمنع** بائع يتجول بعربة متواضعة **يحاول** أن يحصل بها على قوت يومه من طريق حلال؛ **فتقوم** الشرطة بضربه، **أو** سجنه، **أو** تكسير عربته، **وإلقاء** بضاعته إلى الأرض؛ **بحجة** المحافظة على مظهر المدينة الحضاري! **ولا** يعلمون أن قمة الحضارة **تكمن** في ضبط الخاصة، **وردع** الأثرياء عن امتصاص دماء الشعب، **والمتاجرة** بِقُوْتِهِ، **وإهدار** ثرواته.

**لعل** ميزانية الحزب الحاكم تفوق ميزانية جهاز الدولة، **ووظيفته** لا تتعدى التمجيد والتطبيل. **ومجلس** النواب يحصد ميزانية كبيرة، **وهو** مجرد ديكور.

**ومجلس** الشورى أُنْشِئَ لِلْمُجَامَلَةِ وَالتَّرْضِيَةِ، **ويسمى** بسلة المهملات! **وميزانيته** باهظة، **وهناك** معسكرات **يعبث** بميزانياتها المهولة **أفرادٌ** كالثقوب السوداء!

**ها نحن** نشاهد من أهل الخاصة **مَنْ** صار خَصْمًا لَدُودًا، **رغم** الدنيا الدانية التي نالها، والحظوة البالغة التي تمتع بها.

## [مبدأ الشورى وصفات المستشارين]

**وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ، أَطْلَبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ؛ فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا، الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا؛ فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ؛ فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ.**

**أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ، وَاقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ، وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَضِحُ لَكَ، وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ؛ فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ، وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ، وَيَعِدُكَ**

الْفَقْرَ، وَلَا جَبَانًا يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ، وَلَا حَرِيصًا يُـزَيِّنُ لَـكَ الـشَّرَهَ بِـالْجَوْرِ؛ فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ.

إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِـكَ مَـنْ كَانَ لِـلْأَشْرَارِ قَبْلَـكَ وَزِيـرًا، وَمَـنْ شَرِكَهُـمْ فِي الْآثَـامِ؛ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً؛ فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ، وَإِخْـوَانُ الظَّلَمَـةِ، وَأَنْـتَ وَاجِـدٌ مِـنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ، وَلَـيْسَ عَلَيْـهِ مِثْـلُ آصَـارِهِمْ وَأَوْزَارِهِـمْ وَآثَامِهِمْ: مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ؛ وَلَا آثِمًا عَلَى إِثْمِـهِ، أُولَئِـكَ أَخَـفُّ عَلَيْـكَ مَئُونَةً، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً، وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفًا، وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفًا.

فَاتَّخِذْ أُولَئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ، ثُمَّ لْيَكُـنْ آثَـرُهُمْ عِنْـدَكَ أَقْـوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ، وَأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ، وَاقِعًـا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ.

وَالْصَقْ بِأَهْلِ الْـوَرَعِ وَالـصِّدْقِ، ثُـمَّ رُضْـهُمْ عَلَى أَلَّا يُطْـرُوكَ، وَلَا يَبْجَحُـوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ، وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ، وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيدًا لِأَهْلِ الْإِحْـسَانِ فِي الْإِحْسَانِ، وَتَدْرِيبًا لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ، وَأَلْزِمْ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ.

**لا بد** لكل حاكم من مستشارين: **سواء** عَيَّـنَهُمْ بِـصِفَةٍ رسـمية، **أو** كـانوا مـن خِلَّانِهِ وجلسائه وندمائه؛ **ولا بد** كذلك **أن** يسمع منهم كَلَامًا: **سواء** طلب مـنهم **أن** يتكلموا **أو** لم يَطْلُبْ ، **بل** قد يتعمد أحدهم **أن** يُواصِلَ الحـاكم ويتقـرب إليـه بمعلومات قد تُعْجِبُ الحاكم أو لا تعجبه.

**وهؤلاء** المستشارون أو الجلساء: **فيهم** الجبان، والبخيل، والنمام، والْمُحَرِّضُ، والمغتاب، وَالْمُتَزَلِّفُ ونحوها من صفات البشر؛ **ولهذا** فقد حرص الإمـام عـلى عـدة وصـايا في هـذا الجانـب **تُجَنِّبُ** الْحَـاكِمَ مِـنِ اتِّخَـاذِ القـرارات الخاطئـة، **وَتُقَرِّبُهُ** من القرارات الصائبة، **ومنها:**

1- **إِبْعَادُ مَنْ يُكْثِرُونَ مِنْ ذِكْرِ عُيُوبِ النَّاسِ؛** لأن الوالي أحق الناس بستر عيوب الخلق؛ **وَمَنْ** سَتَرَ عَوْرَاتِ الناس **سَتَرَهُ** الله، **وَمَنْ** هَتَكَ عوراتهم **هتك** الله عورته؛ **وَتَحَرِّي** عورات الناس، وتتبع عثراتهم - **من** شِيَمِ السُّفَهَاءِ وَالْأَخِسَّاءِ، **وَمَنْ** أصغى إليهم **فهو** مِثْلُهُمْ.

**قال** بعض الأشخاص لرجل عاب أخر عنده: **لقد** اسْتَدْلَلْتُ على كثرة عيوبك **بِمَا** تُكْثِرُ فيه من عيوب الناس؛ **لأن** طالب العيوب **إنما** يطلبها بقدر ما فيه منها. **قال** الشاعر:

**وَأَجْرَأُ مَنْ رَأَيْتُ بِظَهْرِ غَيْبٍ عَلَى عَيْبِ الرِّجَالِ أُولُو العُيُوبِ**

**لقد** أصبحت أجهزة الأمن **وَكْرًا** للنفاق والدسائس، **ولا** يُقْبَلُ بها **إِلَّا** كُلُّ لَمَّاز غماز ﴿**هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ**﴾[القلم:11-13]. **هَمَسَ** لي أحد الشباب قَائِلًا: **أنا** مكلف بالمراقبة لك **وقد** استمعت لمحاضراتك ودروسك فَأُعْجِبْتُ بها؛ **فَكَتَبْتُ** تَقْرِيرًا امتدحتك فيه؛ **فاستغربوا** وقالوا: نحن نعرف أكثر من هذا...إلخ، **لكن** ليس المطلوب منك هذا!.

**وهكذا** حين يتولى زمام الأمور سَفَلَةُ الْخَلْقِ وجَهَلَتُهُمْ، **لا** يصدر عنهم **إِلَّا** مِثْلُ هذا، **وكل** إناء بالذي فيه ينضح، **مع** احتفاظي بالاحترام لمن يخدم البلد بصدق وأمانة؛ **فكن** أيها الحر الهمام **كما** قال الشاعر:

**لَا تَلْتَمِسْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا فَيَكْشِفُ اللهُ سِتْرًا مِنْ مَسَاوِيكَا**
**وَاذْكُرْ مَحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَا**

2- **أَنْ يُطْلِقَ الْحِقْدَ عَنْ قَلْبِهِ؛** بإظهار البشاشة في وجهه، والسرور في قلبه.

**وقد** أبدع في شرحه زياد ابن أبيه **الذي** كان من رجال الإمام، **ثم** انسلخ من التشيع **كما** قال الله في بَلْعَمِ بن باعوراء: ﴿**وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ**

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الأعراف:175، 176].

**فقال** في خطبته البتراء: قد كانت بيني وبين أقوام إحَنٌ [عداوات]، **وقد** جَعَلْتُ ذَلِكَ دُبُرَ أُذُنَيَّ، وَتَحْتَ قَدَمَيَّ: **فَمَنْ** كَانَ مِنْكُمْ مُحْسِنًا فَلْيَزْدَدْ إحسانًا، **وَمَنْ** كان مُسِيئًا فَلْيَنْزِع عن إساءته؛ **إِنِّي** لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ قَتَلَهُ السُّلُّ مِنْ بُغْضِي **لَمْ** أَكْشِفْ عَنْهُ قِناعًا، **وَلَمْ** أَهْتِكْ لَهُ سِتْرًا **حَتَّى** يُبْدِيَ لِي صَفْحَتَهُ؛ **فَإِذَا** فَعَلَ لَمْ أُنَاظِرْهُ.

**أَلَا** فَلْيَشْتَمِلْ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ عَلَى مَا فِي صَدْرِهِ، **وَلَا** يَكُونَنَّ لِسَانُهُ شَفْرَةً تَجْرِي عَلَى وَدَجِهِ. اهـ.

3- **عَدَمُ تَذَكُّرِ مَا سَلَفَ مِنَ الْأَخْطَاءِ وَالْأَحْقَادِ الْمُتَقَدِّمَةِ؛** لأن آلة الرئاسة سعة الصدر.

4- **التَّغَابِي عَمَّا لَمْ يَتَّضِحْ وَجْهُهُ:** يعني أن الأصل براءة الذمة؛ **والمتهم** بريء حتى تثبت إدانته، **فإن** التبس الحال بين التعزير والحد؛ **فالتغابي** عن الحد هو الأولى، وهكذا.

5- **لَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ؛** فَإِنَّ قبول السعاية شَرٌّ من السعاية؛ **لأن** السعاية دلالة، والقبول إجازة؛ **وليس** مَنْ دَلَّ على شيء كَمَنْ قبِلَهُ وأجازه! **فَأَمْقُتِ** السَّاعِيَ على سعايته؛ **فإنه** لو كان صَادِقًا **كَانَ** لئيمًا؛ **إِذْ** هَتَكَ الْعَوْرَةَ، وَأَضَاعَ الْحُرْمَةَ.

**وليس** من هذا الباب **اخْتِيَارُ** العيون الأذكياء **لحماية** البلاد من مؤامرات الأعداء من الداخل أو من الخارج، **وما** يُدَبَّرُ مِنْ مَكَائِدَ تَسْتَهْدِفُ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ، **وَمُلَاحَقَةِ** عصابات الإجرام، وتجار المخدرات، والمبيدات السامة، والمتاجرة بالآثار، وكنوز المخطوطات إلى الخارج، **وما** شابه ذلك من تهريب الأطفال والأسلحة والسلع الفاسدة: **من** أغذية، وأدوية، ونحوها.

**أما** التَّقَارِيرُ الْمَحْشُوَّةُ بالافتراءات والاتهامات الباطلة والتافهة **التي** تدور حول الْفِكْرِ، وَالنَّسَبِ، وَالْبَلَدِ، والذهاب والإياب؛ **فهي** حياة غَجَرٍ، **لا** بل بَقَرٍ، **لَا** بَل أَضَلُّ وَأَشَرُّ! **قد** يظن الظان **أَنَّ** البلاد محزومة! **لا** بل مخرومة!

**فمن** النكات على بلاهة العسكر - **أن** أحد القبائل دخل صنعاء بدبابة فاستوقفه

العسكر للتفتيش **وأطلوا** برؤوسهم على كبينة القيادة **وقالوا**: مَعَكَ سِلَاح؟! **قال**: لا! **قالوا**: تفضل! هُمْ يَبْحَثُونَ عن مسدس ونحوه **ولم** يَلْتَفِتُوا لِبُرْجِ الدَّبَّابَةِ وَالْمِدْفَعِ!!

6- **أَنْ لَا يَطْلِبَ الْمَشُورَةَ مِنْ بَخِيلٍ، وَلَا جَبَانٍ، وَلَا حَرِيصٍ؛** قال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: 268]، **فَسَّرُوا** الفحشاء هنا بالبخل. **وَمَعْنَى** يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ: يُخَيِّلُ إِلَيْكُمْ أَنَّكُمْ إِنْ سَمَحْتُمْ بِأَمْوَالِكُمْ ٱفْتَقَرْتُمْ؛ فيخوفكم فتخافون فتبخلون.

**وَقَوْلُهُ ﷺ: فَإِنَّ الْبُخْلَ، وَالْجُبْنَ، وَالْحِرْصَ، غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ.** كَلَامٌ شَرِيفٌ، وعلى كلام الحكماء مُنِيفٌ؛ **فهذه** الطبائع والغرائز مختلفة، **لَكِنَّ** بينها قَدْرًا مُشْتَرَكًا **هو** سوء الظن بالله: **فَالْجَبَانُ** يقول: إن أَقْدَمْتُ قُتِلْتُ.

**وَيَقُولُ** الْبَخِيلُ: **إِنْ** أَنْفَقْتُ ٱفْتَقَرْتُ، **وَالْحَرِيصُ** يقول: **إن** لم أَجِدَّ وَأَجْتَهِدَ وَأَدْأَبَ **فَاتَنِيْ** ما أُرِيدُ؛ **وكل** ذلك راجع إلى سوء الظن بالله.

**أما** الموقن المصدق بوعد الله القائل: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[الذاريات:22] **فلا** تَخْتَلِجُهُ هذه الأوهام؛ **فالأجل**، والرزق، والغنى، والفقر **بِيَدِ** الملك الجليل.

7- **عَدَمُ اتِّخَاذِ الْوُزَرَاءِ الَّذِين عَمِلُوا مَعَ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْوُلَاةِ الظَّلَمَةِ؛** فكما لا يجوز لطبيب **أَنْ** يستعين في غرفة العمليات بأدوات ملوثة- **كذلك** لا تتخذ يا مالك أنت وجميع الولاة **بِطَانَةً** قد كانوا قبلكم بطانة للظلمة؛ **لأن** الظلم قد نبتت منه شحومهم، ولحومهم، **وصار** تحسين الظلم للظالمين **غريزة** في أنفسهم راسخة، وطبيعة ثابتة؛ **فهم** كالأفاعي **لا** ينفثون إلا السم، **ولا** يجيدون **إلا** الفحيح واللدغ.

**أكد** المجاهد عبدالرحمن الكواكبي في طبائع الاستبداد **على** أن طبائع الفساد متجذرة في وزير المستبد مهما تظاهر بالصلاح؛ **فقال**: كلما كان المستبد حريصًا على الْعَسْفِ **احتاج** إلى زيادة جيش المتمجدين، العاملين له، المحافظين عليه، **واحتاج** إلى مزيد من الدقة في اتخاذهم من أسفل المجرمين **الذين** لا أثر عندهم لدين أو

ذمة، **واحتاج** لحفظ النسبة بينهم في المراتب بالطريقة المعكوسة: **وهي** أن يكون أَسْفَلُهُمْ طِبَاعًا وَخِصَالًا **أَعْلَاهُمْ** وَظِيفَةً وَقُرْبًا؛ **ولهذا** لا بد أن يكون الوزير الأعظم للمستبد **هو** اللئيم الأعظم في الأمة، **ثم** مَنْ دُونَهُ دُونَهُ لُؤْمًا، **وهكذا** تكون مراتب الوزراء والأعوان في لؤمهم حسب مراتبهم في التشريفات والقربى منه.

**وربما** يغتر المطالع كما اغتر كثير من المؤرخين البسطاء **بأن** بعض وزراء المستبدين يتأوهون من المستبد، ويَتَشَكَّوْنَ من أعماله، ويَجْهَرُونَ بملامه، ويُظْهِرُونَ لو أنه ساعدهم الإمكان لعملوا، وفعلوا، وافتدوا الأمة بأموالهم، **بل** وحياتهم! **فكيف** والحالة هذه يكون هؤلاء لُؤَمَاءَ؟! **بل** كيف ذلك و قد وُجِدَ منهم الذين خاطروا بأنفسهم، **والذين** أَقْدَمُوا فِعْلًا على مقاومة الاستبداد؛ **فنالوا** المراد **أو** بعضه **أو** هلكوا دونه؟

**فجواب ذلك**: أن المستبد لا يخرج قط **عن** أنه خائن، خائف، محتاج لعصابة تُعِينُهُ وتحميه؛ **فهو** ووزراؤه كزمرة لصوص: رئيس وأعوان.

**فهل** يُجَوِّزُ الْعَقْلُ أن يُنْتَخَبَ رِفَاقٌ من غير أهل الوفاق؟ **وهو** هو الذي لا يُسْتَوْزَرُ **إلا** بعد تَجْرِبَةٍ واخْتِبَارٍ عُمْرًا طَوِيلًا.

**هل** يمكن أن يكون الوزير مُتَخَلِّقًا بِالْخَيْرِ حَقِيقَةً، وبالشر ظَاهِرًا؛ **فَيَخْدَعَ** المستبد بأعماله، **ولا** يخاف من أنه كما نَصَبَهُ وَأَعَزَّهُ، **بكلمة** يَعْزِلُهُ وَيُذِلُّهُ؟

**بناء عليه**: فالمستبد وهو من لا يجهل أن الناس أعداؤه لظلمه- **لا** يأمن على بابه **إلا** مَنْ يَثِقُ به أنه أظلم منه للناس، وأبعد منه عن أعدائه.

**وأما** تَلَوُّمُ بعض الوزراء على لوم المستبد؛ **فهو** إن لم يكن خَدَّاعًا للأمة **فهو** حَنِقٌ على المستبد؛ **لأنه** بَخَسَ ذلك المتلوم حقه؛ **فَقَدَّمَ** عليه مَنْ هو دونه في خدمته بتضحية دينه ووجدانه.

**وكذلك** لا يكون الوزير آمِنًا من صولة المستبد في صحبته **ما لم** يسبق بينهما وفاق

واتفاق على خيرة الشيطان؛ **لأن** الوزير محسود بالطبع، يتوقع لـه المزاحمـون كـل شر، ويبغضه الناس ولو تَبَعًا لظالمهم، **وهو** هدف في كل ساعة للشكايات والوشايات.

**كيف** يكون عند الـوزير شيء **مـن** التقـوى، **أو** الحيـاء، **أو** العـدل، **أو** الحكمـة، **أو** المروءة، **أو** الشفقة على الأمة، **وهو** العالم بأن الأمة تُبْغِضُهُ، وتمقته، وتتوقـع كـل سوء، وتشمت بمصائبه؟! **فلا** ترضى عنه **مـالم** يتفـق معهـا عـلى المـستبد، **ومـا** هـو بِفَاعِلِ ذَلِكَ أَبَدًا **إلا** إذا يئس من إقباله عنده، **وإن** يئس وفعل **فلا** يَقْصِدُ نَفْـعَ الأمـة قط؛ **إنما** يريد فَتْحَ باب لمستبد جديد عساه يستوزره فيؤازره على وِزْرِهِ.

**والنتيجة**: أن وزير المستبد **هو** وزير المستبد، **لا** وزير الأمة **كما** في الحكومات الدستورية. **كذلك** القائد يحمل سيف المستبد ليغمده في الرقاب **بأمر** المستبد لا بـأمر الأمـة ! **بل** هو يستعيذ من أن تكون الأمة صاحبة أمر؛ **لِمَا** يَعْلَـمُ مـن نفـسه **أَنَّ** الأمـة لا تقلد القيادة لمثله.

**بناء عليه**: لا يغتر العقلاء بما يتشدق بـه الـوزراء والقـواد مـن الإنكـار عـلى الاستبداد والتفلسف بالإصلاح، **وإن** تلهفوا، **وإن** تأففوا، **ولا** ينخدعوا لمظـاهر غَيْرَتِهِمْ **وإن** ناحوا، **وإن** بكوا! **ولا** يثقوا بهم وبوجدانهم **مهـما** صَـلَّوْا وسَـبَّحُوا؛ **لأن** ذلك كله ينافي سَيْرَهُمْ وَسِيرَتَهُمْ؛ **ولا** دليل على أنهم أصـبحوا يخـالفون مـا شَبُّوا وشابوا عليه؛ **هم** أقرب أن لا يقصدوا بتلك المظاهر **غَـيْرَ** إقـلاق المـستبد، وتهديد سلطته؛ **ليشاركهم** في استدرار دماء الرعية: أي أموالها.

**نعم:** كيف يجوز تصديق الوزير، والعامل الكبير، **الذي** قد أَلِفَ عُمْرًا طَـوِيلًا لذة البذخ، وعزة الجبروت **في** أنه يرضى بالدخول تحـت حكـم الأمـة، ويخـاطر بِعَرْضِ سَيْفِهِ عليها؛ فَتُحِلُّهُ أو تكسره تحت أرجلها؟! **أليس** هـو عُـضْوًا ظـاهر الفساد من جسم تلك الأمة التي قَتَلَ الِاسْتِبْدَادُ فيها كُلَّ الآمال الشريفة العالية؛ فأبعدها عن الْأُنْسِ بالإنسانية؟!. إهـ.

**وقد** حرم الله تعالى معاونة الظلمة، ومساعدتهم، والاستعانة بهم؛ **فإن** من استعان بهم كان مُعِينًا لهم؛ **قال** تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[الكهف:51]، **وقال:** ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[المجادلة: 22]، **وجاء** في السنة الشريفة **قوله**ﷺ: «يُنادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةَ: أَيْنَ مَنْ بَرَى لِلظَّالِمِينَ قَلَمًا»؟.

**أُتِيَ** الْوَلِيدُ بن عبد الملك **برجل** من الخوارج؛ **فقال** له: ما تقول في الحجاج؟ **قال:** وما عَسَيْتُ أن أقول فيه**!! هل** هو إِلَّا خَطِيئَةٌ من خطاياك، وشَرَرٌ من نارك؟ **فلعنك** الله، ولعن الحجاج معك**! وأقبل** يشتمها**! فالتفت** الوليد إلى عمر بن عبدالعزيز؛ **فقال:** ما تقول في هذا؟ **قال:** ما أقول فيه**! هذا** رجل يشتمكم: **فإما** أن تشتموه كما شتمكم، **وإما** أن تعفو عنه؛ **فغضب** الوليد، **وقال** لعمر: ما أظنك إلا خَارِجِيًّا؛ **فقال** عمر: وَمَا أَظُنُّكَ إلا مجنونًا**! وقام** فخرج مُغْضَبًا، **ولحقه** خالد بن الريان صاحب شرطة الوليد؛ **فقال** له: ما دعاك إلى ما كَلَّمْتَ به أمير المؤمنين؟ **لقد** ضَرَبْتُ بيدي إلى قائم سيفي أَنْتَظِرُ مَتَى يَأْمُرُنِي بِضَرْبِ عُنُقِكَ**! قال:** أَوَ كُنْتَ فَاعِلًا لو أمرك؟ **قال:** نَعَمْ**! فلما** اسْتُخْلِفَ عمر جاء خالد بن الريان **فوقف** على رأسه مُتَقَلِّدًا سيفه؛ **فنظر** إليه **وقال**: يا خالد ضَعْ سَيْفَكَ؛ **فإنك** مُطِيعُنَا في كل أمر نأمرك به. **وكان** بين يديه كاتب كان للوليد؛ **فقال** له: ضع أنت قلمك؛ **فإنك** كنت تَضُرُّ بِهِ وتنفع**! اللهم** إني قد وَضَعْتُهُمَا فلا تَرْفَعْهُمَا، **قال:** فو الله ما زالا وضيعين، مهينين حتى ماتا**!**.

**وروى** الغزالي في إحياء علوم الدين [2/ 206 ]، والموفق بالله في الاعتبار [195] **قال:** لَمَّا خالط الزُّهْرِيُّ السُّلْطَانَ **كتب** إليه أخ له في الدين: عافانا الله وإياك يا أبا بكر من الفتن؛ **فقد** أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك **أن** يدعو الله لك ويرحمك؛ **أَصْبَحْتَ** شَيْخًا كَبِيرًا، **وقد** أَثْقَلَتْكَ نِعَمُ الله عليك **بما** فَهَّمَكَ من كتابه، وعلمك من سنة نبيه؛ **وليس** كذلك أَخَذَ اللهُ الميثاق على العلماء؛ **فإنه** تعالى قال: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[آل عمران:187].

**واعلم** أن أيسر ما ارتكبت، وأخف ما احتملت- **أنك** آنَسْتَ وَحْشَةَ الظالم، وسهلت سبيل الغي؛ **بِدُنُوِّكَ** إلى مَنْ لم يُؤَدِّ حَقًّا، **ولم** يَتْرُكْ بَاطِلًا حين أدناك! **اتخذوك** أبا بكر **قُطْبًا** تدور عليه رَحَى ظلمهم، **وَجِسْرًا** يعبرون عليه إلى بلائهم وعصيانهم، **وَسُلَّمًا** يصعدون فيه إلى ضلالتهم: **يُدْخِلُونَ** بك الشك على العلماء، **ويقتادون** بك قلوب الجهلاء!! **فما** أيسر ما عَمَرُوا لَكَ **في** جنب ما خَرَّبُوا عليك، **وما** أكثر ما أخذوا منك **في** جنب ما أفسدوا من حالك ودينك! **وما** يُؤَمِّنُكَ أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿**فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا**﴾[مريم: 59]، **يا** أبا بكر إنك تُعَامِلُ مَنْ لا يَجْهَلُ، ويحفظ عليك من لا يَغْفُلُ؛ **فَدَاوِ** دِيْنَكَ؛ **فقد** دخله سقم، **وهيئ** زادك؛ **فقد** حضر سفر بعيد ﴿**وَمَا تَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ**﴾[إبراهيم:38].

10- **أَنْ يُقَرِّبَ مِنْ مَجْلِسِهِ أَكْثَرَهُمْ قَوْلًا لِلْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا عَلَى سَامِعِهِ؛ فَإِنَّ** أولئك ناصحون لله وللوالي، **وأَنْ** يُقَرِّبَ أيضا المبتعدين عن الأمور الصادرة عنه **إِنْ** كانت كُرْهًا لله ولأوليائه: **سواء** كان ذلك مُوَافِقًا لهوى الوالي أو مُخَالِفًا.

11- **اتِّخَاذُ الْجُلَسَاءِ مِنْ أَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ؛ وَعَبَّرَ**ﷺ بكلامه الفصيح عن اللصوق والالتصاق؛ **والمراد:** اجْعَلْ أَهْلَ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ خَاصَّتَكَ، وَخُلَصَاءَكَ، وَأَهْلَ مَشُورَتِكَ؛ **لأن** الدِّينَ الْوَرَعُ، وَصَدِيقُكَ مَنْ صَدَقَكَ، وَعَدُوُّكَ مَنْ دَاهَنَكَ.

12- **لكن** هذا لا يكفي؛ **فالسلطان** كالسوق يرد إليه ما يَنْفَقُ فيه؛ **لهذا** فعليه أن يُرَوِّضَ أهل الصدق والورع، وَيُعَوِّدَهُمْ **على** ترك المدح في وجهه، **وعلى** أن لا يحملوه على التبجح؛ **فيقولون**: ما رأينا أعدل منك، **ولا** أسمح، **ولا** أشجع، **ولا** أرحم! **لقد** سمعنا ما هو فوق التزلف **مما** يؤدي إلى الكفر **مثل** قول محمد بن هانئ الأندلسي في مدح المعتز:

**مَا شِئْتَ لَا مَا شَاءَتِ الْأَقْدَارُ فَاحْكُمْ فَأَنْتَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**

**وفي** عصرنا وشعوبنا العربية **يقال** لزعيم عصابة: رَمْزٌ، فَارِسٌ، مُغْوَارٌ،

حَكِيمٌ، رُبَّانٌ، مُلْهَمٌ، رَائِدُ الْحُرِّيَّةِ، وَالدِّيمُوقْرَاطِيَّةِ، وَالْعَدَالَةِ، وَالْمُسَاوَاةِ، وَالرَّخَاءِ، وَالتَّقَدُّمِ، وَالِازْدِهَارِ، وَالْأَمْنِ وَالْأَمَانِ، وَالتَّطَوُّرِ، بَانِي البلد الحديث، وَمُؤَسِّسُ قَوَاعِدِ الِاقْتِصَادِ **إلى** آخر قاموس النفاق الممل، والمديح الْمَمْجُوجِ! **وكأنهم** يتحدثون **عن** أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، **وعن** بُنَاةِ الحضارات، وعباقرة الِاخْتِرَاعَاتِ! **لكن** ماذا تقول لمن بلغت به الوقاحة **أن** يُسَمِّيَ الْفَحْمَةَ شَحْمَةً، وَالذُّبَابَةَ نَحْلَةً، وَالْقِرْدَ غَزَالًا، وَالْبَوْلَ عِطْرًا، وَالشَّيْطَانَ الرَّجِيمَ مَلَكًا كَرِيمًا.

**إن** النبيﷺ قال: «احْثُوا فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ»[1]، **وهؤلاء** يُغْدِقُونَ على المَدَّاحِينَ **ما** يسرقونه من أقوات الناس، **وَيَحْشُونَهُ** في أفواههم، **ويَحْثُونَهُ** في جيوبهم وبطونهم.

**أغرق** رجل في الثناء على أمير المؤمنين عليه السلام **وكان** لَهُ مُتَّهِمًا **فقال** له: «أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ، **وَفَوْقَ** مَا فِي نَفْسِكَ».

**إن** الطغاة والظالمين والفاسدين والمستكبرين **- وهم** أحوج الناس إلى المدح والإطراء- **قد** يملون التصنع، **ويسأمون** التزلف والتقرب بالكذب؛ **فقد** روي أن عبد الملك بن مروان **وهو** جبار غشوم **قال** لمن يريد أَنْ يُسَارَّهُ: أَتُرِيدُ أَنْ تَمْدَحَنِي؟ **أنا** أعلم بنفسي منك.

**وقال** خالد بن عبد الله القسري لعمر بن عبد العزيز يوم بيعته: يا أمير المؤمنين: **مَنْ** كانت الخلافةُ زَائِنَتَهُ **فقد** زَيَّنْتَهَا، **ومَنْ** كانت قد شَرَّفَتْهُ **فقد** شَرَّفْتَهَا؛ **فإنك** لكما قال القائل:

**وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وُجُوهٍ كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنُ وَجْهِكَ زَيْنَا**

**فقال** عمر: لقد أُعطيَ صاحبكم هذا مِقْوَلًا، **وحُرِمَ** مَعْقُولًا، **وأمره** بالجلوس.

**وطلب** معاوية من أبي أمية عمر بن سعيد الأشدق **أَنْ** يَخْطُبَ مُرَوِّجًا ليزيد عند

(1) مسلم رقم3002، وأحمد 6/ 5 رقم23879، والطبراني في الكبير 20/ 244 رقم576، وغيرهم.

عقد البيعة بولاية العهد؛ **فقال**: إن يزيد ابن أمير المؤمنين أَمَلٌ تَأْمُلُونَهُ، وأَجَلٌ تأمنونه: **إن** افتقرتم إلى حلمه وَسِعَكُمْ، **وإن** احتجتم إلى رأيه أرشدكم، **وإن** ٱجْتَدَيْتُمْ ذَاتَ يده أغناكم وَشَمَلَكُمْ: **جَذَعٌ** قَارِحٌ: **سُوبِقَ** فسبق، **ومُوجِدَ** فَمَجَدَ، **وقورع** فقرع، **وخَلَفُ** أمير المؤمنين **ولا** خَلَفَ منه - يعني نَظِيرَهُ.

**أقول**: قول الأشدق هذا **كما** يقال في أمراء العرب اليوم: مَنْ لِلْأُمَّةِ سواه؟! **وما** أنجبت النساء ولن ولم تنجب مثله.

**لكن** معاوية وهو الطالب للمديح **لما** سمع هذا الإطراء الزائد لم يستسغه؛ **فقال**: أَوْسَعْتَ يا أبا أمية فاجلس؛ **فإنما** أردنا بعض هذا!

**وقد** ذَكَّرَنِي هذا نكتة مفادها: **أن** أحد الأمراء أوعز لحراسه: «إذا جاء فلان فاعركوه، وجَعْجِعُوا به»؛ **ليعرف** مقامي وينادي بأمير المؤمنين، **فلما** وصل إليه بعد مشقة **قال:** السلام عليك يا نبي الله! **فقال** لحراسه ضَاحِكًا: **قد** زاد الماء على الطحين!.

**وللناس** في استخراج ما في الخزائن والجيوب **مذاهب**، وفنون، وجنون يطول شرحه؛ **فالحذر** من سَكْرَةِ الإطراء؛ **فإنه** أَضَرُّ على صاحبه مِنْ شِفَارِ السيوف، **ومن** طعن الرماح؛ **لأنه** حين ينتفخ، ويركبه الغرور، ويُصَدِّقُ ما يقال فيه، **ويُصَابُ** بالعمى؛ **فلا** يرى الخطأ، **ويُصَابُ** بالصمم؛ **فلا** يسمع النصح، **ويَلُفُّهُ** الْخِذْلَانُ، نعوذ بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

13- **ولا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءً**؛ لأنه إذا لم يكن للمحسن ما **يرفعه**، وللمسيء **ما** يضعه - **زهد** المحسن في الإحسان، **واستمر** المسيء على الطغيان؛ **قال المتنبي**:

**شَرُّ الْبِلَادِ بِلَادٌ لَا صَدِيقَ بِهَا ... وَشَرُّ مَا يَكْسَبُ الْإِنْسَانُ مَا يَصِمُ**

**وَشَرُّ مَا قَبَضَتْهُ رَاحَتِي قَنَصٌ ... شُهْبُ الْبُزَاةِ سَوَاءٌ فِيهِ وَالرَّخَمُ**

**قيل:** قَضَاءُ حق المحسن أَدَبٌ للمسيء، **وَعُقُوبَةُ** المسيء جَزَاءٌ للمحسن.

**لذلك** كان الإمام علي عليه السلام شَدِيدًا على الولاة **إن** هم خانوا من مال الناس شَيْئًا: صَغِيرًا، أَوْ كَبِيرًا.

**ومن قوله** لقريب مُقَرَّبٍ من ولاته[النهج:600]: «**بَلَغَنِي** عَنْكَ أَمْرٌ **إِنْ** كُنْتَ فَعَلْتَهُ **فَقَدْ** أَسْخَطْتَ رَبَّكَ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ، وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ! **بَلَغَنِي** أَنَّكَ **جَرَّدْتَ** الْأَرْضَ **فَأَخَذْتَ** مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ، **وَأَكَلْتَ** مَا تَحْتَ يَدَيْكَ؛ **فَارْفَعْ** إِلَيَّ حِسَابَكَ، **وَاعْلَمْ** أَنَّ حِسَابَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ، وَالسَّلَامُ».

**ومن** كتاب له عليه السلام إليه أيضًا [النهج:600]: **أَمَّا** بَعْدُ فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي، وَجَعَلْتُكَ شِعَارِي وَبِطَانَتِي، **وَلَمْ** يَكُنْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي **أَوْثَقَ** مِنْكَ فِي نَفْسِي؛ لِمُوَاسَاتِي، وَمُوَازَرَتِي، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَيَّ؛ **فَلَمَّا** رَأَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلِبَ، وَالْعَدُوَّ قَدْ حَرِبَ [اشتد غضبه]، وَأَمَانَةَ النَّاسِ قَدْ خَزِيَتْ، **وَهَذِهِ** الْأُمَّةَ قَدْ فَنَكَتْ وَشَغَرَتْ[1]- **قَلَبْتَ** لِابْنِ عَمِّكَ ظَهْرَ الْمِجَنِّ؛ **فَفَارَقْتَهُ** مَعَ الْمُفَارِقِينَ، **وَخَذَلْتَهُ** مَعَ الْخَاذِلِينَ، **وَخُنْتَهُ** مَعَ الْخَائِنِينَ! **فَلَا** ابْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ، **وَلَا** الْأَمَانَةَ أَدَّيْتَ؛ **وَكَأَنَّكَ** لَمْ تَكُنِ اللَّهَ تُرِيدُ بِجِهَادِكَ، **وَكَأَنَّكَ** لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ، **وَكَأَنَّكَ** إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ، وَتَنْوِي غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ؛ **فَلَمَّا** أَمْكَنَتْكَ الشِّدَّةُ فِي خِيَانَةِ الْأُمَّةِ- **أَسْرَعْتَ** الْكَرَّةَ، **وَعَاجَلْتَ** الْوَثْبَةَ، **وَاخْتَطَفْتَ** مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ الْمَصُونَةِ: لِأَرَامِلِهِمْ، وَأَيْتَامِهِمُ **اخْتِطَافَ** الذِّئْبِ الْأَزَلِّ دَامِيَةَ الْمِعْزَى الْكَسِيرَةِ! **فَحَمَلْتَهُ** إِلَى الْحِجَازِ؛ **رَحِيبَ** الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ، **غَيْرَ** مُتَأَثِّمٍ مِنْ أَخْذِهِ! **كَأَنَّكَ** لَا أَبَا لِغَيْرِكَ، **حَدَرْتَ** إِلَى أَهْلِكَ تُرَاثَكَ مِنْ أَبِيكَ وَأُمِّكَ! **فَسُبْحَانَ** اللَّهِ! **أَمَا** تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ؟! **أَمَا** تَخَافُ نِقَاشَ الْحِسَابِ؟! **أَيُّهَا** الْمَعْدُودُ كَانَ عِنْدَنَا مِنْ أُولِي الْأَلْبَابِ! **كَيْفَ** تُسِيغُ شَرَابًا وَطَعَامًا **وَأَنْتَ** تَعْلَمُ أَنَّكَ **تَأْكُلُ** حَرَامًا! **وَتَشْرَبُ** حَرَامًا! **وَتَبْتَاعُ** الْإِمَاءَ، **وَتَنْكِحُ** النِّسَاءَ: مِنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى،

(1) **الفنك**: العجب، والتعدي، واللجاج، والغلبة، والكذب. تاج العروس13/ 630. **وشغرت**: تفرقت، يُقال: تفرقوا شغر بغر. مقاييس اللغة580.

وَالْمَسَاكِينِ، وَالْمُؤْمِنِينَ، وَالْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأَمْوَالَ، وَأَحْرَزَ بِهِمْ هَذِهِ الْبِلَادَ؟! **فَاتَّقِ** اللَّهَ وَارْدُدْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ؛ **فَإِنَّكَ** إِنْ لَمْ تَفْعَلْ **ثُمَّ** أَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْكَ لَأُعْذِرَنَّ إِلَى اللَّهِ فِيكَ، **وَلَأَضْرِبَنَّكَ** بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَدًا **إِلَّا** دَخَلَ النَّارَ! **وَوَاللَّهِ** لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ **مَا** كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ، **وَلَا** ظَفِرَا مِنِّي بِإِرَادَةٍ؛ **حَتَّى** آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا، وَأُزِيحَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا! **وَأُقْسِمُ** بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ **مَا** يَسُرُّنِي أَنَّ مَا أَخَذْتَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلَالٌ لِي أَتْرُكُهُ مِيرَاثًا لِمَنْ بَعْدِي! **فَضَحٌّ** رُوَيْدًا؛ **فَكَأَنَّكَ** قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى، **وَدُفِنْتَ** تَحْتَ الثَّرَى، **وَعُرِضَتْ** عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ بِالْمَحَلِّ الَّذِي يُنَادِي الظَّالِمُ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ، **وَيَتَمَنَّى** الْمُضَيِّعُ فِيهِ الرَّجْعَةَ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ!.

**أقول** وقد ذهب بي الْعَجَبُ كُلَّ مذهب: **من** صرامة هذا الإمام، **وشدته** في ذات الله، **ماذا** أبقى لمن بعده من العفة، والنزاهة، والعدالة؟! **وهل** دَبَّ على وجه الأرض **إِمَامُ** عَدْلٍ، ونُبْلٍ، وَنَقَاءٍ **مِثْلَ** هذا الإمام؟! **اللهم** لا إِلَّا الْمُعَلِّمُ الْأَكْبَرُ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ **الذي** أفاض عليه هذا النقاء، والطهر، والصلة برب العالمين؛ **والذي** قال: «لَوْ سَرَقَتْ فَاطِمَةُ لَقَطَعْتُ يَدَهَا».

**ويقابل** هذه الشدة على المسيء **تشجيع** المحسنين؛ **ومن** ذلك ما بعث به إلى عمر بن أبي سلمة عَامِلِهِ على البحرين **حين** ولى مكانه النعمان بن عجلان، **ودعاه** إليه؛ ليصحبه معه في حرب معاوية: «**فَإِنِّي** قَدْ وَلَّيْتُ النُّعْمَانَ بْنَ عَجْلَانَ الزُّرَقِيَّ **عَلَى** الْبَحْرَيْنِ، **وَنَزَعْتُ** يَدَكَ **بِلَا** ذَمٍّ لَكَ، **وَلَا** تَثْرِيبٍ عَلَيْكَ؛ **فَلَقَدْ** أَحْسَنْتَ الْوِلَايَةَ، وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ؛ **فَأَقْبِلْ** غَيْرَ ظَنِينٍ، **وَلَا** مَلُومٍ، **وَلَا** مُتَّهَمٍ، **وَلَا** مَأْثُومٍ؛ **فَلَقَدْ** أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ، **وَأَحْبَبْتُ** أَنْ تَشْهَدَ مَعِي؛ **فَإِنَّكَ** مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ!! **جَعَلَنَا** اللهُ وَإِيَّاكُمْ **مِنَ** الشَّاكِرِينَ الذَّاكِرِينَ، **الَّذِينَ** يَهْدُونَ بِالْحَقِّ **وَبِهِ** يَعْدِلُونَ».

**هكذا** دَأَبَ الإمام **في** تربيته للأجيال: **فتراه** مرة كالصوارم على الخيانة **ولو**

من أقرب المقربين، **وَمَرَّةً** يَهُبُّ كالنسيم.

**وَمَدْحُهُ** لربيب رسول الله ﷺ عمر بن أبي سلمة؛ **ليس** لقرابته هذه، **بل** لأمانته، وكفاءته، **وأنه** ممن يستظهر به على دحر الباطل! **ثم** ها هو **يصف** الجبهة التي يتصدى لها، **ويتأهب** لقتالها؛ **إنها** جبهة تضم الجشع، والأنانية، والإفراط في حب الدنيا، والعشق للملذات حتى النخاع! **ألا** وهو معاوية.

**وقد وصفه** الإمام في مكان آخر **فقال**[النهج:178]: «أَمَّا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي **رَجُلٌ** رَحْبُ الْبُلْعُومِ، **مُنْدَحِقُ** الْبَطْنِ: **يَأْكُلُ** مَا يَجِدُ، **وَيَطْلُبُ** مَا لَا يَجِدُ! **فَاقْتُلُوهُ** وَلَنْ تَقْتُلُوهُ، **أَلَا** وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي، وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي: **فَأَمَّا** السَّبُّ فَسُبُّونِي؛ **فَإِنَّهُ** لِي زَكَاةٌ، وَلَكُمْ نَجَاةٌ، **وَأَمَّا** الْبَرَاءَةُ فَلَا تَتَبَرَّءُوا مِنِّي؛ **فَإِنِّي** وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ، **وَسَبَقْتُ** إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ».

**أقول:** المعذرة يا أمير المؤمنين؛ **فنحن** في حال من خراب العباد والبلاد.

**نتمنى** أن يكون المحسن والمسيء **في** منزلة سواء؛ **فالمسيء** في السماء، **والمحسن** في الماء؛ **فَالْحُظْوَةُ** للأسرق، والأكذب، والأبلد، **وَمَنْ** يُتَّقَى بَأْسُهُ، وَيُرْهَبُ جَانِبُهُ، **أو** ترفعه قرابته من الوالي **أو** مصاهرته، **أو** له علاقة متينة بالصليبيين **أو** الصهاينة!.

## [حسن الظن بالرعية]

**وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَتَخْفِيفِهِ الْمَؤُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ؛ فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ؛ فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَبًا طَوِيلًا، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ.**

**وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأُلْفَةُ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ، وَلَا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ؛**

**فَيَكُونَ الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا.**

**وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ، وَمُنَاقَشَةَ الْحُكَمَاءِ فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلَادِكَ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ.**

**المقطع الأول** من كلامه ﷺ **يفيد** أن الإحسان إلى الناس **ثَمَرَةُ** حُسْنِ الظن بهم؛ **فإن** من أحسن إليك حَسُنَ ظَنُّهُ فيك، **وَتَكْرَارُ** الإحسان **يجعلك** تعتقد أنه يحبك؛ **وما** دام يحبك **فأنت** تحبه؛ **لأن** القلوب جُبِلَتْ على حب من أحسن إليها؛ **فإذا** أَحْبَبْتَهُ **سَكَنْتَ** إليه، **وحَسُنَ** ظَنُّكَ به، **وبالعكس** من ذلك الإساءة.

**كان** الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني **من** أحلم وأصفح الناس؛ **فقد** روي أنه دخل المتوضأ؛ **ليجدد** الطهارة؛ **فرأى** فيه رَجُلًا متغير اللون يرتعد فزعًا؛ **فقال** له: ما دهاك؟! **فقال:** أُمِرْتُ بقتلك! **فقال:** وما الذي وعدوك عليه؟ **قال:** بقرة! **قال:** ما لنا من بقرة، **وأدخل** يده في جيبه، **وناوله** خمسة دنانير! **وقال**: اشْتَرِ بِهَا بَقَرَةً، **ولا** تَعُدْ إلى مثل ذلك.

**قال** أبو الدوانيق ثاني ملوك بني العباس لحاجبه الربيع: **سلني** لنفسك؛ **فقال**: مَلَأْتَ يَدِي **فلم** يَبْقَ عِنْدِي موضع للمسألة، **قال**: فسلني لولدك، **قال**: أسألك أن تحبه! **قال:** إن الحب لا يُسْأَلُ؛ **وإنما** هو أمر تقتضيه الأسباب، **قال**: إنما أسألك أن تَزِيدَ مِنْ إِحْسَانِكَ، **فإذا** تكرر أَحَبَّكَ، **وإذا** أحبك أحببته! **فاستحسن** ذلك منه.

**المقطع الثاني:** أن الإمام **نهى** الأشتر **عن** نقض السنن الصالحة، والآثار الجميلة؛ **فيكون** كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا.

**مثاله** في تأريخ الإسلام **ما** فعله معاوية، وبنو أمية مِنْ بعده **مِنْ** تَتَبُّعِ آثار الإمام علي ﷺ وَطَمْسِهَا؛ **وما** فعلوه **إنما** هو هَدْمٌ لمعالم الدين: **من** العدل، **و**الرحمة، **و**مكارم الأخلاق **التي** مَثَّلَهَا أَتَمَّ تمثيل، **حتى** وصلت بهم الحال إلى مخالفته في الصلاة، وشعائر الدين؛ **فحذفوا** البسملة التي كان حَرِيصًا عَلَيْهَا، وَحَيَّ على

خير العمل، ونحو ذلك.

**وَلَمَّا** جاء بنو العباس **مَحَوْا** ما قدروا عليه من آثار بني أمية، وآثار بني عمهم أولاد علي. **وهكذا** كلما جاء مَلِكٌ أو أَمِيرٌ **جعل** هَمَّهُ طَيَّ بساط مَنْ سَبَقَهُ؛ لِيَبْقَى هو.

**ومن** أمثلة ذلك في العصر الذي نحن فيه وعرفناه **ما** حدث من تدمير هيبة الدولة التي وضع أُسُسَهَا الإمامُ يحيى بن محمد حميد الدين ﷺ؛ **فقد** نجح نجاحًا كَبِيرًا في تأمين البلاد، **وَزَرَعَ** للدولة العادلة **هَيْبَةً** قَلَّ نظيرها، **بأسلوب** جمع بين القوة واللين، والحزم والعدل، **وكان** شغله الشاغل **حَلَّ** قضايا الناس، وسرعة البت في النزاعات؛ **ولأنه** من كبار العلماء، وآخر المجتهدين؛ **فقد** كان يجلس تحت شجرة بجوار دار السعادة بصنعاء، **أو** دار الروضة، **أو** دار الْحَجَرِ في وادي ضَهْرٍ **من** بعد شروق الشمس إلى قبيل الظهر، **يَصِلُ** إليه الصغير والكبير، والغني والفقير؛ **ولأنه** كان العالم السياسي المتمكن؛ **فقد** كان الحكام يهابونه؛ **لما** يعرفون من غزارة علمه، وخبرته الإدارية، وكفاءته، ومهارته، وصبره، وجَلَدِه على البحث والتنقيب؛ **فلم** يكن تُكَلَةً، **ولا** بَلِيدًا مُقَلِّدًا، **بل** لَمَّاحًا دَرَّاكًا.

**وكان** بعد انتهاء المقابلة، **والتأكد** من أنه **لم** يبق بحضرته شَاكٍ، **ولا** متظلم، **يذهب** للصلاة في أي مسجد من مساجد صنعاء، **وأثناء** ذهابه وإيابه **يقضي** حوائج مَنْ لَقِيَهُ بدون رُوتِينٍ، **ولا يقول:** انتهى الدوام، **أَوِ** اُطْرَحِ الْوَرَقَةَ داخل الملف، **أو** قابلني غَدًا، **بل** يقضي حاجته فَوْرًا؛ **لأنه** مُدْرِكٌ أن لا فائدة من بقاء الناس بصنعاء؛ **إذ** يترتب على ذلك تعطيل مصالحهم؛ **فهم** زُرَّاعٌ، وأَصْحَابُ ماشية، **وعلى** سواعدهم تدور عجلة الزراعة، وتربية الماشية ونحو ذلك.

**ومن جهة أخرى:** لا يريد أن يتطبعوا بطابع المدينة، وَلِيْنِ عيشها؛ **فيصبحوا** عَالَةً وبطالة لا تتحملها الدولة ذات الموارد الشحيحة، **كما** يُشَكِّلُ تَرَاكُمُ الناس عِبْئًا أَمْنِيًّا وأَخْلَاقِيًّا.

**وكان** المواطن الريفي البسيط **يلجأ** لمقابلة الإمام: إن كانت لـه حاجـة، **أو** غـريم، **أو** لحقه غَبْنٌ من أحد موظفي الإمام؛ **فيعود** سَرِيعًـا بالإنـصاف، وراحـة البـال، والدعوة من الإمام التي كان لها مفعول السِّحْرِ، **ولا** يبخل بوضع كفه على ظهر من يقابله، **أو** صَدْرِهِ قَائِلًا: بارك الله فيك.

**ولشدة** روابط الحب **قال** لي أكثر من واحد: **أَمَانَةِ** اللهِ إِنِّي بَقِيتُ أَحَسُّ بِبَرَكَةِ وَبَـرْدِ كَفِّ الإمام فوق قلبي مدة سنة! **وكانت** عادة الإمام **أن** لا يترك وَرَقَةً لغـد أبـدًا، **بل** يُنْجِزُ قضايا الناس كل يوم بيومه. **وقد** قرأ ورقة لأحد المواطنين **وقد** تأخر في الليل **وفيها**: خادمكم فلان! **فقال**رحمه الله: مَنْ هو الخادم أنا؟ أَوْ هُمْ؟!

**وقد** رَوَى لي الوالد العلامة محمد أحمد المحطـوري عافاه الله **أن** والدتـه رحمها الله **كانت** تدور به في هِجَرِ العلم؛ **ليكون** من العلماء - **فاسـتقرت** بـه في كحـلان عَفَّـارٍ؛ **فَأَرْسَلَتْهُ** من هناك وعمره تسع سنوات إلى الإمام يحيى بصنعاء سـنة1947م **قبـل** استشهاد الإمام بسنة؛ **لتقرير** مُرَتَّبٍ له كأمثاله بمدرسة كحلان الأمـير، **وقالـت** لـه: اكتب ورقة لك وورقة لي، **فأقنع** والدته أن المرتب المـدرسي يكفـيهما، **وَلَمَّـا** قابـل الإمام **سأله** بشفقةٍ ورحمة: **ما** اسمك؟ **من** أين أنت؟ ...إلخ، **وكان** يجيبه، **وأخبره** رغم صغر سنه بأن بلاد الشرفين ناصرت الإمام ضد الغزاة! **فأمر** له بمرتب شهري ريالين فضية وَقَدَحَ طعام، **وهنا** توقف الإمام، **ثم** قال له: مَنْ مَعَكَ؟ **فقال**: أُمِّي؛ **فـأمر** الإمامرحمه الله بإجراءِ مُقَرَّرٍ شهريٍّ لها ثلاثة ريالات، **وأنهى** الأمـر بقولـه: **وعـلى** الولـد العناية والاهتمام بالقراءة!

**وَكَتَبَ**: عبدالله وفقه الله - **وكانت** هذه الْعِبَارَةُ تَوْقِيعَ الإمـام - **وأعطـاه** رِيَـالًا مصروف الطريق.

**هكذا** كانت رحمة أئمة الهدى، ومحبي رعاياهم، والمشفقين **على** الضعفاء واليتامى! **وقد** لاحظت الثناء الحسن **من** الوالد محمد **للإمـام** في كل مجالـسه، **وَتَـأثر** بكلمـة

الإمام **فكان** عِصَامِيًّا. **وكأن** الإمام يستحضر قول شوقي:

**وَرُبَّ صَـــغِيرِ قَـــوْمٍ عَلَّمُـــوهُ سَـــمَا وَحَمَـــا الْمُـــسَوَّمَةَ الْعِرَابَـــا**
**وَكَـــانَ لِقَوْمِـــهِ نَفْعًـــا وَفَخْـــرًا وَلَـــوْ تَرَكُـــوهُ كَـــانَ أَذًى وَعَابَـــا**

**وهناك** من ينتقد بعض الأمور على الإمام يحيى، **ولا سيما** ما يتعلق بالانفتاح على العالم. **لكني** اقتصرت على المهم من الإنصاف والعدل؛ والكمال لله تعالى.

**المقطع الثالث:** أمره بأن يُكْثِرَ من مدارسة العلماء، ومناقشة الحكماء، **وقد** عَلَّمَ الله نَبِيَّهُ **أن** يقول: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[طه:114] ، **وسافر** نبي الله موسى عليه السلام **وهو** من أولي العزم من الرسل سَفَرًا طَوِيلًا **لَقِيَ** منه نَصَبًا؛ ليتعلم.

**وقال** لقمان عليه السلام لابنه: **يَا بُنَيَّ**، جَالِسِ الْعُلَمَاءَ، وَزَاحِمْهُمْ بِرُكْبَتَيْكَ؛ **فَإِنَّ** اللَّهَ يُحْيِي الْقُلُوبَ بِنُورِ الْحِكْمَةِ **كَمَا** يُحْيِي اللَّهُ الْأَرْضَ الْمَيْتَةَ بِوَابِلِ السَّمَاءِ.

**وقد** نَشَأَتْ في العصر الحديث **مَرَاكِزُ** للدراسات والبحوث **ولاسيما** في الدول الراقية التي يعمل فيها كبار العلماء في شتى التخصصات، **ويقدمون** زُبْدَةَ بحوثهم، **وخلاصة** أفكارهم، **وثمرة** تجاربهم لأصحاب القرار، **ثم** لا يَمُرُّ القرار السياسي **حتى** يُعْرَضَ على البرلمان، ومجلس الشيوخ، **وغَالِبًا** ما يكون في هذه المجالس: عباقرة، وعلماء، وفلاسفة، وأصحاب خبرة ودراية، **ورغم** ذلك لا تَسْلَمُ القرارات مِنَ الأخطاء؛ **فترشقها** الصحافة الحرة **بسهام** النقد اللاذع **دون** خوف.

**وهناك** قضاء عادل صارم؛ **فاستقرت** بذلك أحوالهم **من** أنانية الفرد، **ونزوة** المستبد، **وجنون** الواحد الذي نعاني منه في بلداننا؛ **فالرئيس** ونحوه في دنيا العرب **يشبه** القلم الرصاص **يمسح** بأسفله **ما** كتبه برأسه!

**وأما** تدمير التراث **فَحَدِّثْ** وَلَا حَرَجَ؛ **فهذه** الوهابية **قَضَتْ** على كل مَعْلَمٍ، **ولولا** الخوف من العالم الإسلامي **لهدموا** قُبَّةَ الرسول ﷺ وَقَبْرَهُ، **وقد** شَاهَدْتُ بِنَفْسِي **كيف** ينظرون بغيظ لزوار النبي ﷺ، **ويتعاملون** بعجرفة؛ **فتشعر** وأنت

بجوار قبر النبي ﷺ **كأنك** تدوس على أكبادهم!

**نعم:** لا مانع **مِنْ** تنظيم الناس **مِنْ** كثرة الزحام، **ولكن** التشدد في تنفير الناس عن الرسول ﷺ **بدعوى** أن الزيارة إنما هي للمسجد - **يتنافى** مع تعاليم الإسلام، ومكانة الرسول ﷺ العظمى في قلوب المسلمين؛ **فما** نَزُورُ إِلَّا الرَّسُولَ؛ **فَبِهِ** تَشَرَّفَتِ الدنيا.

**أما** مقبرة البقيع **فقد** سُوِّيتْ مشاهدها بالأرض، **وَمُنِعَتِ** النساء من الزيارة **إلا** من وراء الشباك، **ولم** يَعُدْ لِشِعْبِ بني هاشم، **ولا** البيت الذي ولد فيه الرسول ﷺ أي أثر! **وكأنهم** يطبقون سُنَّةَ الوليد بن عبد الملك **عندما** شاهد منزل علي والزهراء **وَقُرْبَهُ** من منزل الرسول ﷺ **فغاظه** ذلك؛ **وقال:** ها نحن نلعنه على المنابر! **والناسُ** يشاهدونه بهذا القرب والخصوصية، **وأمر** على الفور بهدمه[1]!.

**أما المذهب** الزيدي خاصة؛ **فقد** ناله من القضم والهضم في الداخل والخارج **ما لا** يتسع المجال لذكره.

**وخلاصة** توجيه إمام الهدى **أَلَّا** يكون الْوُلَاةُ عَوَامِلَ هدم، ومعاول تدمير، **وأن** يكونوا بناة حضارة.

**إن** الإمام عَلِيًّا عليه السلام **لم** يسترجع فَدَكًا **وهي** له، **ولم** يشأ أن يَنْقُضَ حُكْمَ أبي بكر: خَطَأً كان أم صَوَابًا. **ولكنه** رد قطائع عثمان على أصحابها؛ **ليكون** رَمْزًا وقدوة!

---

(1) حدثني عبد العزيز بن محمد عن بعض أهل العلم **قال**: قدم الوليد بن عبد الملك حاجا **فبينا** هو يخطب الناس على منبر رسول الله ﷺ إذ حانت منه التفاتة؛ **فإذا** بحسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام في بيت فاطمة في يده مرآة ينظر فيها؛ **فلما** نزل أرسل إلى عمر بن عبد العزيز **فقال**: لا أرى هذا قد بقي بَعْدُ! **اشْتَرِ** هذه المواضع **وأدخل** بيت النبيّ ﷺ المسجد وَٱسْدُدْهُ. **وفي** خبر ليحيى **إنه** لما نزل من خطبته **أمر** بهدم بيت فاطمة، **وأن** حسن بن حسن وفاطمة بنت الحسين **أبوا** أن يخرجوا منه؛ **فأرسل** إليهم الوليد: إن لم تخرجوا منه هدمته عليكم؛ **فأبوا** أن يخرجوا؛ **فأمر** بهدمه عليهم، **وهما** فيه وولدهما؛ **فَنُزِعَ** أساس البيت وهم فيه؛ **فلما** نُزِعَ **قالوا** لهم: إن لم تخرجوا قَوَّضْنَاهُ عليكم! **فخرجوا** منه حتى أتوا دار عليٍّ نهارا.

**وفي** خبر لابن زبالة **أن** الوليد **كتب** إلى عمر بن عبد العزيز يأمره بالزيادة في المسجد، **وأن** يشتري هذا المنزل؛ **فأبوا، وقال حسن**: والله لا نأكل له ثمنا، **قال**: وأعطاهم به سبعة آلاف دينارٍ وثمانية؛ **فأبوا، فكتب** للوليد بذلك؛ **فأمره** بهدمه وإدخاله وطرح الثمن في بيت المال، **ففعل، وانتقلت** منه فاطمة بنت حسين بن عليّ إلى موضع دارها بالحرة، فابتنتها. ينظر وفاء الوفاء للسمهودي1/ 514.

**فهل** يا ترى يُوجَدُ رَجُلُ دَوْلَةٍ يُمَاثِلُ هذا الطراز؟!

**أما العلم** ومدارسة العلماء؛ **فالمفترض** أن يكون كالغذاء والماء والهواء؛ **فلا** يليق بأي آدمي سَوِيٍّ **أن** يُضَيِّعَ وقته هباء، **ويعيش** رَاضِيًا بحياة الجهل، **ورحم** الله الإمام الشاطبي **ذلك** العالم الضرير **الذي** كان يحفظ حِمْلَ جملٍ، **وصاحب** منظومة الشاطبية التي تشبه المعجز، **وعليها** مدار القراءات السبع - **يتحسر** ويقول: **فَيَا ضَيْعَةَ الْأَعْمَارِ تَمْضِي سَبَهْلَلَا.**

**ومَنْ** يطالع تراجم عباقرة العلماء **تُدْرِكْهُ** الحسرة **على** سقوط الهمم، **وغلبة** الجهل، **وغربة** العلم والعلماء؛ **فالمدارس** والجامعات في اليمن **صارت** حقول جهل مخيف، **وعلوم** الشريعة والعربية بفروعها **على** وشك الانقراض، **والشباب** متبلد الذهن، جامد التفكير، **يرى** الْعَالِمَ أمامه، ويسمع دروسه ؛ **فَيُعْرِضُ** إِعْرَاضَ البَشِمِ! **ويستمر** على حالة مزرية من الجهل، والإعجاب بالنفس؛ **وهكذا** صارت الأمة والحالة العلمية ضائعة **بين** متعصب جاهل، **وشبه** متعلم مغرور.

**إني** أدعو إلى العلم الراسخ **في** أي مجال كان: علم الشريعة، والعربية، وعلوم الكون، والتكنولوجيا، والطب، والهندسة... إلخ؛ **قال** تعالى: ﴿**يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾[المجادلة:11]، **وقال:** ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ**﴾[الزمر:9]؛ **فالعلم** باتفاق أهل الأرض **شَرَفٌ** ما بعده شرف، **وَفَخْرٌ** ما فوقه فخر، **وَعِزٌّ** ما يغالبه عِزٌّ؛ **وَمَنْ** أراد أن يرتفع عن درجة الدواب؛ **فلا** بد أن يتعلم.

## [طبقات الرعية والعلاقة فيما بينها]

**وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ، وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ: فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ. وَمِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ. وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ.**

وَمِنْهَا: عُمَّالُ الْإِنْصَافِ وَالرِّفْقِ. وَمِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ: مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ. وَمِنْهَا: التُّجَّارُ، وَأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ. وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى: مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ.

وَكُلٌّ قَدْ سَمَّى اللَّهُ لَهُ سَهْمَهُ، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِﷺ عَهْدًا مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظًا: فَالْجُنُودُ بِإِذْنِ اللَّهِ حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ الْوُلَاةِ، وَعِزُّ الدِّينِ، وَسُبُلُ الْأَمْنِ، وَلَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ.

ثُمَّ لَا قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقْوَوْنَ بِهِ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ.

ثُمَّ لَا قِوَامَ لِهَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إِلَّا بِالصِّنْفِ الثَّالِثِ: مِنَ الْقُضَاةِ، وَالْعُمَّالِ، وَالْكُتَّابِ؛ لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ، وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَيُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا.

وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعًا إِلَّا بِالتُّجَّارِ، وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ، وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ.

ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى: مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ، وَفِي اللَّهِ لِكُلٍّ سَعَةٌ، وَلِكُلٍّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ، وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالِاهْتِمَامِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ، وَتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ.

**من هذا** الكلام فليتعلم خبراء الاجتماع، **ولله** در القائل:

**النَّاسُ لِلنَّاسِ مِن بَدْوٍ وَمِنْ حَضَرٍ ... بَعْضٌ لِبَعْضٍ وَإِنْ لَمْ يَشْعُرُوا خَدَمُ**

**فالإنسان** مدني بطبعه، مَجْبُولٌ على العيش مع غيره من بني جنسه؛ **لأنه** محتاج في بقائه للمأكل والمشرب، **ولدفع** الْحَرِّ والبرد إلى ملبس، **ومحتاج** لِمَنْزِلٍ يُؤْوِيهِ

من المطر والريح، ويحفظ متاعه، وَهَلُمَّ جَرًّا من المصالح والمنافع المرتبطة بالزراعة، والصناعة، والتجارة؛ **ولا غنى** لكل طبقة من هذه الطبقات عن الأخرى؛ **فهي** تكمل بَعْضُهَا بعضًا.

**وهذه** الفقرة تدل على أن للإمامﷺ سَبْقًا في وضع الخطوط العريضة لعلم الاجتماع، **ولكنه** لم ينل ما يستحقه من التحليل والدراسة من قِبَلِ الباحثين الاجتماعيين وغيرهم.

**وقد** وصل الْعَالَمُ إلى مراحل متطورة من التنظيم. **وأكثر** البلدان تَطَوُّرًا **هي** التي تجلب الاستثمارات والمستثمرين إليها؛ **ولا** يَتَأَتَّى لها ذلك **إلا** بترسيخ قواعد ثابتة، وأسس راسخة **يعتمد** عليها الاقتصاد، **وهي** البنية التحتية القوية **وهي**:

1- **جَيْشٌ وَأَمْنٌ مُحْتَرِفٌ،** قادر على تأمين البلاد، وضبط الأمور، وتحصين الحدود. **وَرَبْطُهُمْ** رَبْطًا وَثِيقًا برب العالمين، **وَغَرْسُ** فضيلة الجهاد في نفوسهم، **وَزَرْعُ** حب الشهادة في قلوبهم، **وَتَعْرِيفُهُمْ** بأن العون والتأييد والنصر من الله؛ **وَتَثْقِيفُهُمْ** بكتاب الله تعالى، **ولاسيما** مثل **قوله** تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأنفال:17]، **وقوله** تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[محمد:7]؛ **وقوله** تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[آل عمران:126].

**وَتَلْقِينُهُمْ** سيرةَ رسول اللهﷺ، **وَتَعَامُلَهُ** مع جنوده؛ **فالجنود** يستحقون هذا الاهتمام؛ **فهم** زينة الولاة، **وهيبتهم** أمام الأعداء؛ **ولذلك** نَبَّهَ الإمامﷺ **وحث** على إكرام الجند، **وتحسين** أحوالهم، **والاهتمام** بمظاهرهم، **وعدم** التفريط بهم وإهمالهم، **كما** سيأتي للإمامﷺ قَرِيبًا.

2- **قَضَاءٌ عَادِلٌ،** وقُضَاةٌ على مستوى رفيع: **من** العلم الغزير، والذكاء، والحسم السريع للقضايا.

3- **تَعْلِيمٌ مُتَطَوِّرٌ** راقٍ يستوعب التطور السريع، **ويقتطف** من كل شيء أحسنه؛ **لِأَنَّا** نعيش عصر انفجار المعلومات، **فماذا** نفعل إزاء موج متلاطم، وتيار

هادر من المؤلفات والاختراعات والمخزون الثقافي الضخم؟! **لابد** لنا من تعلم القراءة السريعة، **وحسن** اختيار المعلومة، **وأن** نتمثل بقول القائل:

**مَا حَوَى الْعِلْمَ جَمِيعًا أَحَدٌ لَا وَلَوْ مَارَسَهُ أَلْفَ سَنَهْ**

**إِنَّمَا الْعِلْمُ كَبَحْرٍ زَاخِرٍ فَاتَّخِذْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهْ**

4- **زِرَاعَةٌ مُزْدَهِرَةٌ،** وَاهْتِمَامٌ بِالطُّرُقِ الزِّرَاعِيَّةِ؛ **التي** تُسَهِّلُ وُصُولَ المزارعين إلى مزارعهم، **ونقل** محصولاتهم بالوسائل الحديثة، **والاهتمام** بترشيد المياه في سقي الزراعة. **وفي** إهدار المياه لسقي القات **مشكلة** كبيرة، **ومعضلة** عويصة.

5- **تَشْجِيعُ الشَّبَابِ** على الزراعة؛ **باعتماد** منهج مدرسي **يراعي** أوقات المزارعين، وأيام الحصاد، **فلا** يُشْغَلُونَ بمنهج ثقيل رتيب مُمِلٍّ يفرز جحافل: من الفاشلين، والبلداء، والعاطلين، والكسالى.

6- **بناء سدود**: كبيرة، ومتوسطة، وصغيرة **في** مضايق ومخانق، تتلقى الأودية والمساقي والمياه التي تذهب هَدَرًا؛ **بأسلوب** يجمع بين استخدام الآلات الثقيلة والخفيفة والأيادي البشرية، **ويستفاد** من الشباب كقوة عاملة، **ولاسيما** في المناطق الوعرة؛ **فبالإمكان** استنهاض الطلاب أيام الْعُطَلِ، والجيش أوقات الفراغ؛ **وقد** لا يحتاجون **إِلَّا** إلى كسارات يدوية، **وآلات** بسيطة **مع** وَفْرَةٍ من البَنَّائِينَ والفنيين، **وقد** يحتاج العمل لمعدات ثقيلة **لجرف** الجوانب، **وتوسعة** جوف السد.

**وَالْأَمْوَالُ** التي تُرْصَدُ مُجَازَفَةً، وتكون عرضة للنهب المنظم - **قَادِرَةٌ** على صنع العجائب، **وبناء** المئات **مثل** سد مأرب **عند** وجود **الإدارة** الصادقة، **والإرادة** القوية، **والأكف** الطاهرة النظيفة؛ **وَسَتَجْلِبُ** مِيَاهُ السُّدُودِ **رَفَاهِيَّةً** مَعِيشِيَّةً، **وَسِيَاحَةً** دَاخِلِيَّةً، **وَوَفْرَةَ** محصولٍ يفوق الوصف.

**وَسَتَخْلُقُ** فُرَصَ عمل لا حصر لها في مجال الخدمات السياحية: **من** مَطَاعِمَ، **وَمَقَاهٍ، واستراحات، ووسائل** تنقل، **وورش** صيانة وغيرها.

**وَيُوَجَّهُ** الشباب أيضًا نحو العمل الجاد: **كبناء** الجسور، والكباري، والطرق الحديثة **عِوَضًا** عن الشركات الأجنبية، **وَيُشَجَّعُ** المبدعون **على** الإبداع والابتكار والصناعة.

7- **تَنْظِيمُ تَسْوِيقِ الْمَحَاصِيلِ الزِّرَاعِيَّةِ،** وفتح أسواق لها، **وإقامة** صَوَامِعَ لحفظ الحبوب والخضروات، **وشراء** المحاصيل من المزارعين، **واستخدامها** في الأفران؛ **لِتُزَوَّدَ** منها ثكنات الجيش، وملاجئ اليتامى، والمدارس؛ **وستعتمد** الْأُسَرُ **على** الأفران التي تصنع الخبز والْكِدَمَ: **من** الذرة، **والبر، والشعير، والْقِلَّا، وَالْعَتَرِ،** وَالْبِلْسِنِ، ونحوها؛ **لأن** ذلك غِذَاءٌ غَنِيٌّ بالفيتامينات، وشَهِيٌّ لَذِيذٌ، **وسنوفر** العملة الصعبة **التي** نجلب بها الدقيق والبر من الخارج.

8- **يُصْنَعُ** من الطماطم معلبات الصلصة، **ومن** الأعناب والفواكه: **تُصْنَعُ** جميع أنواع العصائر الطبيعية **عِوَضًا** عن عصائر السكريات المستوردة **أو** المحلية، والغازيات الضارة، **وما** شابه ذلك من الفوضى.

9- **التَّرْكِيزُ** على الثروة الحيوانية، **وهي** مواكبة للنهضة الزراعية: **من** إبل، وبقر، وغنم، ودجاج.. إلخ.

10- **الْحِفَاظُ** على البحر واستغلال ثروته، **وتسويق** أغلى الأسماك **لِتُدِرَّ** الملايين من العملة الأجنبية. **وَحِمَايَةُ** البحرِ **من** سفن الصيد الضار المجحف، **ومن** صيد الأسماك وقت التفقيس، **ومن** القراصنة، ولصوص الداخل والخارج - **أَمْرٌ** يفرضه الدين والخلق والوطنية، **ويمكن** وبتكلفة زهيدة **تدريب** الصيادين **على** حماية البحار؛ **فهم** أهل السواحل، **ومتعودون** على حَرِّ تهامة، ورطوبة البحر، **ولديهم** المواطنة الصادقة، **ويتميزون** بالبراءة والصدق، وحاجاتهم زهيدة، **وسوف** يوفرون لخزينة الدولة **مبالغ** هائلة **تُنْفَقُ** على القوات البحرية، وخفر السواحل الذين لا يدفعون خَطَرًا.

11- **وجود** كَادَرٍ إداري نموذجي مُدَرَّبٍ على خِدْمَةِ الشَّعْبِ، **وليس** أَشْكَالًا مُحَنَّطَةً فَوْقَ الْكَرَاسِي، **ووراء** المكاتب؛ **فوزارة** المالية، والبنك المركزي،

والضرائب، والجمارك، والواجبات **يُمْكِنُ** أَنْ تُجْمَعَ في مؤسسة واحدة، **وتديرها** مجموعة يسيرة من محترفي الحاسوب، **وعباقرة** الحسابات والاقتصاد، والبراعة الإدارية الفائقة، **وَسَيُغْنُونَ** عن الْكَمِّ الْهَائِلِ، والألوف المؤلفة المتراكمة في المكاتب **الذين** ليس لهم فائدة ولا معنى **إلا** التعقيد والروتين المصطنع، **واستهلاك** جبال: من الأوراق، والأحبار، والأثاث؛ **وربما** لا يصل لخزينة الدولة **من** بين أيديهم إلا القليل؛ **وَيُسْتَفَادُ** من هذه الأيدي **في** العمل الجاد: **من** صناعة، **و**زراعة، **و**أعمال يدوية، ونحو ذلك.

**والصناعة:** تعتمد **على** مخرجات التعليم الراقي الحديث، **وتنمية** المواهب، **واكتشاف** النوابغ، **وتشجيع** الميول، والتفوق والاختراع؛ **فالثروة** الحقيقية، والكنوز التي لا تنضب، والمدد الزاخر - **إنما** تأتي من التنمية البشرية والعناية بالإنسان؛ **ولا يمكن** للإنسان أن يُبْدِعَ **إلا** في ظل حكم رشيد، وعدل، وحرية تامة: **تَتَفَجَّرُ** في رُبُوعِهَا الطاقات، **وتتنامى** الإبداعات من النساء والرجال، **ولم ولن** يتقدم مجتمع يحكمه العسكر والمغامرون، والعقول الجامدة، وأصحاب التفكير البليد المتخلف؛ **إذ كيف** ينمو مجتمع **أو** يخرج من الصفر **وهو** يُحْكَمُ بالحديد والنار؟! **ولا تزدهر** فيه إلا الهراوات بأيدي الجيش والأمن، وجحافل مكافحة الشَّغَبِ؟! **وكيف** يتقدم شعب لا يتنفس **إلا** دُخَانَ القنابل المسيلة للدموع، **وَالْمُرِيقَةِ** للدِّمَاءِ، **والْمُهْدِرَةِ** للكرامة الإنسانية، **وَالْخَانِقَةِ** لكل أمل في الحياة الكريمة، **والْعَيْشِ** ولو فوق مستوى عيش البهائم؟! **وكيف** ينهض شعب **جَيْشُهُ** وأمنه، ورجاله، ونساؤه **مُسَخَّرٌ** لخدمة الحاكم الظالم؟!

**وتدريب** المقاتلين من الجيش والشرطة، وتعبئتهم في دنيا العرب - **إِنَّمَا** هو لِضَرْبِ الشعوب، وقمعها، واضطهادها، وَكَتْمِ أنفاسها؛ **فليس** لهم عدو سوى شعوبهم، **ولا** غريم سوى مواطنيهم؛ **فلا** تبكي على الإنسان العربي المنكوب **بَاكِيَةٌ**

حين يُضْرَبُ، وَيُحْبَسُ، وَيُدَاسُ، وَيُطْحَنُ، وَيُخْلَسُ، وَيُنْهَبُ، وَيُسْلَبُ، وَيُنْتَهَكُ عِرْضُهُ وَأَرْضُهُ وَحَالُهُ وَمُسْتَقْبَلُهُ، وَيُغْتَالُ أَمَلُهُ، وَيُشَلُّ تَفْكِيرُهُ، ويُعْرَكُ وَيُدْبَغُ **حتى** يدخل عالم اللاوعي؛ **فَيُرَدِّدَ** لَاطِمًا صدره: بالروح بالدم، نفديك يا مجرم.

**رَئِيسُنَا إِلَى الْأَبَدْ الشِّبْلُ وَالْأَسَدْ وَالنَّاسُ فِي الْبَلَدْ فِي الْهَمِّ وَالنَّكَدْ**

**رَئِيسُنَا إِبْلِيسْ وَجَارُنَا جَاسُوسْ نُرِيدُ أَنْ نَبْقَى مِنْ غَيْرِ مَا نَامُوسْ**

**الْهِمَّةُ** مَقْتُولَةٌ **ما** دامت الْحُرِّيَّةُ مخنوقة، **والهوية** مفقودة **ما** دامت القيادة غير رشيدة، **والاقتصاد** مُنْهَارٌ؛ **عندما** يديره لصوص أشرار!

**كان** الدكتور أسامة الباز يبحث عن عمل بإحدى جامعات مصر؛ **فَلَمَّا** لم يجد عملًا في جامعة المنصورة - **هاجر** واحتضنته وكالة ناسا الفضائية؛ **فأصبح** أحد عمالقة علماء الفضاء! **وماذا** عساه أن يفعل في دولة بوليسية؟! **وكم** من العقول العربية هاجرت وأبدعت في الطب والفلك والفيزياء والاقتصاد **وفي** شتى ميادين العلوم والتفوق **حين** وجدوا الْحُرِّيَّةَ وَاحْتِرَامَ العلم **في** الخارج، **وَالْإِنْفَاقَ** السَّخِيَّ على الأبحاث، **والتسابق** على تشجيع المبدعين؟! **فإلى** متى نظل نُقَدِّسُ الْحَاكِمَ، ونَحْتَقِرُ الْعَالِمَ؟!.

**أما التجارة:** فهي الشريان للمجتمع؛ **والتجار** محتاجون إلى رعاية وعناية: **تحفظ** لهم حقوقهم، **وتحفظ** المجتمع **من** تلاعبهم بالأسعار، **وغشهم** في المكاييل، والموازين، والذرع، **وفي** جودة السلع، وصلاحيتها للاستخدام.

**وقد** أَوْلَاهُمُ الرسولﷺ والأئمة من بعده اهْتِمَامًا بالتهذيب، والتفقيه؛ **فروى** الإمام زيد في مجموعه [254] **عن** عليؑ: **أَنَّ** رَجُلًا أَتَاهُ **فَقَالَ**: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي أُرِيدُ التِّجَارَةَ فَأَدْعُ اللهَ لِي؛ **فقال**: «أَوَ فَقُهْتَ فِي دِينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»؟ **قَالَ**: أَوَ يَكُونُ بَعْضَ ذَلِكَ؟ **قال**: «وَيْحَكَ! الفِقْهَ ثُمَّ الْمَتْجَرَ؛ **إِنَّ** مَنْ بَاعَ وَاشْتَرَى **وَلَمْ** يَسْأَلْ عَنْ حَلَالٍ **وَلَا** حَرَامٍ **ارْتَطَمَ** فِي الرِّبَا، **ثُمَّ** ارْتَطَمَ».

**وقال** الهادي عليه السلام في الأحكام [2/ 34]: **ينبغي** لمن أراد التجارة **أن** يتفقه في الدين، **وينظر** في الحلال والحرام من كتاب الله رب العالمين؛ **حتى** يَأْمَنَ على نفسه الزلل والخطأ في المضاربة والبيع والشراء.

**وروي** عن النبي ﷺ: «التُّجَّارُ هُمُ الفُجَّارُ»، **قالوا**: يا رسول الله **أليس** قد أحل الله البيع؟ **قال**: «بَلَى، **وَلَكِنَّهُمْ** يَقُولُونَ فَيَكْذِبُونَ، وَيَحْلِفُونَ فَيَأْثَمُونَ»[المستدرك2/ 6]. **وروي** أنه **قال**: «التُّجَّارُ يُبْعَثُونَ يَوْمَ القيامة فُجَّارًا **إِلَّا** مَنِ اتَّقَى وَبَرَّ وَصَدَقَ» [المستدرك2/ 7].

**والأَيْمَانُ** مَمْحَقَةٌ للتجارة، مَذْهَبَةٌ للبركة. **وحين** أَدْخَلَ النبي ﷺ يده في كِيسِ حَبٍّ فَوَجَدَهُ مَبْلُولًا، **وَكَانَ** التَّاجِرُ يُرِيدُ أَنْ يَنْتَفِخَ الْحَبُّ؛ **فقال** له النبي ﷺ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ»؟! **فقال**: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ بِالْمَطَرِ؛ **فقال**: «فَهَلَّا جَعَلْتَهُ مِنْ فَوْقُ لِكَيْ يَرَاهُ النَّاسُ؟! مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»[1].

**وقد** ابتكر النَّاسُ في زمننا **أَجْهَزَةَ** مُرَاقَبَةٍ رَسْمِيَّةً، **وأقامت** المجتمعاتُ جمعياتٍ لحماية المستهلك.

**ومن قواعد** التجارة: **أَلَّا** يُمَارِسَهَا الْحُكَّامُ، **وَلَا** يَمْتَهِنَهَا الوُلَاةُ؛ **لأن** الملك، **أو** الرئيس، **أو** السلطان، **أو** الأمير، **أو** الوزير، **أو** المدير، **أو** العسكري، **أو** القاضي وغَيْرَهُمْ - **وَاجِبَاتُهُمُ** المقدسةُ خِدْمَةُ النَّاسِ، **وَالسَّهَرُ** على مصالحهم، **وَحِمَايَتُهُمْ** من أي انحراف؛ **فإذا** أصبحوا تُجَّارًا **كما** هو حاصل اليوم **فعلى** الدنيا السلام: **سيتلاعبون** بالأسعار، **ويعبثون** بقانون الرقابة، **ويبيعون** السلع الفاسدة، **ويجلبون** المواد المغشوشة، والأدوية المنتهية الصلاحية!

**وماذا** أشرح لك **إذا** كانت أطقم الجيش **تحمي**: مُسْتَوْرِدي الخمور، والمخدرات، والأسلحة، والمبيدات الضارة بالبشر والشجر والحجر.

**لقد** أصبح المواطن فريسة تمزقها أنياب الوحوش الجائعة، **ولم** يسلم حتى

---

(1) المجموع الفقهي والحديثي 275، وابن حبان 11/ 270 رقم4905، والمستدرك 2/ 11 رقم2155.

الحُجَّاجُ من المُتَاجَرَةِ بهم! **وأصبحت** المقاولات والوكالات التجارية **بأيدي** التماسيح البشرية ! **فقل** لي بربك **كيف** سيكون الحال إذا عُهِدَ للضباط : **مِنْ** أَمْنٍ وجيش، وأبناء وزراء وموظفين كبار، والمشائخ، والأقارب، والأصهار بالمقاولات، ورصف الشوارع وإصلاح المجاري؟! **إلى** آخر المهازل **التي** يندى لها الحجر **ناهيك** عن الجبين، **ويخجل** منها الشيطان **فما** بالك بالإنسان؟!

**وَمِنْ نَتَائِجِهَا** أن اختفت الطبقة الوسطى، **وتحولت** البيوت التجارية الكبيرة **إلى** ما يشبه الذميين اللاجئين تحت رحمة النار الحمراء، وحماية الحيات الزرقاء، والأفاعي الرقطاء، والعقارب السوداء، **والتُّجَّارُ** يحاولون استعاضة ما سُلِبَ منهم من المستهلكين.

**وقديمًا** قالت امرأة للإمام أحمد الذي كان يَرُدُّ في الأوراق **بقوله**: لا باس، **ويوقع**: أحمد الله، **فلم** تجد نَصَفًا؛ **فَكَتَبَتْ** لَهُ:

**يَا مُشْتَكِي رُدَّ الشُّكَا إِلَى اللهْ مَا يِنْفَعَكْ لَا بَاسْ وَلَا احْمَدَ اللهْ**

**فماذا** عساها أن تقول اليوم للصم البكم العمي؟!

**أما الطبقة السفلى** فهم أهل الفقر، والمسكنة، والحاجة، الذين تجب معونتهم والإحسان إليهم: **من** الأرامل، واليتامى، **ومن** لا عائل له، **ولا** حيلة، **ولا** وجاهة، **ومن** قال الله فيهم: ﴿**لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَىٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ**﴾[البقرة:273].

**وقد** لوحظ **استفحال** التَّسَوُّلِ، **وتحوله** إلى مهنة؛ **بسبب** غياب المسؤولية، **وإهمال** المجتمع، **وتعرض** الأطفال لأذية شديدة؛ **فقد** اسْتُخْدِمُوا أَدَوَاتِ استجداء، **ويظل** الطفل **مع** أمه **أو** قريبه **أو** أي متسول في الشارع بين الشمس الحارقة، والبرد القارس، والغبار، ودخان العربات من الفجر إلى نصف الليل،

**ولا** مغيث، **ولا** مجير.

**وبعضهم** قد يعمد إلى إيذاء الطفل **بكسر** عضو ليبقى مُعَوَّقًا؛ **لاستدرار** العطف والشفقة! **أو** يعمد إلى تلبيسه بالجبس في رقبته، **أو** في يديه، **أو** رجليه!

**وقد** اكتشفت بنفسي بعض هذه المآسي، **وبعضهم** يتظاهر بالبكاء كذبًا! **وتتعرض** كذلك الفتيات المتسولات للمساس بأعراضهن.

**والمسألةُ** ذات شجون، **ولا بد** من مبادرة أَهْلِ الْغَيْرَةِ مِنَ الْآمِرِينَ بالمعروف والناهين عن المنكر؛ **لِسُرْعَةِ** معالجة هذه الظاهرة، وحسمها تمامًا؛ بتوجيه القادرين **إلى** العمل، وترشيدهم للإنتاج؛ **ليكونوا** أدوات بناء لا شحاتين، **وَمَنْ** يحتاج لإعالة **وَجَبَتْ** إعالته.

**وهذه الطبقة** الضعيفة المسحوقة **هي** التي تحتاج إلى تواضع وصبر، **وَتَعَرُّفٍ** على أحوالهم عن قُرْبٍ، **كما** أشار الإمام.

**يقول جور جرداق:** حدثني الكاتب اللبناني (ج.ح) **قال:** يوم كنت في أحد البلدان الأوربية **التي** تسعى في تحرير الإنسان من العوز والفاقة وويلاتها، **قلت** لوزير معارف ذلك البلد: **نحن** العرب، سبقناكم أكثر من ألف عام **إلى** إدراك حقيقة المجتمع الطبقي التي تعملون أنتم اليوم على توضيحها؛ **فقال** الوزير الأوروبي: **وكيف** كان ذلك؟ **قال:** منذ بضعة عشر قرنًا **قال** علي بن أبي طالب: «مَا رَأَيْتُ نِعْمَةً مَوْفُورَةً إِلَّا وَإِلَى جَانِبِهَا حَقٌّ مُضَيَّعٌ»؛ **فقال** الأوروبي: **إنما** نحن أفضل منكم! **قال**: لِمَ؟ وكيف؟ **قال**: لأن عَرَبِيًّا منكم اكتشف هذه الحقيقة منذ بضعة عشر قرنًا، **وأنتم** ما تزالون في مظلمة اجتماعية! **فيما** طَبَّقْنَاهَا نحن قبلكم؛ **فأنتم** متأخرون عَنَّا بضعة عشر قَرْنًا في هذا المعنى!.

**نعود فنقول:** إن هذا التفصيل المتقدم للطبقات، والأصناف **كتمهيد** لقوله:

## [المؤسسة العسكرية وصفة رجالها]

فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِإِمَامِكَ، وَأَنْقَاهُمْ جَيْبًا، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْمًا: مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ، وَيَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ، وَمِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ، وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ، ثُمَّ الْصَقْ بِذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالْأَحْسَابِ، وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ، ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ، وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ، وَالسَّمَاحَةِ؛ فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ، وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ.

ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا، وَلَا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفًا تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ؛ فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ.

وَلَا تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمُ اتِّكَالًا عَلَى جَسِيمِهَا؛ فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْقِعًا لَا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ.

وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ بِمَا يَسَعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمًّا وَاحِدًا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ؛ فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ، وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ؛ وَإِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ، وَلَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحِيطَتِهِمْ عَلَى وُلَاةِ الْأُمُورِ، وَقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ، فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ، وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو الْبَلَاءِ مِنْهُمْ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى، وَلَا تَضُمَّنَّ بَلَاءَ امْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَائِهِ، وَلَا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعَظِّمَ مِنْ

**بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا، وَلَا ضَعَةُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا.**

**وَارْدُدْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ، وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ؛ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾: فَالرَّدُّ إِلَى اللَّهِ الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفَرِّقَةِ.**

**بعد** إجمال ذكر الطبقات **بدأ** الإمام بذكر الْجُنْدِ؛ **فهم** حَجَرُ الْمَفْجَرِ، وَحَكَمَةُ اللجام[1].

**وَبِنَاءُ** المؤسسات العسكرية والأمنية **ضَرُورَةٌ** حتمية وجودية لا تقوم المجتمعات إلا بها، **إِلَّا** أنها في نفس الوقت **قد** تستخدم **لِقَمْعِ** الشُّعُوبِ، **وحماية** الحاكم، **وترسيخ** عروش الطغاة، **فَتَجْمَعُ** الْمُؤَسَّسَةُ العسكرية بين الضرورة والخطورة في آنٍ وَاحِدٍ؛ **ولذلك** وجب وجودهم، **ووجب** تفادي خطرهم أيضًا.

**وقد** بَيَّنَ أمير المؤمنين بطريقة واضحة كيفية تكوين مؤسسة الجيش، **وَذَكَرَ** الصفات الأساسية التي يجب أن يكون عليها قادة الجند:

1- **أَكْثَرُهُمْ** نَصِيحَةً وَوَلَاءً لله، ولرسوله، ولولي الأمر العادل المتفاني في خدمة الشعب وفق تعليمات الله تعالى.

2- **أَنْقَاهُمْ جَيْبًا:** يعني عَفِيفًا أَمِينًا، **وَيُعَبَّرُ** بطهارة الجيب عن العفة وَالنَّزَاهَةِ؛ **لأن** السارق يضع المسروق في جيبه.

3- **يَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ:** أي غير لئيم **بَلْ** يَقْبَلُ أَدْنَى عُذْرٍ، وَيَسْتَرِيحُ إليه، وَيَسْكُنُ عِنْدَهُ.

4- **يَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ:** يَتَرَفَّقُ بِهِمْ، وَيَرْحَمُهُمْ: وَالرَّأْفَةُ هِيَ الرَّحْمَةُ.

5- **يَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ:** يَتَجَافَى عَنْهُمْ وَيَبْعُدُ: **يعني** لا يُمَكِّنُهُمْ مِنَ الظُّلْمِ وَالتَّعَدِّي على الضعفاء؛ **لأن** تَقْرِيبَهُمْ وَمُؤَانَسَتَهُمْ يُجَرِّؤُهُمْ على الْبَطْشِ وَالتَّعَسُّفِ.

---

(1) **مَثَلٌ** يقال في الحجر التي تَسُدُّ فَتْحَةَ الْبِرْكَةِ من تحت؛ لئلا يخرج الماء. **وَالْحَكَمَةُ** حَلَقَةٌ في فم الفرس.

6- **لَا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ:** لا يُهَيِّجُ غَضَبَهُ عُنْفٌ وَقَسْوَةٌ.

7- **لَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ:** لَيْسَ عَاجِزًا؛ **وَحَرِيٌّ** بِالْجُنْدِيِّ أَنْ يَكُونَ كذلك إِذَا كَانَ نَاصِحًا لله تعالى.

**وَكَانَ** الْإِمَامُ عَلِيٌّ عليه السلام حَازِمًا فِي ضَبْطِ الْجَيْشِ، **وهَذَا** كَلَامُهُ يُبَيِّنُ لَنَا ذَلِكَ [النهج:656]: مِنْ عَبْدِاللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤمِنِينَ إِلَى مَنْ مَرَّ بِهِ الْجَيْشُ مِنْ جُبَاةِ الْخَرَاجِ، وَعُمَّالِ الْبِلَادِ: **أَمَّا بَعْدُ** فَإِنِّي قَدْ سَيَّرْتُ جُنُودًا هِيَ مَارَّةٌ بِكُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ، **وَقَدْ** أَوْصَيْتُهُمْ بِمَا يَجِبُ لِلَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِّ الْأَذَى، وَصَرْفِ الشَّذَى [الشَّرِّ]. **وَأَنَا** أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وَإِلَى ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ **إِلَّا** مِنْ جَوْعَةِ الْمُضْطَرِّ **لَا** يَجِدُ عَنْهَا مَذْهَبًا إِلَى شِبَعِهِ.

**فَنَكِّلُوا** مَنْ تَنَاوَلَ مِنْهُمْ ظُلْمًا عَنْ ظُلْمِهِمْ. **وَكُفُّوا** أَيْدِيَ سُفَهَائِكُمْ عَنْ مُضَادَّتِهِمْ، **وَالتَّعَرُّضِ** لَهُمْ فِيمَا اسْتَثْنَيْنَاهُ مِنْهُمْ. **وَأَنَا** بَيْنَ أَظْهُرِ الْجَيْشِ؛ فَادْفَعُوا إِلَيَّ مَظَالِمَكُمْ، **وَمَا** عَرَاكُمْ مِمَّا يَغْلِبُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ، **وَلَا** تُطِيقُونَ دَفْعَهُ **إِلَّا** بِاللهِ وَبِي، أُغَيِّرْهُ بِمَعُونَةِ اللهِ، إِنْ شَاءَ اللهُ.

**كان** معظم الجيش - فيما مضى- **يَسِيرُ** عَلَى الْأَقْدَامِ فِي انْتِقَالِهِ مِنْ مكان لآخر؛ **إذ** لا وسيلة للنقل إلا الدواب، ولعل غالبية الجمال والبغال والحمير تنقل المؤن.

**والذين** يركبون الخيل من المحاربين قليل. **وكان** المحارب يحمل سلاحه، **وما** يَضْطَرُّ إليه على ظهره، **وكان** يَمُرُّ الْجَيْشُ في طريقه بالمواطنين؛ **وَخَشِيَ** الإِمَامُ أَنْ يُفْسِدَ بَعْضُ أَفْرَادِ الجيش الزاحف لحرب أصحاب الجمل أو أهل الشام، ويسيء التصرف مع واحد من الناس -كما هو المعتاد- **فأوصى** جنوده بالعدل وحسن السيرة؛ **لأنهم** القوة الرادعة للمعتدين؛ **فكيف** يَبْغُونَ وَيَعْتَدُونَ؟!

**ومن** البداهة **أن** الاعتداء **أو** التقصير من أي موظف **أو** جندي **تقع** مسؤوليته على الحاكم أمام الله والناس **إلا** إذا أُخِذَ المعتدي بجريرته، وَضُرِبَتْ يَدُهُ بقوة الحق والعدل.

**وقد** أمر الإمام عليه السلام عماله **أن** يراقبوا أفراد الجند **ويردعوا** ويؤدبوا كل سفيه يحاول

**أَنْ** يخيف الناس **أَوْ** يسيء إلى أحد منهم **حتى** ولو كان يَهُودِيًّا أو نصرانيًّا، **وإن** عجزوا عن كبح الجاني وتأديبه أعلموه بأمره؛ **ليأخذه** بما يستحق.

**وبهذا** الحزم والعدل **ساغ** للإمام أن يتبرأ من كل ظلامة تحدث من أحد جنوده **إلا** المضطر للقمة عيش، أو جرعة ماء﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[البقرة:173][1].

**وقد كان** الإمام الهادي يحيى بن الحسين عليه السلام **مُتَأَسِّيًا** بجده الوصي كرم الله وجهه في قيادته العسكرية؛ **فقد** امتازت إدارته لشؤون الجيش في دولته بما يلي:

1- **الْحَزْمُ وَالِانْضِبَاطُ:** كان الهادي عليه السلام حَرِيصًا على أن يكون الجندي مُطِيعًا مُنْضَبِطًا؛ **ولهذا** لم يتهاون في شأن المخالفين؛ **لاسيما** الذين تَمَسُّ مُخَالَفَاتُهُمْ حُقُوقَ المواطنين، **كما** حصل ذات مرة مع بعض الجنود الذين انضووا إلى جيشه، **فأخذوا** بعض العلف لدوابهم؛ **فقال** لهم: «رُدُّوا مَا أَخَذْتُمْ، وَاللهِ لَئِنْ عَادَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَأْخُذُ شَيْئًا بِغَيْرِ إِذْنٍ مِنِّي لَأَقْطَعَنَّ يَدَهُ»! **وبهذا** الحزم **حَفِظَ** للمواطنين أَمْوَالَهُمْ وَأَعْرَاضَهُمْ وَأَمْنَهُمْ، **واستوعب** الجند أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُمْ حِمَايَةُ النَّاسِ لا نَهْبُهُمْ وَإِيذَاؤُهُمْ.

**وهذه** هي القضية المقدسة التي جاء من المدينة المنورة لأجلها، **وعاهد** جده المصطفى ﷺ على الْمُضِيِّ على هديه؛ **فصارت** هذه الثقافة سِمَةَ الدولة العادلة، **عُنْوَانُهَا**: سِيرَةُ عَلِيٍّ وَإِلَّا فَالنَّارُ.

2-**النَّوْعِيَّةُ الْعَسْكَرِيَّةُ:** لم يكن يراعي الكمية العددية للجيش، **بل** كان يهتم بالنوعية التي يكون عليها الجنود: **من** إعداد وتدريب، **وكان** يضع ثقته في القوة العسكرية البسيطة التي تمتاز بالإعداد الجيد، **وكان** أهل صنعاء قد استغربوا من انتصاره على خصومه وهم حشود كثيرة! **وأجاب** على المتعجبين من إحرازه النصر مع قلة جنده **بأنه** قادر على تدويخ الأرض **لو** كان معه ألفا جندي وبضع

(1) في ظلال نهج البلاغة 4/ 143-144.

مئات من الفرسان الذين يثق في تأهيلهم؛ **وتلا** قوله تعالى: ﴿**كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ**﴾[البقرة:249].

3-**الْعَقِيدَةُ الْقِتَالِيَّةُ لِلْجَيْشِ**: لم يكن الهادي ﷺ مُحَارِبًا بَلْ دَاعِيًا؛ **وكان** الجيش في دولته للدفاع عن مبادئ الدولة التي **تُسَاوِي** بين الناس، **وتُرْسِي** مبادئ العدالة الاجتماعية، **وتُعْطِي** لكل ذي حق حقه؛ **وكان** الحل العسكري للضرورة؛ **فما** كان يبدأ معركة إلا بعد الإنذار، والدعوة إلى الحق، وتبيين الحجج.

**ولم** يكن في قاموسه الِانْتِقَامُ مِنَ الْخُصُومِ، والثَّأْرُ الشَّخْصِيُّ؛ **فَمِنْ** أخلاق الإسلام التي مَثَّلَهَا **أَلَّا** يُمَثَّلَ بِجُثَّةٍ، **وَلَا** يُقْتَلَ مُدْبِرٌ، **وَلَا** يُجْهَزَ عَلَى جَرِيحٍ، **وَلَا** يُعْتَدَى على طفل **ولا** امرأة **ولا** شيخ؛ **وكان** يقول لجنوده مُعَرِّفًا لهم تحت أي راية يقاتلون: «وَاللهِ مَا أَعْلَمُ الْيَوْمَ رَايَةً مِثْلَ رَايَةِ بَدْرٍ إِلَّا رَايَتَنَا هَذِهِ، وَلَا عِصَابَةً اجْتَمَعَتْ أَفْضَلَ مِنْ هَذِهِ الْعِصَابَةِ بَعْدَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا.

**فَإِنَّمَا** هَمُّكُمْ **إِظْهَارُ** دِينِ اللهِ، **وَإِحْيَاءُ** كِتَابِهِ، **وَالْأَمْرُ** بِالْمَعْرُوفِ **وَالنَّهْيُ** عَنِ الْمُنْكَرِ، **وَاللهِ** لَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ عِزِّ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِخَافَةِ الظَّالِمِينَ - **لَكَانَ** فِي ذَلِكَ الْفَضْلُ الْعَظِيمُ».

**وكان** شديد التواضع رغم قوته البدنية، وعلمه الغزير، **وكان** يعتبر نفسه مثل واحد من جنوده. **وكان** يقول: يا أهل اليمن، **لَكُمْ عَلَيَّ** ثَلَاثٌ: **أَنْ** أَحْكُمَ فِيكُمْ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، **وَأَنْ** أُقَدِّمَكُمْ عِنْدَ الْعَطَاءِ، وَأَتَقَدَّمَكُمْ عِنْدَ اللِّقَاءِ. **وَلِي عَلَيْكُمْ:** النُّصْحُ، وَالطَّاعَةُ مَا أَطَعْتُ اللهَ.

**ومما قال** الباحث المنصف الطبيب العالم د. عبدالفتاح شائف نعمان في كتابه «الْإِمَامُ الْهَادِي وَالِيًا وَفَقِيهًا»: **وتبقى** مع ذلك معاملته لأهل صنعاء، وإحسانه إليهم **مع** إساءتهم إليه صورة ناصعة، **تُوَضِّحُ** خُلُقَهُ الرَّفِيعَ الذي لا يصدر إلا عن أمثاله من العلماء المجاهدين، **حيث** قَلَّتْ نفقته هو وأصحابه، **ورفض** أهل

صنعاء إعانته ولو على سبيل القرض؛ **فلم** يستخدم سلطانه لإجبارهم على إخراج جزء من أموالهم؛ لضرورة إطعام الجيوش التي تدافع عنهم وعن مدينتهم.

**ثم** تدور الأيام، وتأتي جيوش القرامطة؛ لتقتل رجالهم، وتستبيح نساءهم، **ولا** يجدون من يستنجدون به سوى الإمام الهادي، **بل** ولا يخجلون من الاستنجاد به؛ **لِمَا** يعرفونه من فضله وحلمه، **ولا** يُخيِّبُ هو رجاءهم فيه؛ **فَيَهُبَّ** لنجدتهم، وحماية أموالهم وأعراضهم، **وَيُقَدِّمَ** في سبيل نجدتهم شهداء من خيرة رجاله الذين أبى أهل صنعاء قبل ذلك مجرد إقراضه لإطعامهم! **إِلَّا** أنها أخلاق العلماء عندما يجاهدون، وروح الإسلام، وأدب القرآن: ﴿**وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾[فصلت:34، 35]. انتهى.

**نعود** إلى خطاب الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر:

8- **ثُمَّ الْصَقْ بِذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالْأَحْسَابِ وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ:** أَمَرَهُ **أن** يُكْرِمَهُمْ، **وأن** يجعل تعويله عليهم، **ولا** يتعداهم إلى غيرهم؛ **لأنهم** أهل مروءات؛ **وَالْمُرُوءَةُ** كَنْزٌ مِنَ النُّبْلِ، والرحمة، والوفاء، والصبر، والثبات عند الشدائد؛ **وَصَاحِبُ** المروءة **لا** يَغْدِرُ، **ولا** يَطْعُنُكَ من الخلف، **ولا** يَخْذُلُكَ، **بل** يقف معك: **إِمَّا** مُعِينًا، **وَإِمَّا** نَاصِحًا مُبَيِّنًا لك خَطَأَكَ، مُتَرَفِّقًا بك؛ لتعود إلى الصواب؛ **ولأنهم** أهل أَحْسَابٍ: **والْحَسَبُ** مَا يَعُدُّهُ الإنسانُ من مفاخر آبائه، **وقيل**: حَسَبُ الْإِنْسَانِ دِينُهُ، **وقيل**: مَالُهُ؛ **ولا مانع** أن يكون الْحَسَبُ **جِمَاعَ** ذلك كُلِّهِ؛ **فَأَهْلُ** الْحَسَبِ يَنْحَدِرُونَ مِنْ بِيئَةٍ طَاهِرَةٍ، وبُيُوتَاتٍ صَالِحَةٍ: تَرَعْرَعُوا فيها على التقوى، والطهر، والأدب، والتواضع، واحترام الحقوق؛ **فَهُمْ** أهل السوابق الحسنة؛ **فهذا** الصنف من الناس أَقَلُّ أحوالهم: إِنْ لَمْ يَتَكَرَّمُوا ٱسْتَحْيَوْا.

9- **ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ:** وهم أهل القتال، والبطولة، والشدة .

10- **وَالسَّخَاءِ، وَالسَّمَاحَةِ:** فأهل هذه الصفات **جِمَاعُ** الكرم، والكنوز النفيسة لِجَمَالِ الطِّبَاعِ، **وهم** الأصل الذي يتشعب ويتفرع عنه المعروف: **من** عدل، وعفة، وحب للغير. **إن أهل** هذه الصفات الرائعة **هم** حماة الدين والوطن، **وما** داموا بهذه الأخلاق الرفيعة؛ **فيجب** رعايتهم، وتفقد شؤونهم **كما** يتفقد الأب والأم طفلهما! **ومَنْ** أولى بالرعاية من الجندي المجاهد المستعد على الدوام لبذل مهجته في الذب عن حياض دينه ووطنه.

**وَالْجُنْدِيُّ** الذي يتحدث عنه الإمام عليه السلام **هُوَ** مِنْ طِرَازِ عَلِيٍّ نَفْسِهِ؛ **فقد** كان رَأْسَ الْحَرْبَةِ في جيش النبي ﷺ؛ **وَيُرِيدُ** الإمام عليه السلام أَنْ يَظْفَرَ جنود الإسلام بعد النبي ﷺ **بمثل** رعاية النبي ﷺ لجنوده الذين **كَسَرَ** بِهِمْ شَوْكَةَ الْمُشْرِكِينَ، **وَأَقَامَ** بِبَسَالَتِهِمْ صَعَرَ المعاندين، **وأرسى** بِجِهَادِهِمْ قَوَاعِدَ الدِّينِ؛ **وقد** بَلَغَ بِهِمْ نَبِيُّهُمُ الْغَايَةَ الْقُصْوَى **في** الرِّعَايَةِ وَالتَّأْدِيبِ والتهذيب؛ **فهذا** عَلِيٌّ أَدْهَشَ الدُّنْيَا بشجاعته الخارقة، وبسالته الفائقة، **وَقَعَدَ** بعلمه فَوْقَ هَامَةِ الْمَجْدِ، **وَسَحَبَ** الْفَضَائِلَ وَرَاءَهُ بِأَزِمَّتِهَا، **وَحَوَاهَا** بِهِمَّتِهِ وَبِعِنَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ به بِرُمَّتِهَا.

**وها هو** سلام الله عليه في عهده هذا **يُرَبِّي** الرجال **كما** رَبَّاهُ النبي ﷺ، **وَيُكْمِلُ** مسيرته وسيرته، **ويشمل** بالتعهد والرعاية: الْحَسَنَ، وَالْحُسَيْنَ، وَعَمَّارًا، وَأَبَا ذَرٍّ، وَسَلْمَانَ، وَابْنَ عَبَّاسٍ، وَمُحَمَّدَ بْنَ الْحَنَفِيَّةِ، وَقَيْسَ بْنَ سَعْدٍ، وَذَا الشَّهَادَتَيْنِ خُزَيْمَةَ بْنَ ثَابِتٍ، وَأَبَا الْهَيْثَمِ مَالِكَ بْنَ التَّيِّهَانِ، وَهَاشِمَ الْمِرْقَالَ، وَسَهْلَ وَعُثْمَانَ ابْنَيْ حُنَيْفٍ، وَمَالِكَ الْأَشْتَرَ، وَسَعِيدَ بْنَ قَيْسٍ، وَحُجْرَ بْنَ عدي، وَعَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ، وَمَيْتَمَ التَّمَّارَ، وَكُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ، وَصَعْصَعَةَ بْنَ صُوحَانَ وَنَحْوَهُمْ من ألوف الأرواح الطاهرة من المهاجرين والأنصار **وتابعيهم** ممن فاضت أرواحهم في ساحة الشهادة **وهم** ينازلون الناكثين، والقاسطين، والمارقين. **وستظل** التربية المحمدية العلوية مستمرة في الأجيال المتعاقبة من الْغُرِّ الْمَيَامِينَ،

وَالْفُرْسَانِ الْمُتَشَيِّعِينَ، الْمُنْتَهِجِينَ نَهْجَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، الْخَارِجِينَ عَلَى الظَّالِمِينَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، الْمُنَابِذِينَ لِلِاسْتِبْدَادِ بِاللِّسَانِ وَالسِّنَانِ.

**فما الذي** صَيَّرَ الْجُنُودَ عُنْوَانًا لِلْبَلَادَةِ وَالْجُمُودِ، وَأَعْوَانًا لِلْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ؟!

**حتى** قال الشاعر في ذم العساكر:

**وَالْعَسْكَرِيُّ بَلِيدٌ لِلْأَذَى فَطِنٌ ... كَأَنَّ إِبْلِيسَ لِلطُّغْيَانِ رَبَّاهُ**

**وقال** آخر:

**رُمْتُ الثَّنَاءَ عَلَى الْجُنْدِيِّ مُمْتَدِحًا ... فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ إِلَّا الشَّرَّ أَلْوَانَا**

**قَلَّبْتُ أَخْلَاقَهُ رَأْسًا عَلَى عَقِبٍ ... أَلْفَيْتُهُ فِي دُرُوبِ الْخُبْثِ شَيْطَانَا**

**مَا بَطْشُ فِرْعَوْنَ إِلَّا بَعْضُ دَيْدَنِهِ ... كَأَنَّهُ كَانَ أُسْتَاذًا لِهَامَانَا**

**أَعْمَى الْبَصِيرَةِ لَا دِينٌ وَلَا خُلُقٌ ... كَانَتْ رِضَاعَتُهُ سُحْتًا وَأَضْغَانَا**

**لَوْلَاهُ مَا قَامَ لِلطُّغْيَانِ قَائِمَةٌ ... وَمَا رَأَى الْبَغْيُ أَنْصَارًا وَأَعْوَانَا**

**قَدْ ضَاعَ دِينًا وَدُنْيَا ثُمَّ آخِرَةً ... إِذْ مَاتَ قَلْبًا وَإِحْسَاسًا وَإِيمَانَا**

**إِنْ ثَارَتِ الْحَرْبُ فَالْجُنْدِيُّ لَقْمَتُهَا ... وَإِنْ خَبَتْ صَارَ لِلطُّغْيَانِ سَجَّانَا**

**يَهْوَى الْحَرَامَ وَيَهْوِي فِي حَبَائِلِهِ ... يَقْتَاتُ مِنْ مَالِنَا نَهْبًا وَعُدْوَانَا**

**كَمْ سَانَدَ الظُّلْمَ عَبْدًا صَاغِرًا وَجِلًا ... يَعْنُو لِقُوَّادِهِ ذُلًّا وَإِذْعَانَا**

**قَدْ تَاهَ فِي لُجَّةِ الْأَسْدَافِ مُنْحَدِرًا ... نَحْوَ الْجَحِيمِ الَّتِي تَزْدَادُ نِيرَانَا**

**لَمْ يَعْرِفِ اللهَ حَقًّا فِي جَلَالَتِهِ ... إِذْ جَاهَرَ اللهَ إِجْرَامًا وَعِصْيَانَا**

**لا فرق** في القيمة **بين** جنود الطغاة **وبين** الأنعام! **وهم** في عُرْفِ الآداب **أَضَلُّ** طَبْعًا مِنَ الدَّوَابِّ! **قال** تعالى: ﴿**أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا**﴾[الفرقان:44]، **وكأن** قوله تعالى ﴿**ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ**﴾[التين:5] **نزلت** فيهم خاصة! **فما** أَجْدَرَهُمْ - وَهُمْ بهذا الوضع المأساوي- **مِنْ** أن تُرَاعَى فيهم وَصَيَّةُ الْوَصِيِّ؛ **فَلَا** يَعْظُمُ عندنا ما نُصْلِحُ به شأنهم، **ونرفع** به مستواهم وَإِنْ عَظُمَ، **ولا** نَسْتَحْقِرُ شَيْئًا نَتَعَهَّدُهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ.

**وَيَجِبُ** أَلَّا يَمْنَعَنَا تَفَقُّدُ جَسِيمِ أُمُورِهِمْ **عن** تَفَقُّدِ صَغِيرِهَا؛ **فيتعلمون** مع شؤون الدبابة **قَوَاعِدَ** الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ، **وَبِجِوَارِ** فُنُونِ الطَّيَرَانِ عُلُومَ الْحَدِيثِ والقرآن، **وَنَخْلُطُ** طوابير الميدان بالركوع والسجود للملك الديان.

**فأحرى** أَلَّا يَحْمِلَ الْبَنَادِقَ **إِلَّا** كُلُّ تَقِيٍّ نَقِيٍّ صَادِقٍ، **ثُمَّ** لْتَكُنْ تَرْقِيَاتُهُمْ، وَرَفْعُ دَرَجَاتِهِمْ **لِأَخْلَصِهِمْ** فِي الْعَمَلِ، **وَأَبْعَدِهِمْ** عَنِ الزَّلَلِ، وَأَكْثَرِهِمْ مُوَاسَاةً لِزُمَلَائِهِ، وأسرعهم معونة لإخوانه؛ **لِتَكُونَ** الرُّتْبَةُ شُكْرَ نِعْمَةٍ، **لَا** مَصْدَرَ نِقْمَةٍ.

**وَأَنْ** يَكُونَ الْوَلَاءُ الْمُطْلَقُ للهِ سُبْحَانَهُ، وَلِكِتَابِهِ، وَرَسُولِهِ، **وَأَلَّا** تَكُونَ الْقُوَّاتُ الْمُسَلَّحَةُ وَالْأَمْنُ **تَابِعَةً** لِلْفَرْدِ، **وَلَا** مُسَخَّرَةً لِنَزَوَاتِهِ، **بل** هي دِرْعُ الشعب، **ولا** تكون طَاعَةُ الْجُنُودِ لِلْأَمِيرِ **إِلَّا** لِأَنَّهُ رَمْزٌ للعدل والخير، وَمُنَفِّذٌ بِقُوَّتِهِمْ شَرْعَ اللهِ، ومُقِيمٌ بهم حُدُودَ الله، وَمُنْصِفٌ للمظلوم من الظالم.

**وليست** الْعَسْكَرِيَّةُ طَاعَةً عَمْيَاءَ -كَمَا يُقَالُ- كَلَّا كَلَّا؛ **فَلَا** طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ؛ **وَلَا** يَجُوزُ لِلْجُنْدِيِّ أَوِ الضَّابِطِ **أَنْ** يَمْتَثِلَ لِلْأَمْرِ بِالْبَاطِلِ: **مِنْ** قَتْلٍ بَرِيءٍ، **أَوْ** ضَرْبِهِ **أَوْ** حَبْسِهِ، **أَوْ** قَصْفِ الْمَدَنِيِّينَ، **أَوِ** الدُّخُولِ فِي حُرُوبٍ ظَالِمَةٍ، **أو** لِقَمْعِ الْمُظَاهَرَاتِ السِّلْمِيَّةِ، **أَوْ** قَهْرِ الْمُعَارِضِينَ فِي إِطَارِ الشَّرْعِ وَالدُّسْتُورِ وَالْقَانُونِ.

**ولم يَنْسَ** الإمام ﷺ رِعَايَةَ الجنود في أُسَرِهِمْ **حَالَ** غيابهم، **وَبَعْدَ** موتهم؛ **ليطمئنوا** إلى أن الشعب الذي بذلوا أرواحهم من أجله **جدير** بذلك؛ **فأبناءُ** الشهداء لدى المجتمع الصالح الناضج الواعي **يظفرون** بالتعليم، والرعاية التي تؤهلهم ليكونوا من أفذاذ العلماء، وكبار الأطباء، والمهندسين، وخبراء الحاسوب، ورجال المال والأعمال ونحو ذلك.

**أليس** لنا عُقُولٌ كالأمم الذين وصلوا بعبقريتهم واختراعاتهم المدهشة **إلى** اختراق الفضاء، **والغوص** في أعماق البحار، **واستحوذوا** على ثروات الأرض، **وامتلكوا** ناصية العلم والقوة والهيمنة؟! **ذلك** لأنهم نهجوا نهج ذلك

الفيلسوف الكبير، والحكيم العظيم: **الْإِمَامِ** علي عليه السلام **في** العناية بالإنسان، **وحفظ** حقوقه، **وتوفير** الحياة الكريمة له، **فَيَا** لَرَوْعَةِ قَوْلِهِ:

11- **ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا.**

12- **وَلَا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ:** أي لا يتعاظم **حتى** ترى الْحَبَّةَ قُبَّةً، والذَّرَّةَ فِيْلًا، والنَّمْلَةَ جَمَلًا.

13- **وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفًا تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ:** فَالزِّيَارَةُ لِأُسْرَةِ الْجُنْدِيِّ **وَإِعْطَاؤُهُمْ** شَيْئًا من الحلوى المصنوع في مصانع المعسكرات، **أو** بعض الألبان، **أو** الفواكه، **أو** الخضروات، **أو** القمح المتوفر من إنتاج مزارع الجيش وحظائرها، **أو** بعض الملابس التي تُنْتِجُهَا مصانع الجيش أَيْضًا؛ **فلا** يُسْتَقَلُّ هذا اللطف، **ولا** يُسْتَهَانُ به؛ **فَإِنَّهُ** دَاعِيَةٌ لَهُمْ **إِلَى** بَذْلِ النَّصِيحَةِ، **وَحُسْنِ** الظَّنِّ؛ **لأن** قائدهم قد شاركهم همومهم، وساواهم بنفسه؛ **فأكلوا** مما أكل، **ولبسوا** مما لبس، **ذاك** ما عَبَّرَ عَنْهُ الإمام عليه السلام بِلَطِيفِ عبارته التالية:

14- **وَلَا تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمُ اتِّكَالًا عَلَى جَسِيمِهَا؛ فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْقِعًا لَا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ.**

**ما** تقدم غَيْرُ كَافٍ عند الإمام في تكريم جنوده، **بل** أَلْزَمَ وَالِيَهُ **بِأَنْ** يُقَرِّبَ إليه مِنْ رُؤَسَاءِ الْجُنْدِ **مَنْ** هُوَ قَرِيبٌ مِنْهُمْ:

**وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ بِمَا يَسَعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ؛ حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمًّا وَاحِدًا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ؛ فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ.**

**وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ، وَإِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ، وَلَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحِيطَتِهِمْ عَلَى وُلَاةِ الْأُمُورِ، وَقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِم.!**

**يا ترى** ماذا بقي بعد هذا كله من إحسان يُقَدَّمُ لهم؟!! **لِنَسْتَمِعَ:**

15- **فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ:** أي ٱجْعَلِ الفُرَصَ مُتَاحَةً أمامهم لتحقيق طموحاتهم السامية في كل شؤون الحياة؛ **فَمِنْ** حَقِّ العسكري **أن** يكون طَبِيبًا، **وأن** يكون عَالِمًا، **وما** رغب فيه من التخصصات.

16- **وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ؛** لأن الثناء على المحسن حَافِزٌ على الاستمرار في الأعمال المثمرة.

17- **وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو الْبَلَاءِ مِنْهُمْ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.**

هذا الكلام النفيس لا يحتاج إلى شرح، **وكُلُّ** كَلَامِهِ ﷺ نَفِيسٌ.

18- **ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى:** أي ما أثبت من جدارة، وَجَسَارَةٍ وإقدام، وَنِكَايَةٍ في العدو، وَفَتْحِ ثغرات في صفوفه، وَذَكَاءٍ وَتَخْطِيطٍ، وَمَوْهِبَةٍ في صُنْعِ النَّصْرِ.

19- **وَلَا تَضُمَّنَّ بَلَاءَ امْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَائِهِ؛** لأن إضافة جهد المجتهد لغيره ظلم ما بعده ظلم؛ **والتَّقْصِيرُ** في مكافأته بما يستحقه ظُلْمٌ أَيْضًا، وَسُوءُ إِدَارَةٍ.

20- **وَلَا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعَظِّمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا؛** فَتُوغِرَ بصنيعك هذا قُلُوبَ أصحاب البلاء وأهل الثبات؛ **فالطَّنْطَنَةُ** الْإِعْلَامِيَّةُ لِفُلَانٍ لِمُجَرَّدِ وَجَاهَتِهِ **لَوْنٌ** مِنْ أَلْوَانِ السَّرِقَةِ وَالسَّخَافَةِ وَقِلَّةِ الْحَيَاءِ.

21- **وَلَا ضَعَةُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا؛** فقد نهانا الله أن نَحْتَقِرَ أَحَدًا مَهْمَا صَغُرَ؛ **قال** تعالى: ﴿**وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ**﴾[النور:15]، فَالْعَسَلُ مِنْ ذُبَابَةٍ، وَالْقَزُّ مِنْ دُودَةٍ؛ **فَاذْكُرْ** فِي الْمَجَالِسِ وَالْمَحَافِلِ بَلَاءَ ذَوِي الْبَلَاءِ مِنْهُمْ؛ **فإن** ذلك مِمَّا يُضَاعِفُ عَزْمَ الشُّجَاعِ، وَيُحَرِّكُ هِمَّةَ الْجَبَانِ، **ولكن** لَا يُعَظِّمُ الشَّرِيفُ لِشَرَفِهِ فَقَطْ، وَيُحْتَقَرُ الوضيع لوضاعته، **بل** تُذْكَرُ الْأُمُورُ بِحَقَائِقِهَا.

22- **ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِمَامِهِ مَا يُضْلِعُهُ:** أَيْ يَؤُودُهُ، وَيُمِيلُهُ، وَيُثْقِلُ كَاهِلَهُ، وَيُصْعِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْخُطُوبِ؛ **فَفَوْقَ** كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ.

**وَقَدْ آثَرْتُ** أَنْ أَنْقُلَ رِسَالَةَ الإسكندر إلى الفيلسوف أرسطو وجوابه عليه؛ **لنعرف** ذلك المستوى من العقل **وَبُعْدِ** النظر والكفاية، **وَلِنَرَى** كيف يفكر من يريد تطبيق المنهج الإلهي، **وَمَنْ** هَمُّهُ تَوْطِيدُ ملكه **ولو** على حساب الرعية:

## رسالة الإسكندر إلى أرسطو ، وَرَدُّ أرسطو عليه

**لَمَّا** مَلَكَ الْإِسْكَنْدَرُ إِيرَانَ شَهْرَ: مَمْلَكَةَ الْأَكَاسِرَةِ «وأظنها اليوم: إيران، والعراق، وبعض جنوب الاتحاد السوفيتي، وأجزاء من غرب أفغانستان»، **وَقَتَلَ** دَارَا بْنَ دارا- **كتب** إلى معلمه أرسطو في اليونان: **عليك** أيها الحكيم منا السلام، **أما بعد** فإن الأفلاك الدائرة، والعلل السماوية، **وإن** كانت أسعدتنا بالأمور التي أصبح الناس لنا بها دائبين- **فإنا** جِدُّ واجدين لِمَسِّ الاضطرار إلى حكمتك، **غير** جاحدين لفضلك، والإقرار بمنزلتك، والاستنامة إلى مشورتك، والاقتداء برأيك، والاعتماد لأمرك ونهيك؛ **لِمَا** بلونا من جَدَا ذلك علينا، **وذُقْنَا** من جنى منفعته؛ **حتى** صار ذلك بِنُجُوعِهِ فينا، وَتَرَسُّخِهِ فِي أَذْهَانِنَا وَعُقُولِنَا كالغذاء لنا؛ **فما** نَنْفَكُّ نُعَوِّلُ عليه، ونستمد منه اسْتِمْدَادَ الجداول من البحور، وَتَعْوِيلَ الفروع على الأصول، وَقُوَّةَ الأشكال بالأشكال.

**وقد كان** مما سيق إلينا من النصر وَالفَلْجِ، **وأتيح** لنا من الظفر، **وَبَلَغْنَا** في العدو من النكاية والبطش **مَا** يعجز القول عن وصفه، **ويَقْصُرُ** شُكْرُ المنعم عن موقع الإنعام به، **وكان** من ذلك **أنا** جاوزنا أرض سورية والجزيرة إلى بابل وأرض فارس، **فلما** حللنا بِعَقْوَةِ أهلها وساحة بلادهم - **لم يكن** إِلَّا رَيْثَمَا تَلَقَّانَا نَفَرٌ منهم برأس ملكهم هَدِيَّةً إِلَيْنَا، وَطَلَبًا للحظوة عندنا! **فأمرنا** بِصَلْبِ مَنْ جَاءَ بِهِ وَشَهَّرْنَا بِهِ؛

**لسوء** بلائه، **وقلة** ارعوائه ووفائه، **ثم** أمرنا بجمع من كان هناك من أولاد ملوكهم وأحرارهم وذوي الشرف منهم؛ **فرأينا** رِجَالًا عَظِيمَةً أَجْسَامُهُمْ وَأَحْلَامُهُمْ، حَاضِرَةً أَلْبَابُهُمْ وَأَذْهَانُهُمْ، رَائِعَةً مَنَاظِرُهُمْ وَمَنَاطِقُهُمْ؛ **دَلِيلًا** عَلَى أَنَّ مَا يَظْهَرُ مِنْ رُوَائِهِمْ وَمَنْطِقِهِمْ **أَنَّ** وَرَاءَهُ مِنْ قُوَّةِ أَيْدِيهِمْ وَشِدَّةِ نَجْدَتِهِمْ وَبَأْسِهِمْ **مَا لَمْ** يَكُنْ لِيَكُونَ لَنَا سَبِيلٌ إِلَى غَلَبَتِهِمْ وَإِعْطَائِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ؛ **لَوْلَا** أَنَّ الْقَضَاءَ أَدَالَنَا مِنْهُمْ، وَأَظْفَرَنَا بِهِمْ، وَأَظْهَرَنَا عَلَيْهِمْ، **وَلَمْ** نَرَ بَعِيدًا مِنَ الرَّأْيِ فِي أَمْرِهِمْ **أَنْ** نَسْتَأْصِلَ شَأْفَتَهُمْ، **وَنَجْتَثَّ** أَصْلَهُمْ، وَنُلْحِقَهُمْ بِمَنْ مَضَى مِنْ أَسْلَافِهِمْ؛ **لِتَسْكُنَ** الْقُلُوبُ بِذَلِكَ إِلَى الْأَمْنِ مِنْ جَرَائِرِهِمْ وَبَوَائِقِهِمْ؛ **فَرَأَيْنَا** أَلَّا نَعْجَلَ بِإِسْعَافِ بَادِي الرَّأْيِ فِي قَتْلِهِمْ دُونَ الِاسْتِظْهَارِ عَلَيْهِمْ بِمَشُورَتِكَ فِيهِمْ؛ **فارفع** إلينا رأيك فيما استشرناك فيه بعد صحته عندك، وتقليبك إياه بِجَلِيِّ نَظَرِكَ، وَسَلَامُ أهل السلام فَلْيَكُنْ عَلَيْنَا وَعَلَيْكَ.

**فكتب إليه أرسطو:** لملك الملوك، وعظيم العظماء: الإسكندر المؤيد بالنصر على الأعداء، الْمُهْدَى له الظفر بالملوك، **من** أصغر عبيده، وَأَقَلِّ خَوَلِهِ: أرسطو طاليس الْبَخُوعِ بالسجود والتذلل في السلام، والإذعان في الطاعة:

**أَمَّا** بَعْدُ فَإِنَّهُ لَا قُوَّةَ بِالْمَنْطِقِ **وَإِنِ** احْتَشَدَ النَّاطِقُ فِيهِ، **وَاجْتَهَدَ** فِي تَثْقِيفِ مَعَانِيهِ، **وَتَأْلِيفِ** حُرُوفِهِ وَمَبَانِيهِ- **عَلَى** الْإِحَاطَةِ بِأَقَلِّ مَا تَنَالُهُ الْقُدْرَةُ مِنْ بَسْطَةِ عُلُوِّ الْمَلِكِ، وَسُمُوِّ ارْتِفَاعِهِ عَنْ كُلِّ قَوْلٍ، وَإِبْرَازِهِ عَلَى كُلِّ وَصْفٍ، وَاغْتِرَافِهِ بِكُلِّ إِطْنَابٍ.

**وقد** كان تَقَرَّرَ عندي من مقدمات إِعْلَامِ فضل الملك في صَهْلَةِ سَبْقِهِ، وَبُرُوزِ شَأْوِهِ، وَيُمْنِ نَقِيبَتِهِ **مُذْ** أَدَّتْ إِلَيَّ حَاسَّةُ بَصَرِي صُورَةَ شخصه، وَاضْطَرَبَ في حِسِّ سَمْعِي صَوْتُ لَفْظِهِ، وَوَقَعَ وَهْمِي على تعقيب نجاح رأيه أَيَّامَ كُنْتُ أُؤَدِّي إليه من تكلف تعليمي إياه **ما** أَصْبَحْتُ قَاضِيًا على نفسي بالحاجة إلى تَعَلُّمِهِ منه! **ومهما** يكن مني إليه في ذلك؛ **فإنما** هو عَقْلٌ مَرْدُودٌ إلى عقله، مُسْتَنْبَطَةٌ أَوَالِيهِ

وَتَوَالِيهِ مِنْ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ.

**وقد** جَلَا إِلَيَّ كتاب الملك، ومخاطبته إياي، ومسألته لي عما لا يتخالجني الشك في لقاح ذلك وإنتاجه من عنده؛ **فَعَنْهُ** صَدَرَ، وَعَلَيْهِ وَرَدَ، **وأنا** فيما أشير به على الملك - **وَإِنِ** اجْتَهَدْتُ فيه، وَاحْتَشَدْتُ له، وَتَجَاوَزْتُ حَدَّ الوسع والطاقة مني في استنطاقه واستقصائه - **كَالْعَدَمِ** مَعَ الْوُجُودِ، **بَلْ** كَمَا لا يتجزأ في جنب معظم الأشياء، **ولكني** غَيْرُ مُمْتَنِعٍ مِنْ إِجَابَةِ الْمَلِكِ إِلَى مَا سَأَلَ، **مع** علمي ويقيني بعظيم غِنَاهُ عَنِّي، **وَشِدَّةِ** فَاقَتِي إِلَيْهِ، **وَأَنَا** رَادٌّ إلى الملك ما اكتسبته منه، **ومشير** عليه بما أخذته منه؛ **فقائل** له: إِنَّ لِكُلِّ تُرْبَةٍ لا محالة قِسْمًا من الفضائل، **وإِنَّ** لِفَارِسَ قِسْمَهَا من النجدة والقوة، **وَإِنَّكَ** إِنْ تَقْتُلْ أَشْرَافَهُمْ **تُخَلِّفِ** الْوُضَعَاءَ على أعقابهم، **وَتُورِثْ** سَفَلَتَهُمْ عَلَى منازل عِلْيَتِهِمْ، **وَتُغَلِّبْ** أَدْنِيَاءَهُمْ عَلَى مَرَاتِبِ ذَوِي أَخْطَارِهِمْ؛ **ولم** يُبْتَلَ الملوك قَطُّ ببلاء **هو** أعظم عليهم وأشد تَوْهِينًا لِسُلْطَانِهِمْ مِنْ غَلَبَةِ السَّفِلَةِ، وَذُلِّ الْوُجُوهِ.

**فَاحْذَرِ** الْحَذَرَ كُلَّهُ أَنْ تُمَكِّنَ تِلْكَ الطَّبَقَةَ مِنَ الْغَلَبَةِ وَالْحَرَكَةِ؛ **فإنه** إِنْ نَجَمَ مِنْهُمْ بَعْدَ اليوم على جندك وَأَهْلِ بِلَادِكَ **نَاجِمٌ** دَهَمَهُمْ مِنْهُ **مَا لَا** رَوِيَّةَ فيه، **وَلَا** بَقِيَّةَ معه؛ **فَانْصَرِفْ** عَنْ هذا الرأي إلى غيره، **وَاعْمِدْ** إلى مَنْ قِبَلَكَ مِنْ أَوْلِيَائِكَ الْعُظَمَاءِ وَالْأَحْرَارِ **فَوَزِّعْ** بَيْنَهُمْ مَمْلَكَتَهُمْ، **وَأَلْزِمِ** اسْمَ الْمَلِكِ كُلَّ مَنْ وَلَّيْتَهُ مِنْهُمْ نَاحِيَتَهُ، **وَاعْقِدِ** التَّاجَ عَلَى رَأْسِهِ وَإِنْ صَغُرَ مُلْكُهُ؛ **فَإِنَّ** الْمُتَسَمِّيَ بِالْمَلِكِ لَازِمٌ لِاسْمِهِ، **وَالْمَعْقُودَ** التَّاجِ عَلَى رَأْسِهِ لَا يَخْضَعُ لغيره! **فَلَيْسَ** يَنْشَبُ ذَلِكَ **أَنْ** يُوقِعَ كُلُّ مَلِكٍ منهم بينه وبين صاحبه تَدَابُرًا وَتَقَاطُعًا وَتَغَالُبًا عَلَى الْمُلْكِ، وَتَفَاخُرًا بالمال والجند! **حتى** يَنْسَوْا بذلك أضغانهم عليك، وأوتارهم فيك.

**وَيَعُودَ** حَرْبُهُمْ لك حَرْبًا بَيْنَهُمْ، وَحَنَقُهُمْ عَلَيْكَ حَنَقًا مِنْهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ! **ثم** لا يزدادون في ذلك بصيرة **إِلَّا** أحدثوا لك بها استقامة: **إن** دنوت منهم دانوا لك،

**وإن** نَأَيْتَ عَنْهُمْ تَعَزَّزُوا بِكَ؛ **حتى** يَثِبَ مَنْ مُلِّكَ منهم على جاره باسمك، وَيَسْتَرْهِبُهُ بِجُنْدِكَ؛ **وفي** ذلك شَاغِلٌ لهم عنك، وَأَمَانٌ لإحداثهم بعدك، **وإن** كان **لا** أمان للدهر، **ولا** ثقة بالأيام!

**قد** أَدَّيْتُ إلى الملك ما رأيته لي حَظًّا، **وعلي** حَقًّا من إجابتي إياه **إلى** ما سألني عنه، **وَمَحَضْتُهُ** النَّصِيحَةَ فيه، **وَالْمَلِكُ** أَعْلَى عَيْنًا، **وَأَنْفَذُ** رَوِيَّةً، **وَأَفْضَلُ** رَأْيًا، **وَأَبْعَدُ** هِمَّةً **فيما** استعان بي عليه، وَكَلَّفَنِي بِتَبْيِينِهِ، وَالْمَشُورَةِ عَلَيْهِ فيه.

**لا** زال الملك مُتَعَرِّفًا من عوائد النعم، وعواقب الصُّنْعِ، وتوطيد الْمُلْكِ، وَتَنْفِيسِ الْأَجَلِ، وَدَرْكِ الأمل - **ما تأتي** فيه قدرته **على** غَايَةٍ قُصْوَى **ما** تناله قدرة البشر! **والسلام** الذي لا انقضاء له، **ولا** انتهاء **ولا** غاية **ولا** فناء- **فليكن** على الملك.

**قالوا:** فَعَمِلَ الْمَلِكُ بِرَأْيِهِ، **وَاسْتَخْلَفَ** عَلَى إيران شَهْرَ أَبْنَاءَ الملوك والعظماء من أهل فارس؛ **فهم** ملوك الطوائف الذين بَقُوا بَعْدَهُ، **وَالْمَمْلَكَةُ** مُوَزَّعَةٌ بينهم **إلى** أَنْ جاء أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابِكَ **فانتزع** الْمُلْكَ منهم.

## [ صفات القضاة ]

**ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ: مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ، وَلَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ، وَلَا يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ، وَلَا يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ، وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ.**

**وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ، وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّمًا بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الْأُمُورِ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ: مِمَّنْ لَا يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ، وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ، وَأُولَئِكَ قَلِيلٌ.**

**ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ، وَافْسَحْ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ، وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ، وَأَعْطِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ**

**خَاصَّتِكَ؛ لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ؛ فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظَرًا بَلِيغًا؛ فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ: يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى، وَتُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا.**

**لقد رسم** الإمام عليه السلام من المعايير التي يصلح بها القضاء **ما لا** يزيده الشرح مثقال ذرة؛ **فهو** كلام في غاية الدقة، **ولا** ترقى إليه النُّظُمُ الْمَدَنِيَّةُ الْحَدِيثَةُ؛ **فقد** اشترط الإمام علي عليه السلام شُرُوطًا لا بد أن تتوفر في القاضي:

**أَوَّلُهَا:** الْكَفَاءَةُ الْعِلْمِيَّةُ؛ فبدون هذه الكفاءة يضطر إلى أن يحكم: **إما** بعلم محدود، **وإما** بهواه؛ **فالكفاءة** العلمية **تَعْنِي** الْعِلْمَ الْغَزِيرَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، والتَّبَحُّرَ في الفقه، **وأن** يكون عنده مَخْزُونٌ مِنْ خِبْرَةِ الأجيال التي سَبَقَتْهُ، **وأن** يكون مُلِمًّا بجديد العصر.

**فعندما** يتولى قاضٍ **لا** كفاءة لديه، **ولا** تقوى، **ولا** نزاهة، **ولم** تَمْلَأْ جَوْفَهُ مَخَافَةُ الله -**يُصْبِحُ** آلَةً لِلْفَسَادِ وَالشَّرِّ **مهما** كانت القوانين صالحة وعادلة بِحُكْمِ جَهْلِهِ.

**فالأحرى** لمن يتقلد منصب القضاء **أن** يطلب العلم؛ **فالإمام** عليه السلام يهاجم مَنْ يَتَصَدَّرُ الْأُمُورَ وَهُوَ جَاهِلٌ؛ **فيقول:** «وَآخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ؛ **فَاقْتَبَسَ** جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ، وَأَضَالِيلَ مِنْ ضُلَّالٍ، وَنَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكًا: **مِنْ** حَبَائِلِ غُرُورٍ، **وَقَوْلِ** زُورٍ؛ **قَدْ** حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ، **وَعَطَفَ** الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ: **يُؤَمِّنُ** النَّاسَ مِنَ الْعَظَائِمِ، **وَيُهَوِّنُ** كَبِيرَ الْجَرَائِمِ! **يَقُولُ:** أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ وَفِيهَا وَقَعَ، **وَيَقُولُ:** أَعْتَزِلُ الْبِدَعَ وَبَيْنَهَا اضْطَجَعَ؛ **فَالصُّورَةُ** صُورَةُ إِنْسَانٍ، **وَالْقَلْبُ** قَلْبُ حَيَوَانٍ، **لَا** يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعَهُ، **وَلَا** بَابَ الْعَمَى فَيَصُدَّ عَنْهُ، **وَذَلِكَ** مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ».

**وفيمن** وصل إلى مَنْصِبٍ ما بغير كفاءة - **يقول** عليه السلام: «قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ، **بَكَّرَ** فَاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعٍ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ؛ **حَتَّى** إِذَا ارْتَوَى مِنْ آجِنٍ، وَاكْتَنَزَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ - **جَلَسَ** بَيْنَ النَّاسِ قَاضِيًا ضَامِنًا لِتَخْلِيصِ مَا الْتَبَسَ عَلَى غَيْرِهِ: **فَإِنْ** نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ **هَيَّأَ** لَهَا حَشْوًا رَثًّا مِنْ رَأْيِهِ، **ثُمَّ** قَطَعَ بِهِ! **فَهُوَ** مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ؛ **لَا** يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ:

**فَإِنْ** أَصَابَ **خَافَ** أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ، **وَإِنْ** أَخْطَأَ **رَجَا** أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ: **جَاهِلٌ** خَبَّاطُ جَهَالَاتٍ، **عَاشٍ** رَكَّابُ عَشَوَاتٍ، **لَمْ** يَعَضَّ عَلَى الْعِلْمِ بِضِرْسٍ قَاطِعٍ، **يَذْرُو** الرِّوَايَاتِ ذَرْوَ الرِّيحِ الْهَشِيمَ! **لَا** مَلِيءٌ وَاللَّهِ بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ، **وَلَا** أَهْلٌ لِمَا قُرِّظَ بِهِ! **لَا** يَحْسَبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ، **وَلَا** يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مَذْهَبًا لِغَيْرِهِ، **وَإِنْ** أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرٌ اكْتَتَمَ بِهِ؛ **لِمَا** يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ؛ تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدِّمَاءُ، **وَتَعِجُّ** مِنْهُ الْمَوَارِيثُ!

**إِلَى** اللَّهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالًا، وَيَمُوتُونَ ضُلَّالًا! **لَيْسَ** فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ **إِذَا** تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، **وَلَا** سِلْعَةٌ أَنْفَقُ بَيْعًا، **وَلَا** أَغْلَى ثَمَنًا مِنَ الْكِتَابِ **إِذَا** حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، **وَلَا** عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ، **وَلَا** أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ».

**الشرط الثاني:** المزايا الأخلاقية: من سعة الصدر، وضبط النفس، وبشاشة الوجه، وطيب القلب، والرفق بالمتخاصمين، **حتى** لو أسمعوه كَلَامًا عَنِيفًا يضيق له الصدر؛ **فَالرِّفْقُ** رَأْسُ الْحِكْمَةِ، **وغير** ذلك من المزايا.

**فَلْنَسْتَمِعْ** لإمام الهدى **عيسى الله** أن يُصْلِحَ حالنا؛ **فَنَقْدِرَ** عَلَى إِحْيَاءِ القضاء الميت.

1- **مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ:** يعني ليس فَدْمًا عِيًّا يغرق في شِبْرٍ من ماء، **بل** صاحب كفايةٍ ودرايةٍ، وخبرة واسعة، حُوَّلٌ قُلَّبٌ، يقطع من الْمَفْصِلِ: **إما** بالقضاء، **وإما** بالصلح: **لا** يُحَلِّلُ حَرَامًا، **ولا** يُحَرِّمُ حَلَالًا؛ **فالقاضي** يجب أن يكون على درجة من الذكاء، وصفاء الذهن، ويَقَظَةِ القلب، تُمَكِّنُهُ من تمييز الحق من الباطل، والصدق من الكذب، والدعوى الصحيحة من الفاسدة، **وإلا** فلا يصلح لهذا المنصب.

2- **وَلَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ:** أي لا يحمله لجاج الخصوم على أن يكون مَاحِكًا: أي لَجُوجًا؛ لأن اللجاج شؤم؛ **فالمطلوب** من القاضي سُرْعَةُ الْحَسْمِ من ساعة تَبَيُّنِ الحق.

3- **وَلَا يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ؛** فإن زَلَّ وعرف أَنَّ فِعْلَهُ كان زَلَلًا توقف.

**وقوله**: **وَلَا يُحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ:** هذه هي الدرجة الثانية بعد التوقف عن الزَّلَلِ: **وهي** أن يعود إلى الحق دون خجل؛ **فالرجوع** إلى الحق **خَيْرٌ** من التمادي في الباطل؛ **فالحق** أحق أن يتبع. **ولا يُحْصَرُ:** أي لا يَعْيَى في المنطق؛ **لأن** مِنَ الناس **مَنْ** إذا زَلَّ حُصِرَ من أن يَرْجِعَ، وأصابه كَالْفَهَاهَةِ وَالْعِيِّ خَجَلًا؛ **فَيَبْقَى** مُتَبَلِّدًا جَامِدًا على الزلل.

**كان** والدي رحمه الله حَاكِمًا بالتراضي، وعدلا موهوبًا في حل قضايا الناس صغيرها وكبيرها، **وكان** آية في علم الفرائض، وقسمة التركات، وعلم المساحة، **وقد** لَمَسْتُ ذلك عند دراستي عليه جوهرة الفرائض مِرَارًا **وكنت** أتعجب من شدّة ذكائه، وزهده، وتواضعه! **وكان** إذا تبين له أنه أخطأ نَسَفَ رأيه السَّابِقَ نَسْفًا، ونقده نقدًا يجعله هشيمًا تذروه الرياح، **ويكتب** عباراتٍ يَتَّهِمُ فيها نفسه بالعجز والقصور! **وهذا** هو شأن الصالحين الذين تبكي البلاد والعباد لفقدهم.

4- **وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ:** أي لا تُشْفِقُ نَفْسُهُ، وتخاف من فوت المنافع والمرافق؛ **فالإشراف** هو الاشفاق والخوف؛ قال عروة بن أذينة:

**لَقَدْ عَلِمْتِ وَمَا الْإِشْرَافُ مِنْ خُلُقِي ... بِأَنَّ مَا هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي**

**أَسْعَى إِلَيْهِ فَيُعْيِنِي تَطَلُّبُهُ ... وَإِنْ قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يُعَنِّينِي**

**ويحتمل** معنى: **لا** تَتَطَلَّعُ **وَلَا** تَتُوقُ نفسه إلى طمع. **ويروى**: وما الإسراف.

5- **وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ:** أي لا يكون مُقْتَنِعًا بما يخطر له بَادِيَ الرأي من أمر الخصوم، **بل** يبحث أشد البحث، **ويبذل** كافة المحاولات لاستقصاء الحقائق، **والغوص** وراء الأدلة والبراهين، **ويتحرى** أبلغ التحري، **ويحاول** أن يكتشف الحقيقة بشيء من الذكاء: **وهاك** بعض الأمثلة:

**المثال الأول:** اشتكى غريم بأنه أودع غريمه مالا فجحده، **فالتفت** القاضي إلى المدعى عليه قائلًا: ما قولك؟ **قال:** لم يودعني شيئًا؛ **فقال** للمدعي: ألك بينة؟

**قال**: لا، **فلم** يُبَادِرِ القاضي إلى تحليف الغريم المنكر **كما** هو ظاهر الشرع، **بل** حاول إيجاد طريقة؛ **فقال** لِلْمُدَّعِي: أتذكر أين أَوْدَعْتَهُ الْمَالَ؟ **قال:** نعم في المكان الفلاني، عند الشجرة الفلانية؛ **فقال:** اذهب إلى ذلك المكان فربما تَذَكَّرْتَ شَيْئًا؛ فلا تظلم صاحبك! **فانطلق** وأمر الْمُدَّعَى عليه بالبقاء وتَرَكَهُ بُرْهَةً، **ثم** فاجأه بالسؤال يا ترى **هل** وصل غريمك إلى مكان الشجرة؟! **فقال**: لا! **فاستدل** القاضي بأن المال عنده فِعْلًا، **وإلا** فما أدراه بالشجرة ومكانها! **فزجره** واعترف **وأحضر** المال مختومًا في كيسه! **فلما** رجع المدعي لمح الكيس فصاح: هذا هو كيس مالي أيها القاضي حفظك الله؛ **فقال** باسمًا: وحفظ الله الشجرة، ولا بارك الله في البلهاء! **إن** القانون لا يحمي المغفلين! **ثم** أَدَّبَ الجاحد بما يناسب؛ ليكون عبرة.

**المثال الثاني**: زُوِّرَتْ وَثِيقَةٌ على خط أحد أجدادي، وكتب اسمه: فلان المَحَدْوَرِي بالدال؛ **فاكتشف** القاضي أن أبسط ثقافة الإنسان **أن** يكتب اسمه صحيحا المَحَطْوَرِي بالطاء **وليس** بالدال؛ **فَأَقَرَّ** الْمُزَوِّرُ بِتَزْوِيرِهِ.

**المثال الثالث:** قَدَّمَ مُزَوِّرٌ وثيقة على أنها في تأريخ قديم، **ولكنه** زَوَّرَهَا في بياض أبو شُبَّاكٍ! **فَقَارَنَ** القاضي الفَطِنُ تأريخ الوثيقة بتأريخ ظهور "أبو شباك"، فوجده متأخرًا بعشرات السنين.

**المثال الرابع:** طلب حاكم من شاهد أن يُرِيَهُ كيف يغسل يديه عند الوضوء، **فلم** يستطع رَفْعَ الكُمِّ؛ لضيقه! **فاستدل** به على ركاكة دينه، وأبطل شهادته، **وهي** قرينة، **وقد** يكون هذا صادقًا رغم جهله.

**المثال الخامس:** شَاهَدَ قاضٍ شاهدين يتدافعان بعد أداء الشهادة كالْفَرِحَيْنِ؛ **فَرَدَّهُمَا** وعرف أنهما شاهدا زُورٍ.

**المثال السادس:** شهد شاهد أنه رأى فُلَانًا يقتل فُلَانًا؛ **فقال** القاضي: في أي وقت؟ **قال**: نصف الليل! **قال**: كيف رأيته في الظلام؟ **قال**: كان القمر في ليلة

النصف من الشهر! **قال** القاضي: لكن واقعة القتل حدثت آخر الشهر!

**المثال السابع:** أنكر مُودَعٌ ودِيعَةً **فاستشعر** القاضي بذكائه **أنه** خائن كاذب؛ **فقال** للمدعي: ما هي العلامات؟ **فقال**: كذا وكذا؛ **فقال** القاضي لِلْمُنْكِرِ: ناولني خاتمك، **فأرسله** مع أحد أعوانه، **وقال** لامرأة الْمُنْكِرِ: إن فلانًا يقول لك: أرسلي المال الذي صفته كذا وكذا؛ **فجاء** به كما وَصَفَ! فاسود وجه الخائن وافتضح.

**وهذه** مجرد أمثلة؛ **فهناك** من الوسائل **ما** يتمكن بها القاضي الموفق الفطن من رد الحقوق إلى أهلها؛ ﴿**وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا**﴾[الطلاق:4].

6- **وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ:** فلا يحكم القاضي **وفي** نفسه شبهة، **بل** يتوقف حتى يتبين له الحق، **وَيُمْكِنُ** أن يُفَسَّرَ قول الإمام بالقاعدة الفقهية: «الْحُدُودُ تُدْرَأُ بِالشُّبُهَاتِ» **فيما** يتعلق بقضايا الزنى ونحوها، **ويفسر** بقاعدة: «الْمُتَّهَمُ بَرِيءٌ حَتَّى تَثْبُتَ إِدَانَتُهُ»؛ **ولا** يجوز تأخير القضاء قطعًا؛ **وإنما** يجب التحري **ثم** الحسم.

7- **وَآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ** التي يقدمها الخصوم، **ولا** يبني أحكامه على الظن؛ **ولهذا** فمن الضروري **أَنْ** يكون ضَلِيعًا في الفقه؛ **ليعرف** ما يَحْكُمُ به: من الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، **ويكون** مُلِمًّا بِقَضَايَا العصر في زمننا هذا.

8- **وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّمًا بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ:** والتَّبَرُّمُ **هو** التضجر والضيق من مطالبة الخصم برفع الغبن، والغلط، وإعادة النظر؛ **وهذه** الخصلة من محاسن ما شرطه ﷺ في القاضي، **ومن** أشرف الوصايا؛ **فإن** القلق والضجر والتبرم قبيح! **وَأَقْبَحُ** ما يكون من القاضي **عَدَمُ** السماح للخصم **بأن** يدلي بكل ما لديه.

**والواجب** على القاضي **أن** يسمع الدعوى أَوَّلًا من المدعي، **ثم** يقول للمدعى عليه: ما قولك فيما سمعت؟ **ثم** يسمع الإجابة: **فإن** صَدَّقَ الْمُدَّعَى عليه الدعوى **أمره** بإنصاف الْمُدَّعِي، **وإن** أنكر **قال** لِلْمُدَّعِي: هل معك بينة؟ **فإذا** قال: نعم، **أحضرها** في المجلس، **وإلا** أمره بإحضارها في أقرب وقت يمكنه، **ثم** يقول للمدعى

عليه: ما قولك في هذه البينة؟ **فإن** نَقَضَهَا بأي وجه مقبول **فله** حكمه: **كأن** يبرز المُدَّعِي وثِيقَةَ مِلْكِيَّةٍ، **فيأتي** المدعى عليه بوثيقة شراء صحيح، **أو** بسند ينقض سندًا سابقًا، ونحو ذلك؛ **فما** تبين للحاكم **عمل** به بعد المناقشة المطلوبة؛ **فإن** وجد لدى أحد الخصمين مُجَرَّدَ مغالطة **حَزَمَهُ** ولوى ذراعه للحق بسرعة وصرامة.

9- **وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الْأُمُورِ:** يَتَتَبَّعُ خُيُوطَ القضية، **ويُنَقِّبُ** عن خفاياها، **ولا** يَغْفُلُ عن أي دليل مهما صَغُرَ شَأْنُهُ؛ **فربما** قاده التحري والتفتيش إلى الحقيقة المُغَيَّبَةِ، **وَعَثَرَ** على الأدلة المطموسة، **ولا سيما** في زمننا هذا الذي توفرت فيه وسائل كشف الآثار: **من** خلال بصمة، **أو** شفرة، **أو** نقطة دم، **أو** تشريح جثة، **أو** فحص جِينَاتٍ، ونحو ذلك.

10- **وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ:** أي أقطعهم، وأمضاهم. **إِنَّ** أثقل الحكام والولاة وأسمجهم **مَنْ** يَظْهَرُ الْحَقُّ أمامه كالشمس **ثم** يتراخى ويتباطأ ويُسَوِّفُ ويماطل؛ **فهذا** وأمثاله **لا** يجوز **ولا** يصح **ولا** يليق **أَنْ** يُوَلَّوُا الفصل بين الناس؛ **لأن** الرِّخْوَ الْمَطَّاطِيَّ يتسبب في الفِتَنِ وضياع الحقوق؛ **فعندما** لا يجد الخصم نَصَفًا **يلجأ** للانتصاف بطريقته، **وذلك** ما هو حاصل عندنا في اليمن خاصة؛ **فقد** تأتي القاضي بسارق يرتعش **فيحوله** القاضي ببلادته وجهله ورخاوته إلى خصم عنيد! **وتظل** معه في مخاصمة لشهور، **بل** لسنوات، **ثم** لا يناله أي مكروه. **نعم:** هذا حاصل ملموس مشاهد.

11- **مِمَّنْ لَا يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ:** أي لا يستخفه المدح؛ **لأنه** لا يَطْرَبُ للمدح **إلا** الأحمق السخيف؛ **والأحمق** لا يصلح للقضاء؛ **فقد** يميل مع أحد الخصمين لمجرد كلمة مدح ولو بغير ما فيه؛ **فأكد**ﷺ على وجوب استبعاد العناصر الضعيفة عن منصب القضاء الشريف؛ **فإنهم** لا يُؤْمَنُ عليهم السُّقُوطُ فَرِيسَةً للشبهات؛ **فيميل** لمن يطريه، **ويجنح** لمن يغريه، **ويحكم** لمن يَرْشِيهِ، **أو** يضعف لتهديد **أو** وعيد. **والخلاصة:** فالقاضي **كالجبل** الراسخ **لا** تحركه الريح.

12- **وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ:** الإغراء هو التحريض **فلا** يستمع لتحريض أحد، **ولا** يلتفت لعروض الإغراء بالنقود ونفيس المتاع؛ **وَأُولَئِكَ** قَلِيلٌ: **نعم** إن الذين تكاملت فيهم هذه الصفات **أَعَزُّ** من بَيْضِ الْأَنُوقِ[1]، **وأندر** من الكبريت الأحمر، **وَأَعَزُّ** من أحجار الماس! **ولكن** ليس من المستحيل لُقْيَاهُمْ، **ولا** من المتعذر اسْتِخْرَاجُهُمْ من معادنهم **طالما** وُجِدَتِ الْعَزِيمَةُ الْقَوِيَّةُ، وَالْإِدَارَةُ الفولاذية، والتَّصْمِيمُ على سيادة العدل وَالْحَقِّ، **وَلَا سيما** مع التطبيق التام لإرشاده ﷺ **فيما** يتعلق بتأهيل القضاة، وتأمين وسائل الحياة الكريمة لهم، وتشديد الرقابة عليهم؛ وذلك بتطبيق الآتي:

1- **ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ:** يوصي ﷺ بمراقبة القضاة، ومراجعة ما أصدروه من أحكام، وتتكرر الرقابة بدون كلل ولا ملل ولا انقطاع. **ويشير** الإمام **إلى** أن توفر الشروط السابقة في القاضي **لا** تضمن سلوكه النزيه في المستقبل، **بل** لا بد معها من المراقبة والحذر؛ **خَشْيَةَ** أن يسوء سلوكه، **أو** ينحرف، **وفي** المقابل لا بد من معالجة أمورهم؛ **بأن** يفسح لهم المجال في العطاء؛ ليستغنوا عما في أيدي الناس، **ويوصي** ﷺ بإيجاد الحماية الكافية للقضاة، **وهي** ما يعرف اليوم باستقلالية القضاء، وحماية جهاز القضاء من التأثير الخارجي.

**أخبرني** والدي -سَقَتْ ضريحَهُ غوادي الرحمة- **أَنَّ** الحاكم علي بن محمد الخزان، **وكان** قاضيًا شهيرا في بلادنا قضاء الشرفين -**كانت** تُعْرَضُ أحكامه على شيخ الإسلام ورئيس الاستئناف القاضي محمد يَايِهْ رحمه الله (ت:1369هـ)؛ ليستأنفها، **وكان** مع فقهه العميق زاهدًا، عفيفًا، حازمًا، صارمًا، مَهِيبًا؛ **فإذا** لحظ اعْوِجَاجًا في الحكم استدعى الحاكم، وناقشه فَوْرًا، وَعَرَّفَهُ الطريق الملتوية التي سلكها، وَتَنَكُّبَهُ الصراط المستقيم، **ثم** يضرب بالحكم في صدره، **ويقول** بنبرة صارمة

(1) العُقَابُ، أو طائر أسود، أصلع الرأس، أصفر المنقار. **وضُرِبَ** المثل بِعِزَّةِ ونُدْرَةِ بيض هذه الطيور؛ لأنها تبيض في الأماكن الوعرة في أعالي الجبال، وتخفيه. ثم إن العُقَابَ يبيض بيضة واحدة. القاموس 798، والتاج 13/ 11.

حَادَّةٍ: احكم بشريعة جدك النبيﷺ، **ولا** تسلك طريق البقر! **غَدًا** أستعرض ما حكمت؛ **فلا** تتأخر.

**2- وَافْسَحْ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ، وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ.**

**نعم:** فالسياسة الحكيمة **تُحَتِّمُ** وتوجب **أَنْ** يُفْرَضَ للقضاة عَطَاءٌ وَاسِعٌ، ومعاشات **تملأ** عيونهم، **ويتعففون** بها عن الرشوة، **وتُزِيحُ** عللهم، **وتقطع** أعذارهم.

**والمناسب** بعد ذلك **أَنْ** يُعَاقَبَ إن انحرف **بعقوبة** يكون بها عبرة للمعتبرين، وآية للناظرين، **وأقترح** أن يُطْلَى وجهه بالقَطِرَانِ، **ويقام** في حر الشمس، **ويوقف** في شارع عام؛ **ليبصق** الناس في وجهه، **ويُكْتَبُ** بجواره: هذا هو القاضي فلان، **تقرر** له من المرتب كذا، **ومُنِح** سيارة، **وعنده** منزل، **وحَظِيَ** بالرعاية التامة، والْكِفَايَةِ التي لم تَتْرُكْ له حاجة يتعلل بها، **ومع** هذا كله مَدَّ يَدَهُ وارتشى، **وخان** الأمانة، **ودَنَّسَ** القضاء، **وأهان** منصبه الشريف: **إما** مباشرة، **أو** بواسطة كُتَّابِهِ، **أو** عبر سماسرته، **أو** فُتِحَ له رصيدٌ، **مما** تكتشفه الرقابة **التي** تعرف الْحِيَلَ، **وتلمح** الألاعيب، **وتسمع** دبيب النمل.

**وأقترح أيضا:** أن يرسل بعد ذلك إلى تهامة للعمل في الزراعة؛ **وهذا** أسلم وأرفق **من** قطع يده، **أو** جدع أذنيه! **وهو** جدير بذلك، **ولكن** من باب الرفق بـ«الحيوان» كما يقال!.

**لعل** القراء الكرام يشمون رائحة التهكم الشديد! **ولكِنَّ** وَاقِعَ الْقَضَاءِ قَاسٍ، وَمَرِيرٌ، ومُؤْلِمٌ، وَمُخْجِلٌ! **مع** احترامي للفضلاء الأكفاء الأتقياء.

**3- وَأَعْطِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ؛ لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ.**

**أقول:** ماذا يطلب القاضي من التكريم فوق هذه المنزلة؟ **وماذا** يريد وراء تلك المرتبة؟! إنه آمن عزيز، قوي في الحكم بما أنزل الله تعالى.

4- **فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظَرًا بَلِيغًا؛ فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى، وَتُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا.**

**يشير** بذلك إلى قضاة عثمان وحكامه، **وأنهم** لم يكونوا يقضون بالحق، **بل** بالهوى لطلب الدنيا، **ولو** في بعض أحوالهم.

**وقد ذكر الفقهاء في آداب القاضي أمورا:**

1- **لا** يجوز أن يقبل هدية في أيام القضاء **إلا** ممن كانت له عادة أن يُهْدِيَ إليه قبل أيام القضاء، **ولا** يجوز قبولها في أيام القضاء **ممن** له حكومة وخصومة- **حتى** وإن كان ممن له عادة قديمة في الإهداء - **وكذلك** إن كانت الهديةُ أَنْفَسَ وأرفع مما كانت قبل أيام القضاء؛ **فلا** يجوز قبولها؛ **وَالْأَحْوَطُ** عدم القبول مطلقًا ما دام قاضيًا.

2- **يجوز** أن يَحْضُرَ القاضي الولائم، **ولا** يحضر عند قوم دون قوم؛ **لأن** التخصيص يُشْعِرُ بالميل، **ويجوز** أن يعود المرضى، **ويشهد** الجنائز، **ويأتي** مَقْدَمَ الغائب، **وله** أن يحضر أي مناسبة اجتماعية **لا** تَمَسُّ هَيْبَةَ الْقَضَاءِ وَنَزَاهَتَهُ.

3- **يُكْرَهُ** له مباشرة البيع والشراء؛ **صِيَانَةً** لمنصب القضاء ووقاره.

4- **لا** يجوز أن يقضي **وهو** غضبان، **ولا** جائع، **ولا** عطشان، **ولا** في حال الحزن الشديد، **ولا** الفرح الشديد. **ولا** يقضي والنُّعَاسُ يَغْلِبُهُ، والمرض يُؤْلِمُهُ. **ولا** وهو يدافع الأخبثين: البول، والغائط. **ولا** في حَرٍّ أو برد يزعجه، **ونحو** ذلك من المشاغل. **وينبغي** أن يجلس للحكم في موضع بارز **يصل** إليه كل أحد. **ولا** يحتجب إلا لعذر.

**ومما** ورد في هذا الشأن **قوله**ﷺ: «لَا يَقْضِي الْقَاضِي وَهْوَ غَضْبَانُ»[1].

5- **يستحب** أن يكون مجلسه فَسِيحًا؛ **لئلا** يتأذى الخصوم من الزحام، **ولا** يتأذى بذلك هو أَيْضًا.

---

(1) أصول الأحكام 2/ 341، وشرح التجريد 6/ 72، والبخاري6/ 2616 رقم 6739، ومسلم 3/ 1342 رقم 1717، وأبو داود 4/ 16 رقم 3589، والترمذي 3/ 620 رقم 1334، والنسائي 8/ 237 رقم 5406، وابن ماجة 2/ 776 رقم 2316، ومسند أحمد 7/ 305 رقم 20401، والدارقطني 4/ 206 .

6- **يكره** الجلوس في المساجد للقضاء؛ **لقول** النبي ﷺ: «جَنِّبُوا مَسَاجِدَكُمْ صِبْيَانَكُمْ، وَمَجَانِينَكُمْ، وَخُصُومَاتِكُمْ، وَرَفْعَ أَصْوَاتِكُمْ، وَسَلَّ سُيُوفِكُمْ، وَإِقَامَةَ حُدُودِكُمْ، وَشِرَاءَكُمْ وَبَيْعَكُمْ. وَجَمِّرُوهَا فِي الْجُمَعِ، وَاجْعَلُوا عَلَى أَبْوَابِهَا الْمَطَاهِرَ»[1]. وتزول الكراهة للضرورة.

7- **يستحب** أن يكون له حبس، **وأن** يتخذ كَاتِبًا إن احتاج إليه. **ومِنْ** شَرْطِ كاتبه **أن** يكون عارفًا بما يكتب؛ **فقد** كان كُتَّابُ القضاة فطناء، وأصحاب خطوط تبهر.

8- **أن** يساوي بين الخصمين: **في** الإقبال بوجهه، والاستماع، والدخول عليه، **وفي** مكان الجلوس: **لا** فرق بين رفيع ووضيع، ومؤمن وفاسق، **وألَّا** ينحاز الحاكم أو المُحَكَّمُ لأحد؛ **وهذا** معنى أن يكون عدلًا، أَمِينًا، وَرِعًا؛ **قال** تعالى: ﴿**يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ**﴾[ص:26]، **وقال** ﷺ: «مَنِ ابْتُلِيَ بِالْقَضَاءِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَلْيَعْدِلْ بَيْنَهُمْ: فِي لَحْظِهِ، وَإِشَارَتِهِ، وَمَجْلِسِهِ، وَمَقْعَدِهِ»[2].

9- **أن** يكون حَازِمًا، حَاسِمًا، قَوِيًّا، **عند ما** يَتَبَيَّنُ له وَجْهُ الحق: **شَدِيدًا** في أمر الله من غير عنف، **وَلَيِّنًا** من غير ضعف: **يستوي** عنده الغني، والفقير، والكبير، والصغير، والقوي، الضعيف؛ **فلا** يُحَابِي أَحَدًا أَبَدًا.

10- **أن** يلتزم بالاختصاص الذي كُلِّفَ بالحكم فيه: **من** زمان، ومكان، وموضوع؛ **فإن** أُعْطِيَ الصَّلَاحِيَّةَ للحكم **أين** شاء، **ومتى** شاء، **وفيما** شاء- **فهي** ولاية عامة، **وإلا** لم يصح إلا في نطاق البلدة المحدودة، والقضايا المحدودة: **من** قضايا المال، **أو** المتعلقة بالأسرة، **أو** الجنايات، ونحو ذلك. **فإن** لم يكن إمام، ولا

(1) الطبراني في الكبير 8/ 132 رقم 7601، و سنن ابن ماجة 1/ 247 رقم 750.

(2) أصول الأحكام2/ 341 رقم 2319، وشرح التجريد 6/ 72، والبيهقي 10/ 135، والطبراني في الكبير 23/ 284 .

محتسب **فيكفي** أن ينصبه خمسة من أهل الفضل؛ **ويسمى** منصوب الخمسة.

11- **اتخاذ** أعوان لتوفير الهدوء في مجلس القضاء، ولإحضار الخصوم، وتنفيذ الأحكام؛ **وهذا** مندوب لغير الْمُحَكَّمِ، وحسب الحاجة. **وإن** احتاج إلى وكلاء **جاز** أن يتخذهم **ويوصيهم** بالرفق بالخصوم **مع** مراقبتهم.

12- **يندب** الاستعانة بأهل التقوى والعدالة **من** الذين يعرفون الله ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله؛ **ليسألهم** عن حال **مَنْ** يجهل مِنَ الخصوم **أو** الشهود **بصورة** مكتومة، وَبِسِرِّيَّةٍ تَامَّةٍ، **ولا يُقَلِّدُ** ويستريح **لِمَا** قيل له؛ **فالذي** يُنْقَلُ له **إنما** هو مجرد قرائن تدله على طريق الحق؛ **فقد** يُكْشَفُ له شاهد زور، **أو** أَنَّ خَصْمًا معروفا بقلة الدين، وبأذية الناس، **وقد** يعرف أن بعض الناس صاحب صدق، وديانة، وورع، وحرص على نفسه؛ **فيكاد** يحكم له ثقة بقوله **لولا** ما أُمِرْنَا به من التحري التام، والتجرد الخالص، **وأن** نحكم بما يظهر لنا، **لَكِنِ** الْحَرَكَاتُ، وَالْمَلَامِحُ، وَالْقَرَائِنُ، والْخِبْرَةُ **لها** دَوْرٌ كبيرٌ في اكتشاف الحق.

**ومن الطرائف** في التعامل مع أهل الصدق والدين: **أَنَّ** أحد الفضلاء من العلماء كان وَسِيمًا، فتسللت إليه امرأة وراودته عن نفسه، فامتنع عليها، وأَلَحَّتْ عليه، وهددته بأن تفضحه عند الإمام باغتصابها! **لكنه** لم يرضخ لها؛ **فجاءت** في اليوم الثاني باكية عند الإمام زاعمة أنه اغتصبها! وربما ظهر الحمل، وطلبت أن يجبره على الزواج بها؛ **فاستدعاه** مُسْتَغْرِبًا **وقال**: ما هذا يا فلان؟! **فقال**: إنها كسفينة نوح! وقص عليه قصتها فَانْفَجَرَ ضَاحِكًا وتبين صدقه! **ثم** اعترفت المرأة بأنه شَغَفَهَا حُبًّا.

**أما** الآن ومع الاعتذار لمن فيهم أهلية للقضاء، أو شيء منها فقد هبط مستوى القضاة والنيابة، والشرطة إلى الحد الذي لا يمكن وصفه **إلا** بذكر بعض أمثلة جرت معي تبين مدى الجهل والبلادة، ناهيك عن خراب الذمم؛ **فهذا** شأن آخر.

**المثال الأول:** غفلت عن أرض صغيرة لي؛ **فوجدت** اثنين قد سكناها، **وأبرزا**

ورقتين تشبهان وَرَقَ تُجَّارِ الحِلْبَةِ والبسباس في سوق الملح، **فيها** مبايعة من أحد النصابين **على** أنه باع اليد: وهو مصطلح لا يعني بيع الأرض؛ لأنها وقف؛ فأعطى لبنة لهذا، ولبنتين لذاك بثمن بخس وأوصاهما بالدعاء له ولوالده! **فنصحتهما** بملاحقة النَّصَّابِ **فلم** يسمعا، **فآل** الأمر إلى القاضي، وعُرِضَتْ عليه الورقتان، وعَرَضْتُ بصيرتي في ورقة رسمية، بخط أمين عدل معروف، من بائع من أهل الأرض، جاءت عن طريق الميراث، وليست وقفا، والبصيرة معمدة من المحكمة، والسجل العقاري، **وكان** المفترض من القاضي أن يحسم الأمر في دقيقتين، **لكن** مرت أربع سنوات **وهو** لا يزيد عن: اسْتَمَعْتَ الدعوى؟ صَوِّرِ الملف، وَرُدَّ عليه، والموعد بعد شهر! **وقد** لا يحضر القاضي في الموعد، وننتظر شهرًا آخر، **ولا** يزيد في الموعد الثاني **على** أن يقول للغريمين ما قال لي، **وهكذا** ببرود مشاعر، وجهل، وثقالة دم، وعدم إحساس بحاجات الناس وحقوقهم! **فالقاضي** لا يدري لماذا أُتِيَ به! وما هو واجبه؟!

**وجاء** قاض آخر، وقد مرت سنتان على نفس القضية، وهي قضيةٌ الحُكْمُ فيها أسهل من حَكِّ المرءِ أَنْفَهُ! **وربما** تمر سنوات؛ **فكيف** بالقضايا الصعبة؟! **وكان** بإمكان القاضي أن يقول للغريمين ولو منفردين: ليس بأيديكما شيء، ولكن في حال إصراركما على الدخول في شريعة، **فأحضرا** ضمينًا تجاريًّا يضمن قيمة الأرض بسعر الزمان والمكان، وإيجار بقائكما، وغرامة الشريعة، ويسمح بعد ذلك بفتح باب الخصام؛ **فإن** تَلَكَّئَا **فيمكن** أن يقول لهما: سأسعى في الصلح لصالحكما، وأطلب من صاحب الأرض من باب المروءة أن يعاونكما بقيمة السُّورِ أو نحوه، وارجعا على من باع ما لا يملك.

**المثال الثاني:** حضرت مع غريم إلى وكيل نيابة الأوقاف، **فأجبت** على دعواه، **فقال** الوكيل: أحضر شهودًا على صدق إجابتك! **هكذا** بدون أن يعرف مَنِ

المدعي، وَمَنِ المدعى عليه، وعلى من تلزم الشهادة، وعلى من تجب اليمين! **فقلت**: اسْأَلْهُ عن صدق كلامي! **فأجاب** الخصم قبل أن يسأله: كلام الأستاذ صحيح؛ **وإنما** قد غَيَّرْتُ رَأْيِيْ حول ما اتفقت معه سابقًا؛ **فقال** لي الوكيل مرة ثانية: أحضر الشهود على صدق كلامك!! **فقلت**: الخصم معترف؛ والِاعْتِرَافُ سَيِّدُ الأَدِلَّةِ! **فأصرَّ** على إحضار شاهدين، **فقلت** بخشونة وضجر: من أين أجد من يشهد بأنك حمار!! **فعقل** بعد ذلك.

**المثال الثالث:** وكيل نيابة آخر: قدم له فلان شكوى ضدي، فحضرتُ، **وإذا** به يقول: الملف عندي مليء بالاتهامات التي تُدِينُكَ؛ فأنت مُدَانٌ! **فقلت**: كيف تصدق كلام غريم؟! فكلامه مجرد دعوى! **فقال**: قُدَّامِي تقرير، كيف لا أصدقه؟! **فقلت** متعجبًا من الحال التي وصل إليها القضاء وملحقاته: أنت تصلح عَامِلًا في منجم فحم، وليس وكيل نيابة! **إن** هذه دعوى لو جاءت من نبي كريم؛ **فلا** يجوز تصديقها دون اعترافي، **أو** قيام برهان كالشمس، **ولم** يكد يعقل حتى استعنت بالحاضرين **من** زملائه، **ومن** الكتاب، والقبائل؛ **فقالوا:** كلام الأستاذ صحيح!.

**المثال الرابع:** بمجرد تقديم الشكوى لقسم شرطة يُرْسَلُ للخصم طَقْمٌ عسكريٌّ مباشرة، **والطقم** بالطبع مدفوع الأجرة من الخصمين، **ولا** أطيل، **فكما** يقال في المثل العامي: «لَا يِهِشُّوا وَلَا يِنِشُّوا، وَلَا يُخْرِجُوا بِهِيمَةً مِنْ رَمْكٍ»، **ولا** غرابة من شيء؛ **فالنظام** فاسد؛ **يحرس** الوساطة، والمحسوبية، **ويفتح** باب السلب والنهب لما في جيوب المواطنين، ولثروات الشعب، **وأفدح** مصيبة، وأعظم كارثة **توظيف** الأقارب، والأصدقاء، والمتزلفين، **وتسليطهم** على رقاب الناس، **وإبعاد** أهل الكفاءات والنزاهة، وانتشار الرشوة بشكل مخيف؛ **فَغَلَبَ** الكذب، **وَعَزَّ** الصدق، **وصارت** الحيل والخداع شطارة، **وقد** اخترع المنافقون لاستدرار الأموال مصطلحات تمجيد: **مثل** قولهم للوالي: أنت الحكيم، والرُّبَّانُ، والرمز، والمعلم،

والمربي، والقائد الناجح، المحنك الماهر، وينشر هذا «التملق» في ورق فاخر بالألوان في عدة وسائل، وبكميات مهولة. **أما** الصور من مختلف الأحجام **فأكثر** من ورق الشجر؛ **إذ** تتبارى الجرائد بحشد التهاني بتكاليف باهظة تدفعها الشركات، والبنوك، والوزارات، وسائر المؤسسات، **ناهيك** عما تتكلف به وزارة الإعلام وتوابعها، والجهات المسؤولة من ترويج الدعايات، **ولاسيما** أيام الانتخابات الشكلية؛ **فإني** أُقَدِّرُ أن الأموال التي تنفق في هذا الجانب الدعائي الورقي **قادرة** على رصف خط دائري حول اليمن من أقصاه إلى أقصاه **من** ستة خطوط.

**إن** هذا التصرف **منافٍ** للعقل، **مجافٍ** للصواب، **ودليل** ناصع، **وبرهان** قاطع على النقص؛ **فالذي** يبعثر الثروة في التَّوَافِهِ ناقص ضعيف العقل.

**وَلَوْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ فِي حُكْمِهِ لَمَا مَلَّكَ الْحُكْمَ أَهْلَ النَّقِيصَه**

13- **يجب** التثبت والنظر في صحة الدعوى أو فسادها، **والتأمل** للجواب، **هل** أفاد إقرارًا أَوْ لَا؟ **ويُنْظَرُ** في الشهادة **هل** تُقْبَلُ أَوْ لَا؟

14- **بعد** إقامة البينة المُعَدَّلَةِ **أو** التي عَرَفَ الحاكم عدالتها من دون تعديل - **يَسْأَلُ** المُنْكِرَ الذي أُقيمت الشهادة ضده: **إِنْ** كان لديه حجة يدفع بها الشهادة. **ويجب** أن يُعْطِيَهُ المهلة التي يراها مناسبة لإحضار الحجة التي يدحض بها الشهادة. **وكذلك** تُعْطَى المهلة وجوبًا للمدعى عليه **إذا** طُلِبَتْ منه اليمين **وَطَلَبَ** المهلة ليفكر، **وكذلك** إن طُلِبَتْ منه اليمين المتممة لشهادة عدل واحد، **أو** المؤكدة للشهادة التامة **من** باب التغليظ والاحتياط، **وطَلَبَ** الْمُهْلَةَ هو - **أُمْهِلَ** بما يراه الحاكم.

15- **إذا** لم يكن للمدعي بينة **فاليمين** على المدعى عليه، **فإذا** حلف انتهت الدعوى، **وإن** نَكَلَ **أو** رَدَّ اليمين على المدعي وحلف - **وجب** الحكمُ له وَتَنْفِيذُ الحكم فَوْرًا. **والْحُكْمُ** الذي يحتاج تنفيذه لوقت فَبِحَسَبِهِ.

**ومن** القضايا الخطرة **ما** تحتاج إلى استئناف **من** عالم أعلى، ومرجع أكبر.

16- **لا** بد للحاكم من استخدام صِيَغِ الحكم المناسبة؛ **فيقول**: حَكَمْتُ، **أَوْ** نَفَّذْتُ، **أو** أَلْزَمْتُ، **أو** ثَبَتَ لَدَيَّ، **أو** ثَبَتَ عندي، **أو** صَحَّ عندي، **أو** تَقَرَّرَ، **أو** لِزَمَ، **وما** شابه ذلك.

17- **يجب** الأمر بالتسليم **إذا** طلبه المدعي؛ **والأمر** بالتسليم بمنزلة الحكم.

18- **إذا** تمرد الخصم من تسليم الحق **وجب** حَبْسُهُ **إن** طلب منه صَاحِبُ الحق؛ **لأن** الحق له؛ **والظاهر** أنه ما لجأ للحاكم **إلا** للوصول إلى حقه.

**والنِّسَاءُ** كالرجال في كل ذلك **إلا** الحبس فيخصص لهن حبس يليق بهن.

19- **لا يُخْرَجُ** من الحبس **حتى** يُسَلِّمَ، **أو** يُرْضِيَ غريمه، **أو** يَتَبَيَّنَ إِعْسَارُهُ؛ **فيعان** من بيت المال. **وإن** كان خصمه موسرًا **فلا** يضره أن يسامحه، **أو** يُسْقِطَ بعضًا، **ويتحمل** بيت المال بعضًا، **أو** يَتِمَّ البحث عن جهات خيرية؛ **لأنه** لا فائدة من إلقاء مُعْسِرٍ في السجن ليس له حيلة.

**وإن** أمكن إتاحة الفرصة له ليعمل ويسدد بالتقسيط **فهو** الأولى.

20- **يجب** التشديد بالقيد أو الحبس الانفرادي- **وهذا** للمعاند الذي لا حُرْمَةَ له، **وقد** يقال: بأن القيد أو الحبس الانفرادي مجافٍ لحقوق الإنسان؛ **وهي** طنطنة لا التفات لها؛ **فهذا** معاند **قد** أهدر إنسانيته بانتهاكه لحق غيره، **ولعل** هذا التشديد يُخْرِجُهُ عن عناده، **إِلَّا** وَالِدًا أو جَدًّا **فلا** يُحْبَسُ **ولا** يُقَيَّدُ في دَيْنٍ لولده، وإن سفل، **كما** لا يُقْطَعُ إن سرقه. **أما** في نفقة طفله وسائر أقاربه فيحبس ويقيد **إذا** تمرد عن الإنفاق مع اليسار، **ولا** يحبس إذا تمرد عن قضاء دينه، **بل** يبيع الحاكم **من** مال الوالد المتمرد **ما** يلزم لقضاء دين طفله.

**س: مَنْ يُنْفِقُ عَلَى الْمَحْبُوسِ؟**

ج: يُنْفَقُ عَلَيْهِ **من** ماله، إن كان له مال، **ثم** من بيت المال، **ثم** من خصمه قَرْضًا. **وأجرةُ** السَّجَّانِ والأعوان **من** مال المصالح؛ **وهذه** الأمور مُنَظَّمَةٌ الآن.

**س: كَمْ هِيَ أَمْوَالُ الْمَصَالِحِ؟** ج: سبعة، مجموعة في قوله:

**مَـــالُ الْمَـــصَالِحِ سَـــبْعَةٌ مَـــذْكُورَةٌ فَيْءٌ وَصُـــلْحٌ جِزْيَـــةٌ وَخَـــرَاجُ**
**وَمَظَـــالِمٌ مَجْهُولَـــةٌ وضَـــوَالُهُمْ لُقَـــطٌ وخُمْـــسٌ كُلُّهَـــا تُحْتَـــاجُ**

**فإن** لم توجد **فَمِنْ** مال ذي الحق الذي حُبِسَ من أجله: **كـالْمُقْتَصِّ** إذا استأجر مَنْ يقتص له **تكون** الأُجْرَةُ من ماله. **وقد** أصبح لهذه الأمور موظفون، ونظام شامل لأحوال السجون والمنشآت العقابية.

**ومما** لا بد للقاضي من معرفته: **أن يلزم** خِصَالًا ليَسْلَمَ له دِينُهُ **وهي**:

1- إذا تقدم إليه الخصمان **فعليه** أن يأخذ في الحسبان للقضاء: **إما** بالبينة العادلة، **أو** اليمين القاطعة، **أو** اليمين المردودة، **أو** النكول. **ولله** القائل:

**فَـــإِنَّ الْحَـــقَّ مَقْطَعُـــهُ ثَـــلَاثٌ يَمِـــينٌ أَوْ نِفَـــارٌ أَوْ جَـــلَاءُ**

2- إدناء الضعيف وتقريبه؛ ليشتد قلبه، وينبسط لسانه.

3- تَعَهُّدُ الغريب؛ **لأنه** إن لم يُتَعَهَّدْ **تَرَكَ** حقه ورجع إلى أهله؛ **وإنما** ضَيَّعَ حَقَّهُ **مَنْ** لم يَرْفُقْ به.

4- من زيادة التأكيد للقاضي **أن** يواسي ويساوي بين الخصوم **في** لَحْظِهِ وَلَفْظِهِ.

5- ينبغي على القاضي **أن** يبادر بالصلح بين الناس **ما لم** يتبين له فَصْلُ القضاء.

6- **لَا** تُسَارِرْ أيها القاضي، **وَلَا** تُضَارِرْ، **وَلَا** تَبِعْ وَلَا تَبْتَعْ في مجلس القضاء، **ولا** تَقْضِ وأنت غضبان، **ولا** شديد الجوع، **ولا** مشغول القلب.

**أقول:** وإن تكررت بعض العبارات **فلا** بأس بذلك للتأكيد والتذكير.

## [صفات العمال في المناصب والوظائف العامة]

**ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَارًا، وَلَا تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً؛ فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ، وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ؛ فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا، وَأَصَحُّ**

**أَعْرَاضًا، وَأَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافًا، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظَرًا، ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنًى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ، أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ، ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ، وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، وَتَحَفَّظْ مِنَ الْأَعْوَانِ؛ فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ -اكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِدًا؛ فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ، وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهَمَةِ.**

**لما فرغ** ﷺ من أمر القضاء **شرع** في أمر الكادر الإداري **في** شتى تخصصاته: **فبدأ** بما يلزم اجتنابه عند الاختيار للموظف **لِشَغْلِ** أَيِّ وظيفة **أو** منصب من الوظائف والمناصب العامة؛ **فقال**: **(لَا تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً)**: بل يجب أن يكون الاختيار وفقا للكفاءة وصلاحية الشخص للعمل، وقدرته على تحمل مسؤولياته، **وليس** على أساس المحاباة والصداقة والقرابة والصَّهَارَةِ **على** حِسَابِ الكفاءة؛ **وَعَلَّلَ** ذلك ﷺ بأنه جِمَاعٌ من شُعَبِ الجور والخيانة: **فالجور** في حجب المناصب عن أهلها، **والخيانة** في إيكال العمل لغير أهله.

**ثم انتقل** الإمام إلى ذكر **أهم** الصفات المطلوب تَوَفُّرُهَا في الموظف **في** أي مجال كان، **وفي** أي تخصص يُحْتَاجُ إليه؛ **فينبغي** أن يكون متحليًا بما يلي:

1- **التجربة،** والخبرة، والمهارة: **وهي** المعيار الأول لمعرفة الكفاءة .

2- **الْحَيَاءُ**: وهو أجمل لباس يرتديه ابن آدم؛ **إنه** لباس منسوج من مكارم الأخلاق: **لُحْمَتُهُ** التقوى، **وَسُدَاهُ** الإيمان.

**يَعِيشُ الْمَرْؤُ مَا اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ ... وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللِّحَاءُ**

**فَلَا وَاللهِ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ ... وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ**

**والحياء** هو المعيار الثاني لمعرفة الكفاءة؛ **لأن** الحياء يزجر صاحبه عما يشين؛ **ولا** أَجِدُ أَقَلَّ حياء **مِمَّنْ** يَتَوَلَّى عَمَلًا **وهو** لا يُحْسِنُهُ، **وَمَنْ** يُوَلِّي رَجُلًا أو امرأة **وهو** يعلم بأكفأ منه؛ **فهو** جَائِرٌ؛ **لأنه** مَالَ عن المُسْتَحِقِّ إلى غير المستحق، **وخائن**؛ لأن الأمانة تقضي تقليد الأعمال للأكفاء؛ **فمن** خالف فقد خان.

**قال** أحد الوزراء الذين اختارهم رئيس دولة عظمى للرئيس: يا كلب! **فقال** الرئيس لوزيره: **لَسْتُ** كلبًا، وأقدر على عَزْلِكَ، **ولكني** لا أفعل؛ **لأنك** كفوء في عملك وذلك مفيد للبلاد!

**أقول:** لو حدث هذا عند العرب **لَقَطَّعَهُ** إِرَبًا، **وربما** ألحق به أسرته وقبيلته!

3- **مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ؛** وهذه الصفة ليست غاية في نفسها، **بل** هي وسيلة **عَلَّلَهَا** الإمام بقوله: «**فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا، وَأَصَحُّ أَعْرَاضًا، وَأَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافًا، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ**»، ولن يتحقق هذا الوصف الرائع في البيوتات **إلا** بالتَّنَبُّهِ لأهمية التربية منذ الصغر؛ **فالأطفال** كالعجينة، **وهم** بحاجة إلى تلك العناية الفائقة التي بذلها النبيﷺ في تربية الإمام علي منذ سن الرابعة، **ولا** يبعد أنه اعتنى به قبل ذلك؛ **لأنه** مع أُسْرَةِ أبي طالب أُسْرَةٌ واحدة ؛ **ومن** أخلاق الكبار **يتعلم** الصغار؛ **كما** قال الشاعر:

**بِأَبِـــهِ اقْتَـــدَى عَـــدِيٌّ فِي الْكَـــرَمْ وَمَـــنْ يُـــشَابِهْ أَبَـــهُ فَمـــا ظَلَـــمْ**

**ويقال** في المثل: فَرْخُ الْبَطِّ عَوَّامْ، **وفي** المثل العامي: الْبَهْمُ عَلَى أُمَّاتِهْ: **يعني** أن الولد نسخة من والديه، **حتى** البهيمة نسخة من والديها؛ **فالتربية** ليست بالأقوال وحدها **بل** بالأفعال **ثم** الأقوال. **قال** الشاعر:

**نَبْنِـــي كَمـــا كَانَـــتْ أَوَائِلُنَـــا تَبْنِـــي وَنَفْعَـــلُ مِثْـــلَ مَـــا فَعَلُـــوا**

**وأؤكد** أن جزءًا كبيرا **من** انفلات الشباب، **وانفراط** عقد التلاحم الاجتماعي **يعود** إلى غياب الأسرة؛ **فلم** يَعُدِ الوالدان يعرفان حقوق أولادهما، **ولا** يعرفان أبجديات التربية الفاضلة؛ **والذي** يحدث فقط مجرد الإنجاب! ظلمات بعضها فوق بعض،

**إلا** من عصم الله، وقليل ما هم.

## [الواجب نحو العمال]

1- **ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنًى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ، أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ.**

**إِنَّ** الحاجة والفاقة مَفْسَدَةٌ **لا** تضاهيها مَفْسَدَةٌ، **كما** أن الفقر **يشجع** على الانحراف والخيانة؛ **وبتوفير** حاجات العمال **تُحْفَظُ** مَحَامِدُ صفاتهم، **وتصلح** كرائم طبائعهم، **وتصفو** للخير نفوسهم، **ويخلصون** النية، **ويجتهدون** في العمل، **وسوف** لا يفكرون إن شاء الله بعد ذلك في خيانة، **ولا** يفرطون بما تحت أيديهم: **يستوي** في ذلك المال العام والخاص؛ **ولا** يُقْدِمُونَ على الرشوة.

**وكما** أن إِعْطَاءَهُمْ حَاجَاتِهِمْ وَكِفَايَتَهُمْ **سيقطع** حجتهم **إِنِ** ارتكبوا خيانة، **أو** مخالفة، **ويستحقون** أشد العقاب. **نعم:** إن الموظف **عليه** واجبات **وله** حقوق؛ **فإذا** نال حقوقه **قام** بواجباته.

2- **ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ؛** بنفسك بالزيارات المتكررة، وبدون مواكب فخمة، وجيش جرار من المرافقين **كما** يفعل الفارغون. **وعند** زيارات الأرياف **لا** يَجْمُلُ **ولا** يليق **ولا** يجوز استنفار البسطاء **ليقفوا** على أطراف الطرقات **يهتفون** ويدقون صدورهم بالفداء بالروح والدم والكلام الفارغ!

**بل** الأولى بمن يحب شعبه **أن** يتواضع، **وأن** يتَنَكَّرَ؛ **ليتمكن** من سؤال الصغير والكبير **عن** أحوال الناس، **وعن** سلوك الموظفين عندهم، **وَيَعْرِفَ** عن كَثَبٍ دقائق وخفايا تعامل الولاة، **ويشاهد** حاجات الناس المُلِحَّةَ: **إلى** طرقات، ومستشفيات، وكهرباء، وسدود، ومدارس، وعدل، وإنصاف، ونحوها.

**ولابد** من التفقد لأحوال الزراعة والمزارعين، والاقتراب منهم، وحمل همومهم، وتخفيف معاناتهم. **ويجب** تفقد أحوال الماشية، **هل** بقي لها مرعى،

**ويجب** توجيه الناس وتعليمهم بألا يقتلعوا الأشجار بل يغرسوها، **وأن** يتلقوا مياه الأمطار بكل وسيلة، وتحت كل مسيلة: بالحفر اليدوي، والتعاون فيما بينهم، وبالآلات فيما تصلح له الآلة؛ **فمواسم** الأمطار مثل مواسم الحصاد؛ **فكما** نحافظ على المحصول لسنوات قادمة - **نحافظ** على مياه السحاب لسنوات قادمة أيضًا.

**إن** الوالي التقي الناجح **ليس** بحاجة للنفاق، **ولا** للتصفيق، **ولا** لتجمع المنافقين والمداحين وأصحاب المنافع والأطماع، **وهو** في غنى عن مديح وسائل الإعلام؛ **فقد** مَلَّ الناس عبارة: اجتمع فخامته، وَدَّعَ، استقبل، وَجَّهَ، تبرع، وما شابه ذلك من الهراء.

**فإذا** اجتمع بموظفي المحافظات **فإنما** يتم ذلك لمحاسبة المقصر على تقصيره، ومكافأة المحسن على إحسانه. **ولا يليق** بالوالي تكرار الوعود الكاذبة مِنْ قوله: فَعَلْنَا، وَسَنَفْعَلُ، وَوَجَّهْنَا، وَسَنُوَجِّهُ، وَصَرَفْنَا، وَسَنَصْرِفُ، وَضَرَبْنَا، وَسَنَضْرِبُ، ووضعنا أحجار أساس، وسنعيد ما انقلع منها.

**ويؤكد** الإمام ﷺ **على** أهمية نظام الرقابة والتفتيش الإيجابي البَنَّاءِ الذي يعتمد على الصالحين من أهل الصدق، **وليس** كما يحصل اليوم، **من** تشكيل لجان مراقبة ومحاسبة؛ **فكلما** شُكِّلَتْ لجنة **اطمأن** الفاسدون؛ **لأنها** فاسدة من أصلها.

**3- وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ[1] لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ:**

**إِنَّ** المخبر السري، والباحث الخفي **يجب** أن يتشبه بالملائكة الكرام الكاتبين: **لا** يكذبون، **ولا** يُزَوِّرُونَ، ﴿**لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾.

**أما** مخبرو هذا الزمان وجواسيسه -أصلح الله شأنهم- **فإنما** هم بَلَاءٌ وَنِقْمَةٌ، وَشَرٌّ وَمِحْنَةٌ، **جامعون** بجدارة لكل رذيلة، **فاقدون** بكفاءة لكل فضيلة: **يمدحون** الوضيع،

(1) **حَدْوَةٌ**: باعث، يقال: حداني هذا الأمر حدوة على كذا، وأصله سوق الإبل، ويقال للشمال: حَدْوَاءُ؛ لأنها تسوق السحاب.

**ويذمون** الرفيع: **عُيُونُهُمْ** عُوْرٌ، **وتقاريرهم** زُورٌ، **عقولهم** طائشة، **وأفعالهم** فاحشة، **يتسابقون** إلى إرضاء الشيطان، **ويستمتعون** بمعصية الملك الديان.

**أَحْيَـاؤُهُمْ عَـارٌ عَـلَى أَمْـوَاتِهِمْ وَالْمَيِّتُـونَ فَـضِيحَةٌ لِلْغَـابِرِ**

**لا** يصلحون هم وَمَنْ وَلَّاهُمْ لسياسة البقر! **فكيف** يصلحون **لِلتَّحَكُّمِ** في رقاب البشر؟! **إنهم** من الذين لعنهم الله وأصمهم وأعمى أبصارهم؛ **فكم** من بريء **اتهموه**، وعزيز **أهانوه**، وكريم **أذلوه**، وآمِنٍ أفزعوه؟! **مَنْ** سَمَّاهُمْ بالأمن؟! **بل** هم الخوف، والرعب، والقمع!!

**ريحهم** منتنة، **وأكبادهم** غليظة، **ووجوههم** كئيبة، **وأكفهم** ملوثة، **ومعلوماتهم** مزيفة!! **ولو** أن الأمر بيدي **لبادرت** بإلغاء: جهاز الأمن السياسي، والقومي، والنيابة، **والاكتفاء** بأقسام الشرطة **بعد** تزويدها بقضاة من خيرة الرجال؛ **لحسم** معظم قضايا الناس بسرعة، **وفي** نفس اللحظة، **وفي** قسم الشرطة نفسه.

**ويكون** ضباط القسم وجنوده **تحت** إمرة القاضي العدل الحازم الورع، **ويجب** إلغاء روتين المحاكم؛ **لأنه** عقبة أمام العدل، **وسرعة** الحسم، **واهتمامٌ** بالشَّكْلِيَّاتِ والملفات، **ومضيعة** للوقت والجهد، **وملل** وضجر وقلة حياء!

4- **وَتَحَفَّظْ مِنَ الْأَعْوَانِ:** يعني لا تَنَمْ عنهم؛ **فاحذر** من الثقة العمياء بهم؛ **(فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ- اكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِدًا)؛** وذلك لأن العيون **من** أهل الوفاء، والصدق، والذين لا حامل لهم على الوشاية الكاذبة بالعمال؛ **لأنهم** هم كما قلنا كالملائكة؛ **ليستقيم** قوله ﷺ: **(فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ، وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهَمَةِ).**

**نعم .. نعم:** لا تكون الإدارة ناجحة **إلا** بالحزم، واليقظة الدائمة؛ **ولذلك** فَالْمُدَرَاءُ في العالم الغربي يتقاضون أعلى المرتبات؛ **لأنهم** من أعلى الكفاءات، **ومن**

أشد الرجال استشعارًا للمسؤولية؛ **وكأنهم** مُكَلَّفُونَ من الإمام عليٍّ عليه السلام نفسه.

**إنهم** - ويا للأسف على وضعنا المزري- **أخذوا** الإسلام عندهم في كثير من تعاملهم؛ **إن** الوزير عندهم أو المدير **إن** أخطأ **حوسب** وعوقب واستقال **أو** عُزِلَ فورًا، **وعندنا** يَتَبَجَّحُ بالخطأ، **ويظفر** بالترقية لوظيفة أعلى!

**كان** أبو الحسن بن الْفُرَاتِ **يقول:** الْأَعْمَالُ لِلْكُفَاةِ من أصحابنا، **وَقَضَاءُ** الحقوق على خواص أموالنا.

**وكان** يحيى بن خالد يقول: **مَنْ** تَسَبَّبَ إِلَيْنَا بِشَفَاعَةٍ فِي عَمَلٍ **فَقَدْ** حَلَّ عِنْدَنَا مَحَلَّ مَنْ يَنْهَضُ بِغَيْرِهِ؛ **وَمَنْ** لَمْ يَنْهَضْ بِنَفْسِهِ **لَمْ يَكُنْ** لِلْعَمَلِ أَهْلًا.

**قال** عليه السلام في تعليل ذلك: **(فَإِنَّهُمَا):** يعني استعمال الموظفين للمحاباة والأثرة: **(جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ)**: **والمعنى** أن ذلك يجمع ضُرُوبًا من الجور والخيانة: **أما** الجور؛ **فَمَائِلٌ** في سوء الاختيار، والعدول عن الْمُسْتَحِقِّ إلى غيره. **وأما** الخيانة؛ فلأن الأمانة تقتضي تقليد الأعمال **مَنْ** هم أَهْلٌ لها: كالوعاء يوافق غِطَاهُ؛ **فَمَنْ** لم يعتمد ذلك **فقد** خان الأمانة، وخدع الأمة. **وقد** تقدم مثل هذا.

## [جباية أموال الدولة وتنمية مواردها]

**وَتَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ؛ فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحًا لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ؛ لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ، وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ، وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلًا، فَإِنْ شَكَوْا ثِقَلًا، أَوْ عِلَّةً، أَوِ انْقِطَاعَ شِرْبٍ، أَوْ بَالَّةٍ، أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ، أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ -خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِمَا تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ، وَلَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ الْمَؤُونَةَ عَنْهُمْ؛ فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ، وَتَزْيِينِ وِلَايَتِكَ، مَعَ**

**اسْتِجْلَابِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ، وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ، مُعْتَمِدًا فَضْلَ قُوَّتِهِمْ بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ، وَالثِّقَةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ، وَرِفْقِكَ بِهِمْ، فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ الْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ احْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ؛ فَإِنَّ الْعُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَّلْتَهُ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَ؛ وَإِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوُلَاةِ عَلَى الْجَمْعِ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ، وَقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ.**

**الخراج** بمعناه العام: **كل** ما تقوم الدولة بجمعه من الرعية: **من** زكوات، وضرائب، وجمارك ونحوها؛ **وَالسِّيَاسَةُ** الصائبة تقتضي **أَنْ** يُحَافَظَ عليهم بالنماء **كما** يُحَافِظُ التاجر على رأس ماله الذي يُقَلِّبُهُ في التجارة؛ **فإن** لَحِقَتِ الْخَسَائِرُ برأس المال **ولم** يُعَوَّضْ من ربح قادم **كان** التاجر في طريقه إلى هاوية الفقر؛ **فكما** أن التجارة **تحتاج** إلى إدارة يَقِظَةٍ: **تتعامل** بحذر، **وتتحين** الفرص، **وتحرص** على الزبون، **كذلك** إدارة الدافعين إلى خزينة الدولة **إن** لم تكن أنجح من إدارة التاجر العاقل الذكي المتمرس لتجارته **وإلا** أَفْلَسَتْ خَزَائِنُ الدولة لا محالة.

**وحالة** جباة الضرائب والجمارك والزكوات **مثل** حجام ساباط **الذي** كان يحجم أمه؛ **لعدم** من يحجم عنده؛ **خوفًا** منه أن يتهم بالبطالة؛ **فامتص** دمها فماتت؛ **فضرب** به المثل.

**وعندنا** يأتون باحثين عن مصروف لجيوبهم الخاصة؛ **فيتسكعون** فوق أصحاب البقالات والدكاكين باسم الدولة! **فإن** لم يتداراهم صاحب البقالة برشوة **وإلا** كتبوا عليه مبلغًا يفوق ما في البقالة من بضاعة!.

**إن قول** الإمام في سياسة الضرائب، وجلب الموارد التي يدفعها المواطن للدولة: **(وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ، وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ)** - **مِنْ** أبلغ

السياسات القديمة والحديثة؛ **لأن** تنمية الموارد أولا هي المطلوبة؛ **فالبقرة** لا تَحْلُبُ حتى تَشْبَعَ من الأعلاف، وَتُحْسَنَ مُعَامَلَتُهَا.

**أما** مجرد خَلْسِ الناس، وسلب أموالهم، ونزع لقمة العيش من أفواههم بغباء مطبق، وقسوة مفرطة؛ **فهذا** خراب، وتدمير، وظلم، **وسأبين** ذلك ببعض الأمثلة المعمرة والمدمرة:

**مثال التعمير:** شَقُّ طرق زراعية تُسَهِّلُ للمزارع كل الخدمات: **من** آلات، وأسمدة، ونظام ري، وعدل، وأمن، وصحة، وتعليم نافع، **ثم** شراء المحصول، وتسويقه، وتخزينه، وتصنيعه، **فما الذي** سيفعله هذا المزارع؟!

**سَيُقَدِّمُ** لبيت مال المسلمين زكوات **ما** أخرجت الأرض من خيرات، **وما** تأتي به تربية الحيوانات: **من** لحوم، وألبان، وأجبان، ودهون، وجلود، وبيض، وعسل؛ **ويدفعون** كل ذلك ونفوسهم راضية؛ **لأنهم** شعروا ولمسوا **أَنَّ** دولتهم لهم لا عليهم، **وهي** سماء ظليلة، وأرض ذليلة، وَأُمٌّ حانية، وأب شفيق.

**مثال التدمير:** عندما تَكُونُ الدولة **ذِئْبٌ** نَهِمٌ، ووحش شَرِسٌ؛ **فالحالة** كما يلي:

1- **لا** يعرف المزارعون والتجار **أي** شيء مما سبق! **وإنما** يجلبون الماء من أماكن شاسعة بالعربات: **في** طرق وعرة، وَنُدْرَةٍ من المحروقات **أو** انعدام تام في أغلب الأوقات، وَشِحَّةٍ في المطر، وانفلات مخجل للأمن، والعدل، والتعليم، وغياب الصحة، **ولا** يوجد أي تخطيط لا للحاضر ولا للمستقبل **فيما** يتعلق بالأرض والإنسان.

**ومع ذلك** تتوارد عليهم الأطقم المسلحة صباح مساء مطالبة بالزكوات، والضرائب؛ **وهذا** حاصل في البلاد الطَّيِّعَةِ!! **أما** البلاد المنيعة **فلا** وجود للدولة أصلًا.

**إن المواطن** رغم الفساد الكبير الذي لحق بالمجتمع **ينظر** إلى موظف الدولة **كأنه** ينظر إلى شيطان! **والموظف** ينظر إلى المواطن **كأنه** خروف أو بقرة حلوب!

2- صاحب بقالة أو حانوت ملابس **قد** لا يتجاوز رأس ماله **مائة** ألف ريال يمني تساوي أربعمائة دولار، **وقد** لا يبيع في اليوم بألف ريال، **ومع ذلك** يُطَالَبُ بأكثر من اثني عشر نوعًا من الضرائب **كُلُّهَا** أ وجُلُّهَا باطل! **ويُهَدَّدُ** بدفع مائة ألف **إن** لم يدفع رشوة لموظف الضرائب!! **ولا** أبالغ في هذا؛ **فهو** واقع، **وقد** أدى ذلك بالناس إلى ما نحن فيه من الكوارث المفجعة؛ **إذ** أكثر من «75٪» فقراء، والشوارع متخمة بالمتسولين، والمصائب التي تحيط بنا لا حصر لها.

**كان** الإمام الهادي عليه السلام يحتذي حَذْوَ جده أمير المؤمنين- **فلم** يكن همه الجباية **بل** الهداية، **ولم** يلتفت لكنز الأموال **بل** هداية النساء والرجال، **وكانت** العلاقة بينه وبين مواطنيه **عندما** يطلب منهم إخراج الزكاة **أن** يقوموا هم بتقديرها، **ثم** إخراجها؛ **فما** بذلوه منها طَيِّبَةً نفوسهم **لم** يراجعهم في مقدارها؛ **مُعْتَمِدًا** على أمانتهم وَدِينِهِمْ، **وَمُرَبِّيًا** لهم على الرقابة الذاتية.

**ومن ذلك** ما ذكره أبو الحسن الهمداني - **وكان** رجلًا فقيهًا على مذهب الشافعي، **جامعًا** بين الفقه والتجارة- **قال:** أنفذ إِلَيَّ الإمام الهادي يومًا **يقول:** إِنْ كان في مالك لله زكاة فَأَخْرِجْهَا إلينا؛ **فقلت:** سَمْعًا وطاعة، **مَنْ** لي بأن أخرج زكاتي إليه[يعني أفضل من الهادي]؟! **وحسبت** حسابي فإذا عَلَيَّ من الزكاة عشرة دنانير، **فأنفذتها** إليه، **ولم** يراجعني.

**وكان** رحمه الله يتدخل **بين** عمال الزكاة التابعين له **وبين** المزارعين المكلفين بالزكاة؛ **عند** حصول اختلاف في مقدار الزكاة بطريقة الْخَرْصِ- **وهو** التقدير والتخمين؛ **فقد** يفرضون أكثر مما يجب من باب التقدير والظن؛ **فيأتي** الفلاح متظلمًا؛ **فيبادر** الإمام عليه السلام **ويقف** في صف المزارعين، **ويتركهم** وما أَدَّعَوْهُ من ثمرة حصادهم، **ويأخذ** منهم ما حَلَفُوا عليه فقط.

**وهكذا** كانت الزكاة تُسَلَّمُ عن طيب خاطر، **ودون** إِغْفَالِ دَعْوَى مُدَّعٍ، **ولا**

احتجاج محتجٍّ **في** أي تفصيل من تفاصيل جمع الزكاة، **أو** وسائل تحصيلها، **حتى** إنه كان يشاور الناس في اختيار عُمَّالِ الزكاة الذين يَرْضَوْنَهُمْ، **كما** حصل في نجران.

**واشتهر** الهادي عليه السلام **بأنه** لم يأكل من أموال اليمنيين **ما** يساوي درهمًا! **بل** كانت نفقته تأتيه من أمواله في الحجاز، **وكان** صَارِمًا في حَقِّ نفسه وأولاده وذرية الزهراء كافة؛ **فَحَرَّمَ** عليهم الزكاة **حتى** عند الضرورة! **بل** أوجب أكل الميتة للمضطر من الهاشميين، **ولم** يسمح بتناول الزكاة! **ولم** يُحَلِّلْهَا حتى من هاشمي لهاشمي **رغم** أنه أَحَلَّهَا أكثر من مائتي إمام من أئمة أهل البيت وحدهم، **ناهيك** عن أئمة المذاهب والفقهاء الآخرين!

**وأستطيع** القول بأنه صورة صادقة للإمام علي عليه السلام.

**وَذُكِرَ عنه** أنه كان يدعو المكلفين بالزكاة ليشهدوا طريقة صرف الأموال على مصارفها؛ **لِتَطِيبَ** نفوسهم، **ويبعث** فيهم الحماس لأداء حق الله، **وَيُرِيهِمْ** أَثَرَ الزكوات في ردم الفجوة بين الغني والفقير، وتعزيز لحمة التكافل الاجتماعي **كما** قال تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ**﴾[المعارج:24،25].

**وقد** ذكر أبو الحسن الهمداني المذكور سابقا: **أن** الهادي استدعاه يَوْمَ تقسيم العطاء، **وشاهد** الْمَالَ يُوزَنُ وَيُخْرَجُ إلى الناس، **وقال** له الهادي: أَحْضَرْتُكَ لِتَشْهَدَ إِخْرَاجَ زَكَاتِكَ إِلَى الْمُسْتَحِقِّينَ! **فقال** الهمداني -وهو متأثر بهذا الموقف: الله الله أيها الإمام! **كأني** أرتاب بشيء من فعلك؟! **فتبسم** الهادي **وقال**: مَا ذَهَبْتُ إِلَى مَا ظَنَنْتَ، **وَلَكِنِّي** أَرَدْتُ أَنْ تَشْهَدَ إِخْرَاجَ زَكَاتِكَ!

**وكان** عليه السلام قد جمع الثقات من أهل نجران، **وأمرهم** أن يقسموا بأنفسهم رُبْعَ حاصل أموال الزكاة التي دفعوها على المساكين والمحتاجين، **ولاسيما** الذين لا يسألون الناس إلحافا! **وهذه** سياسة وشفافية يندر مثلها.

**ولم** يكن عليه السلام مُقْتَصِرًا على الجباية فقط **بل** كان يَتَنَبَّهُ لحل مشاكل دافعي الزكاة؛

**فقد** لمس تراجع نسبة الزكاة في نواحي نجران؛ **بسبب** إقبال أهل الذمة على شراء أموالٍ كثيرة من المسلمين؛ **فطلب** من أهل الذمة **أن** يبيعوا ما بأيدهم من الأموال للمسلين **إلا** ما كان لهم من زمن الجاهلية؛ **فرفضوا** وضجوا، **فلم** يجبرهم، **وبحث** معهم حلًّا آخر رَضُوا به، وصالحهم عليه؛ **وذلك** بأن يأذن لهم في شراء أموال المسلمين **بشرط** أن يؤدوا تُسُعَ ما أخرجت الأرض **إن** سُقِيَتْ بالمطر، **وَنِصْفَ** التُّسُعِ **إن** سقوها بالأواني.

**في بداية** عهد الرئيس المخلوع دعا تجار السعودية للاستثمار في اليمن؛ وَالِاسْتِثْمَارُ **يعني** أن صاحب رأس المال الذي يهدف إلى الربح **سَيُحَرِّكُ** في سبيل الوصول إلى هدفه عَجَلَةَ الاقتصاد؛ **فلو** اسْتَثْمَرَ في الزراعة - **فسيحتاج** إلى عمال: في الحرث، والغرس، والسقي، والبذر، والتسميد، والحصاد، وتربية الماشية، **ويحتاج** إلى سائقي سيارات؛ لنقل المحصول، **ويحتاج** إلى موزعين من صغار التجار.

**وَإِنْ** أَلْحَقَ بالزراعة مناشط أخرى: كالأفران، والمطاعم لتسويق المحصول الزراعي لهذه المناشط؛ **وحينئذ** فسيحتاج إلى مجاميع: من الطحانين، والخبازين، والطباخين، والمباشرين، **ويحتاج** إلى بَنَّائِينَ، **وما** يتبعهم من أصحاب المهن لتجهيز المطاعم والمعارض، **ويحتاج** إلى حراس، وكتاب، ومحاسبين؛ **وهذا** كله يمتص البطالة داخل البلد، **ويُنْعِشُ** الْأُسَرَ إن لم تكن الدولة في سبات، وبيات شتوي؛ **فيجلب** المستثمر العمال: من الصين، والهند، وبنقلادش. **وأصحاب** البلاد يقعدون بين الغبار والشمس في جولات المدن!.

**إذن** فواجب الدولة **رعاية** مسيرة الاقتصاد، **كما** ترعى الأم الحنون طفلها؛ **فتحرص** أشد الحرص **على** سلامة أموال المستثمر، **وتراقب** أداء الجهاز العامل عن كثب؛ **فإن** ثبتت **إِسَاءَةُ** أي عامل في عمله، **أو** خيانة أي موظف - **أَسْرَعَتِ** الجهات المختصة إلى ضبطه، وحسم الأمر بسرعة؛ **لأن** الحال لا يحتمل التأخير

**إلا** ريثما يظهر الحق.

**ومن** واجب الدولة **أن** تراقب المستثمر؛ **لئلا** يستغل الناس، ويكدس الأرباح الباهظة.

**لكن** الذي حدث **حسب** ما أخبرني أحد رجال الأعمال المدعوين، **وأنا** في استراحته الصيفية بالإسكندرية، **ودار** الحديث **إلى** أن سَأَلْتُهُ **لماذا** أنت مُسْتَثْمِرٌ في مصر ويعمل لديك ألوف الرجال والنساء- **واليمنُ** أقرب إليك وأحوج؟! **فابتسم** ابتسامة حزن **وقال:** أول ما بَدَأْتُ في اليمن بدعوة من رئيسكم **فَجِئْتُ** مع تجار آخرين، **وَجَمَعَنَا** مَقِيلُ الرئيس، وَرَحَّبَ بنا، وَعِشْنَا لَحَظَاتِ أحلام وردية، **وقال لنا:** أي صعوبة أنا كفيل بإزالتها شخصيًّا! **فبادر** كل منا إلى شراء عقار؛ لتنطلق منه حركته الاستثمارية، **فما كاد** يَجِفُّ حِبْرُ وثائق الْمِلْكِيَّةِ بَعْدَ دفع الثمن عَدًّا وَنَقْدًا **حتى** ظهر لنا عَفَارِيتُ يزعمون أن العقار المبيع لهم! **فَنَقَلْنَا** الخبر للرئيس! **فأظهر** من الدهشة ما لا يمكن وصفه! **وقلنا:** سَيُحْرِقُ العفاريت بنار العدل والحمية على كرامة بلده فيذرهم رَمَادًا تذروه الرياح!.

**وإذا** به بعد مراوغة **يُشِيرُ** علينا **بأن** نتخلص منهم بإرضائهم بمبلغ من المال! **فرضخنا** وأرضيناهم! **ولَمَّا** أرضيناهم **قَفَزَ** أمامنا آخرون، **وتكررت** عملية الاحتيال والنصب ولا مُغِيثَ! **وكنا** قد جلبنا معدات وبضائع، **فما** وَصَلَتْ **إلا** وقد خَلَسُوا جلودنا.. هات هات! **ونحن** ننقل كل ذلك لفخامة الرئيس!

**ولكن** يا فصيح لمن تصيح! **فَأَدْرَكْنَا** حجم الفادحة، **وكيف** تُدَارُ الْبَلَدُ، **وَأَنَّ** حاميها حراميها! **فبادرنا** إلى إنقاذ ما يمكن إنقاذه، **وهربنا** إلى السودان **ففوجئنا** بأنهم من نفس الطينة! وأخت تلك العجينة! والشجرة الملعونة!.

**وكم كُنْتُ** أَتَمَنَّى **بأن** يُتَاحَ لي مُحَاوَلَةُ جلب ما أستطيع من استثمار لبلدي، **وأن** نتمكن من عرض ما لدينا من كنوز ثقافية وسياحية وغيرها؛ **لنسهم** في

تخفيف معاناة أهلنا وبلدنا الحبيب؛ **لكني** قد حاولت- **فلم** أستطع وأنا ابن البلد، **وكيف** أستطيع **وَأَنَّى** يَتَأَتَّى لي ذلك **وقد** لَحِقَ بي **من** التُّهَمِ والمضايقات **بسبب** نشاطي في رعاية أهل العلم: إِيْوَاءً، وتدريسًا، وإخراج نفائس التراث، وبناء مرافق لهذا الواجب المقدس، **وكذلك** التصدي بالخطابة والمحاضرات والزيارات **لِمَا** لحق بالبلاد والعباد: **من** الظلم، والعبث، والغبن، وَانْهِيَارِ القيم، وَمَسْخِ التراث، وتشويه العقائد، وَزَرْعِ الفتن، وَٱسْتِفْحَالِ الطمع، وَتَغَلُّبِ الشح، وإيثار الهوى، وتعاظم الأنانية، وغياب العدل، وانعدام الأمن، وازدهار الجاسوسية، والتزلف، والنفاق، وعبادة البطون، والفروج، والمصالح من دون الله.

**إذن** كيف أتمكن -أنا أو غيري- من جلب مصلحة في هذه البيئة الخانقة التي نعيش فيها حياة النكد، والقلق، والخوف؟! **فتلفوني** وبيتي ومسجدي وصندوق بريدي ورقم حسابي، **كلها** ليست آمنة من التجسس، **وَقَلَّ** مَنْ يُسْجَنُ من طلاب العلم أو غيرهم بالأمن السياسي أو القومي أو البحث الجنائي أو حتى قسم شرطة **إلا ويُسْأَلُ**: ما علاقتك بالمرتضى؟ ومركز بدر؟

**فيجيب** المسجون المعذب: مجرد طالب يتعلم دينه وتراثه، ويشعر بآدميته.

**س:** لماذا تدرس عند أخطر إنسان على اليمن؟

**والجواب:** يا لطيف الطف!! لكن ما وجه الخطورة؟

**ألم** تعلم بأنه هاشمي، شيعي، صفوي، ماسوني، مجوسي، يسب الصحابة، وأم المؤمنين عائشة؟!

**حقًّا أقول:** إن أغبى الناس **مَنْ** يَسْتَمِيتُ **في** عَدَاوَةِ مَنْ يُقَدِّمُ لَهُ النُّصْحَ، **ويجتهد** في نشر مثل هذه التفاهات **التي** هي من علامات الإفلاس الشنيع، والجهل المروع، والتخلف المزري، **إِنِّي** أريد أن تسمعني الدنيا **بأن** الْقِرْدَ صَارَ حَاكِمًا! وَالْحِمَارَ فَيْلَسُوفًا! والْوَغْدُ رَمْزًا! والمغامر ربان السفينة! **يصدق** عليه قول القائل:

وَكُنْتُ فَتًى مِنْ جُنْدِ إِبْلِيسَ فَارْتَقَى بِيَ الْحَالُ حَتَّى صَارَ إِبْلِيسُ مِنْ جُنْدِي
وَلَوْ أَنَّنِي عُمِّرْتُ أَحْدَثْتُ بَعْدَهُ طَرَائِقَ فِسْقٍ لَيْسَ يُحْدِثُهَا بَعْدِي

**سمع** العالم وشهد وشاهد الشاب التونسي محمد بو عزيزي **الذي** أشعل النار في جسده **فاشتعلت** تونس قاطبة، **واشتعلت** بعدها مصر، واليمن، وليبيا، والبحرين، وسوريا، **وستشتعل** الأرض نارًا تحت أقدام الطغاة أينما حَلُّوا.

**وقصة الشاب** كما سمعنا: أنه حامل ماجستير، **ولَعَلَّهُ** يجيد ثلاث لغات: العربية، والفرنسية، والإنجليزية، **ولجأ** حين لم يجد عملًا في دنيا الماجنين؛ **إذ** غدت تونس الخضراء نارًا حمراء: **مِنَ** القمع الوحشي، ومصادرة حريات الناس، وأرزاقهم؛ **فلجأ** الشاب إلى بيع الخضروات في قريته، فوق عربيته المتهالكة؛ **فهاجمته** البلدية، وبوليس الرعب، وصادرت مصدر رزقه وعائلته، وَأُهِينَ باللطم والشتم! **ولعل** ذنبه **أنه** وقف أمام بنك **أو** مؤسسة تتبع الرئيس **وَحَرَمَهُ أو** أقاربها، **وهذا** تجاوز للخطوط الحمراء! **فلا** يجوز لشاب فقير يلهث وراء لقمة عيش تسد رمقه، ورمق أمه وإخوته- **أَنْ** يُشَوِّهَ بمظهره ومنظر عربيته القذرة **جَمَالَ** الواجهات الراقية: **كما** يفعل أشاوس أمن العاصمة عندنا **من** ملاحقة ومصادرة عربيات شباب عتمة، وريمة، وأصحاب تهامة وغيرهم، وإهانتهم، وضربهم، وحبسهم، ومصادرة عربياتهم، ونهب محتوياتها دون رحمة؛ **حِرْصًا** على نظافة العاصمة القذرة، وجَمَالِ شوارعها الملوثة! **التي** لا بُدَّ أن تُطَهَّرَ من أولئك الفقراء المساكين، الذين دفعهم الظلم إلى ساحات الحرية والثورة الغاضبة على الفساد؛ **فقد** سمعنا أن ميزانية مطبخ بعض أصهار رأس العصابة مليون ريال يوميًّا، **ولا** يستبعد؛ **فوالده** الذي ناهز الثمانين لم يُشْبِعْهُ جَمْعُ الأراضي في صنعاء ونواحيها، وعدن وضواحيها، **ولَمَّا** لم يجد في الجبال **ما** يشبع جوعه **نزل** إلى تهامة والحديدة، **واستولى** على أراضٍ **بَعْضُهَا** بحجم البحرين، **وبَعْضُهَا** مثل مساحة قطر!

**ويفعل** غَيْرُهُ مِنْ مِثْلِهِ مِثْلَهُ وأعظم!

**فما** نشاهد إلا كُـلَّ لئـيم، ﴿**هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ**﴾[القلم:11-13]، **وَسَلْ** إِنْ شِئْتَ أبناء الجنوب المنكوب، وأبناء الشمال المغلوب؟ **وسيجيبون** بصوت واحد: نعم، نعم هؤلاء هم أَشْرَسُ مِمَّنْ قال الله فيهم: ﴿**وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ**﴾ [الفجر:9-14]، **وَهَا هِيَ** أصوات الملايين تُدَوِّي بلعنهم، وتجهر باحتقارهم، وترفع في وجوههم النعال! **وإن** كانت نِعَالُهُمْ أَطْهَرَ وَأَشْرَفَ **مِنْ** تلك الوجوه التي تعلوها ﴿**غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ**﴾[عبس:40-42].

**فأي** استثمار، **وأي** تجارة، **وأي** زراعة، **وأي** اقتصاد في بلاد الحيتان الزرقاء، والتماسيح البشعة؟!

**في كندا** يمنحون الجنسية فورًا لمن يحمل مائتي ألف دولار، ويرغب في استثماره عندهم، والبقاء لديهم. **والكثير** من الدول تمنح رجال الأعمال امتيازات خاصة، وترحب بهم، **وتذلل** الْعَقَبَاتِ أَمَامَهُمْ؛ **لإدراكهم** أن المال يُسْهِمُ فِي رفاهية الشعوب: **يمتص** البطالة، **ويفتح** الطريق أمام المبدعين؛ **ولاسيما** لدى الشعوب التي تمتلك رُؤْيَةً، وَتَخْطِيطًا، واستراتيجيةً: كشعب الصين العملاق الذي حافظ على العمالة الرخيصة؛ **فجذب** العالم بأسره؛ **لِيُصَنِّعَ** عنده طَلَبًا للأيدي الرخيصة، والعمال الْمَهَرَةِ، **ومثلهم** ماليزيا.

**نَظَرَتِ** الصينُ إلى العالم بعيونِ مليار ونصف، **وعرفوا** حاجته من الصغيرة والكبيرة، **فأغرقوا** أسواق العالم بإنتاجهم، **ولم** يَفُتْهُمْ صناعة الكشافات المناسبة لأصحاب القات في اليمن! **تُوضَعُ** فوق الجبهة برباط فوق الرأس، **وصنعوا** أيضًا لليمنيين الطيبين الْجَنَابِيَ تَرَاهَا **وتقول:** هذه بمليونين! **وإذا** هي صيني

بألفين! **وقد** صَدَّرُوا لنا **حتى** الباميا! ومقالي السلتة! ومداعات الدخان! وكل ما يناسب طبيعة اليمني الفارغ.

**وأتوقع** أن يصدروا مسحوق البردقان! وعصير القات! **أما** أنطفاء الكهرباء **فقد** جلب للصين دخلًا كبيرًا في صناعة مولدات الكهرباء، **كما** جلب سقي القات للألمان ولكوريا الجنوبية **مبالغ** ضخمة. **وكم** أحدثكم بالمواجع: **من** تجارة السلاح، **إلى** تجارة المخدرات، **إلى** تجارة المبيدات، **إلى** تحول الجهاز الحكومي **إلى** سماسرة ومقاولين، ووكلاء شركات؛ **ولا ينفذ** مشروع إلا بإشراك هؤلاء البلاطجة، أو إعطائهم نسبة من الربح، وهكذا يَسْتَلِمُ الرِّبْحَ رَبْحٌ.

**والخلاصة:** فنحن في اليمن ما بين صناعة الماء، والمشروبات الغازية، وطحن البردقان، **وإن** غامر مستثمر أجنبي أو محلي **أحاطت** به الوحوش من كل جانب، **فإذا** هو نعجة وسط ذئاب:

**يَشْكُو إِلَى الذِّئْبِ مِنْ فَتْكِ الذِّئَابِ بِهِ ... وَيَطْلُبُ النَّصْرَ من قِرْدٍ وَمِنْ ضَبُعِ**
**في دَوْلَةِ القِرْدِ قُلْ لِلْقِرْدِ يَا سَنَدِي ... وَسَيِّدي أَنْتَ مَأْمُولي ومُتَّجَعِي**

## [ اختيار الْكُتَّابِ ]

**ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ وَاخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَايِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُوهِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ: مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ الْكَرَامَةُ فَيَجْتَرِئَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلَإٍ، وَلَا تَقْصُرُ بِهِ الْغَفْلَةُ عَنْ إِيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ، وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ، فِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ، وَلَا يُضْعِفُ عَقْدًا اعْتَقَدَهُ لَكَ، وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ، وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ، ثُمَّ لَا يَكُنِ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ؛ فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّضُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلَاةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ**

**النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ! وَلَكِنِ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ؛ فَاعْمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثَرًا، وَأَعْرَفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهًا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ وَلِمَنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ، وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا مِنْهُمْ: لَا يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا، وَلَا يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا، وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أُلْزِمْتَهُ.**

**لَمَّا** فَرَغَ من أمر الخراج **شرع** في أمر الكُتَّابَ **الذين** يَلُونَ أَمْرَ الْحَضْرَةِ، **وَيَتَرَسَّلُونَ** عنه إلى عماله وأمرائه، **وإليهم** مَعَاقِدُ التدبير وأَمْرُ الديوان؛ **فَأَمَرَهُ** أَنْ يَتَخَيَّرَ الصالح منهم، **وَمَنْ** يُوثَقُ على الاطلاع على الأسرار، والمكايد، والحيل، والتدبيرات. **وَمَنْ** لا يُبْطِرُهُ الإكرام والتقريب؛ **فَيَطْمَعَ** فَيَجْتَرِئَ على مخالفته في مَلَإٍ من الناس والرَّدِّ عليه؛ **ففي ذلك** من الْوَهَنِ للأمير، وسوء الأدب الذي انكشف الكاتب عنه ما لا خفاء به.

**قال** الرشيد للكسائي: يا على بن حمزة، **قد** أحللناك المحل الذي لَمْ تَكُنْ تَبْلُغْهُ هِمَّتُكَ؛ **فَرَوِّنَا** من الأشعار أَعَفَّهَا، **ومن** الأحاديث أَجْمَعَهَا لِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ، **وَذَاكِرْنَا** بِآدَابِ الْفُرْسِ وَالْهِنْدِ، **ولا** تُسْرِعْ علينا الرَّدَّ في مَلَإٍ، **وَلَا** تَتْرُكْ تَثْقِيفَنَا فِي خَلَاءٍ.

**وفي** آداب ابن المقفع: **لا** تَكُونَنَّ صُحْبَتُكَ لِلسُّلْطَانِ **إلا** بعد رياضة منك لنفسك **على** طاعتهم في المكروه عندك، **وموافقتهم** فيما خالفك، وَتَقْدِيرِ الأمور على أهوائهم دون هواك: **فإن** كنت حافظا إذا وَلَّوْكَ، **حَذِرًا** إِذَا قَرَّبُوكَ، **أَمِينًا** إِذَا ائْتَمَنُوكَ: **تُعَلِّمُهُمْ** وكأنك تتعلم منهم، **وَتُأَدِّبُهُمْ** وكأنك تتأدب بهم، **وَتَشْكُرُ** لهم ولا تُكَلِّفُهُمُ الشُّكْرَ: **ذَلِيلًا** إِنْ صَرَمُوكَ، **رَاضِيًا** إِنْ أَسْخَطُوكَ؛ **وَإِلَّا** فَالْبُعْدَ مِنْهُمْ كُلَّ الْبُعْدِ، **وَالْحَذَرَ** مِنْهُمْ كُلَّ الْحَذَرِ.

**وَإِنْ** وَجَدْتَ عَنِ السُّلْطَانِ وَصُحْبَتِهِ غِنًى **فَاسْتَغْنِ** عنه؛ **فإنه** مَنْ يَخْدُمُ السُّلْطَانَ حَقَّ خِدْمَتِهِ- **يُخَلِّ** بينه وبين لذة الدنيا وعمل الأخرى، **وَمَنْ** يَخْدُمُهُ غَيْرَ حَقِّ الخدمة **فقد** احتمل وِزْرَ الْآخِرَةِ، **وعَرَّضَ** نفسه للهلكة والفضيحة في الدنيا.

**فإذا** صَحِبْتَ السلطان **فعليك** بطول الملازمة من غير إملال، **وإذا** نَزَلْتَ منه بمنزلة الثقة **فاعزل** عنه كَلَامَ المَلَقِ، **ولا** تُكْثِرْ لَهُ مِنَ الدُّعَاءِ، **ولا** تَرُدَّنَّ عليه كَلَامًا في حَفْلٍ وَإِنْ أَخْطَأَ؛ **فإذا** خَلَوْتَ به فَبَصِّرْهُ في رِفْقٍ. **وَلَا** يَكُونَنَّ طَلَبُكَ مَا عِنْدَهُ بِالْمَسْأَلَةِ، **ولا** تَسْتَبْطِئْهُ وإن أبطأ، **ولا** تُخْبِرَنَّهُ أَنَّ لَكَ عَلَيْهِ حَقًّا، **وَأَنَّكَ** تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ بِبَلَاءٍ، **وَإِنِ** استطعت **ألا** تنسى حقك وبلاءك بتجديد النصح والاجتهاد فافعل، **ولا** تُعْطِيَنَّهُ الْمَجْهُودَ كُلَّهُ من نفسك في أول صحبتك له، **وَأَعِدَّ** موضعا للمزيد.

**وإذا** سأل غيرك عن شيء **فلا** تَكُنِ الْمُجِيبَ؛ **فَاسْتِلَابُكَ** كَلَامَ غيرك خِفَّةٌ فيك، **واستخفافٌ** منك بالسائل والمسئول؛ **فما** أنت قائل **إِنْ** قال لك السائل: **ما** إياك سألت؟!

**وقال** عبد الملك بن صالح لمؤدب ولده بعد أن اختصه بمجالسته ومحادثته: ياعبد الله، **كُنْ** على التماس الحظ فيك بالسكوت **أَحْرَصَ** منك على التماسه بالكلام؛ **فإنهم** قالوا: **إذا** أعجبك الكلام فَاصْمُتْ، **وإذا** أعجبك الصمت فتكلم.

**واعلم** أن أصعب الملوك مُعَامَلَةً الْجَبَّارُ الْفَطِنُ الْمُتَفَقِّدُ: **فَإِنِ** ابْتُلِيتَ بصحبته فاحترس، **وَإِنْ** عُوفِيتَ فاشكر الله على السلامة؛ **فَإِنَّ** السلامة أصل كل نعمةٍ.

**ولا تساعدني** على ما يَقْبُحُ بي، **ولا** تَرُدَّنَّ عَلَيَّ خَطَأً في مجلس، **ولا** تكلفني جواب التشميت والتهنئة، **وَدَعْ** عنك: **كيف** أصبح الأمير، **وكيف** أمسى؟! **وكَلِّمْنِي** بقدر ما أَسْتَنْطِقُكَ، **واجعل** بَدَلَ التقريظ لي صَوَابَ الاستماع منى.

**واعلم** أن صواب الاستماع **أَحْسَنُ** من صواب القول؛ **فإذا** سمعتني أتحدث - **فلا** يفوتنك منه شيء، **وأَرِنِي** فَهْمَكَ إِيَّاهُ في طَرْفِكَ وَوَجْهِكَ؛ **فما** ظنك بِالْمَلِكِ **وقد** أَحَلَّكَ مَحَلَّ الْمُعْجَبِ بما يُسْمِعُكَ إياه، **وأَحْلَلْتَهُ** مَحَلَّ مَنْ لا يسمع منه؟! **وَكُلٌّ** مِنْ هذا يُحْبِطُ إِحْسَانَكَ، ويُسْقِطُ حَقَّ حُرْمَتِكَ.

**ولا** تَسْتَدْعِ الزيادة من كلامي **بما** تُظْهِرُ من استحسان ما يكون منى؛ **فَمَنْ** أَسْوَأُ حَالًا **مِمَّنْ** يَسْتَكِدُّ الملوك بالباطل؛ **وذلك** يدل على تهاونه بقدر ما أوجب الله تعالى من حقهم.

**واعلم** أني جعلتك مُؤَدِّبًا **بعد** أن كنت مُعَلِّمًا، **وجعلتك** جَلِيسًا مُقَرَّبًا **بعد** أن كنت مع الصبيان مُبَاعَدًا؛ **فمتى** لم تَعْرِفْ نُقْصَانَ مَا خرجت منه - **لَمْ** تَعْرِفْ رجحان ما دخلت فيه! **وقد قالوا:** مَنْ لم يعرف سُوءَ مَا أَوْلَى، **لم** يَعْرِفْ حُسْنَ ما أبلى.

**ومعنى قوله**ﷺ -في صفة الكاتب- **أن** يكون غَيْرَ مُقَصِّرٍ عن عَرْضِ مكتوبات العمال على الوالي الأكبر، **والإِجَابَةِ** عنها، **حَسَنَ** الوكالة والنيابة عنه **فيما** يحتج به له وعليهم من مكتوباتهم، **وما** يُصْدِرُهُ عنه من الأجوبة: **فَإِنْ** عَقَدَ لك أيها الوالي عقدًا **قَوَّاهُ** وأَحْكَمَهُ، **وإِنْ** عقد عليك عقدًا **اجتهد** في نقضه وَحَلِّهِ.

**وأرشد** ﷺ إلى أن يكون الكاتب عَارِفًا بِنَفْسِهِ؛ **فَمَنْ** لم يعرف قدر نفسه **لم** يعرف قدر غيره. **ثم** نهاه أن يكون **مُسْتَنَدُ** ٱخْتِيَارِهِ لهؤلاء **فِرَاسَتَهُ** فيهم، **وَغَلَبَةَ** ظنه بأحوالهم؛ **فَإِنَّ** التدليس يَتِمُّ وَيَنُمُّ في ذلك كثيرًا، **وما زال** الكُتَّابُ يَتَصَنَّعُونَ للأمراء بحسن الظاهر، **وليس** وراء ذلك كَثِيرُ طائل في النصيحة والمعرفة، **ولكِنْ** ينبغي أن يُرْجَعَ في ذلك **إلى** ما حَكَمَتْ به التجربة لهم، **وما** وُلُّوهُ من قبل: **فإن** كانت وِلَايَتُهُمْ وكتابتهم حَسَنَةً مشكورة **فَهُمْ** هُمْ، **وإلا** فلا؛ **لأنهم** يتعرضون لِفِرَاسَاتِ الولاة بضروب من التصنع.

**ثم** أمره أن يَقْسِمَ فُنُونَ الكتابة وضُرُوبَهَا بينهم: **نحو** أن يكون **أحدهم** للرسائل إلى الأطراف والأعداء، **والآخَرُ** لأجوبةِ عُمَّالِ السواد، **والآخَرُ** بحضرة الأمير في خاصته، وداره، وحاشيته، وثقاته.

**ثم** ذكر له **أَنَّ** الله تعالى سيؤاخذه بما يتغابى عنه، ويتغافل من عيوب كتابه؛ **فإن** الدِّينَ **لا** يُبِيحُ الْإِغْضَاءَ وَالْغَفْلَةَ عن الأعوان والْخَوَلِ، **ويوجب** التطلع عليهم.

## [الكتّاب وما يلزمهم من الآداب]

**واعلم** أن الكاتب الذي يشير أمير المؤمنينﷺ إليه **هو** الذي يسمى الآن في الاصطلاح العرفي رئيس الوزراء؛ **لأنه** صاحبُ تدبير حَضْرَةِ الأمير، **والنائبُ**

عنه في أموره، **وإليه** تصل مكتوبات العمال، **وعنه** تصدر الأجوبة، **وإليه** العرض على الأمير، **وهو** المُسْتَدْرِكُ على العمال، والْمُهَيْمِنُ عليهم، **وهو** على الحقيقة كاتب الكتاب؛ **ولهذا** يسمونه: الْكَاتِبَ الْمُطْلَقَ.

**وكان** يقال: **للكاتب** على الملك ثَلَاثٌ: **رَفْعُ** الحجابِ عنه، **واتِّهَامُ** الوشاة عليه، **وَإِفْشَاءُ** السرِّ إليه.

**وكان** يقال: **صَاحِبُ** السُّلْطَانِ نِصْفُهُ، **وَكَاتِبُهُ** كُلُّهُ. **وينبغي** لصاحب الشرطة **أن** يُطِيلَ الجلوس، **ويُدِيمَ** العُبُوسَ، **ويَسْتَخِفَّ** بالشفاعات.

**وكان** يقال: إذا كان المَلِكُ ضَعِيفًا، وَالْوَزِيرُ شَرِهًا، والقاضي جَائِرًا- **فَرَّقُوا** الْمُلْكَ شُعَاعًا.

**وكان** يقال: **لا** تَخَفْ صَوْلَةَ الأمير **مع** رضى الكاتب، **ولا** تَثِقَنَّ برضى الأمير **مع** سُخْطِ الكاتب.

**وكان** يقال: **إذا** لم يُشْرِفِ الْمَلِكُ على أموره، **صار** أَغَشَّ الناسِ إليه وَزِيرُهُ.

**وكان** يقال: **ليس** الْحَرْبُ الْغَشُومُ **بِأَسْرَعَ** في اجتياح الْمُلْكِ **من** تضييع مراتب الْكُتَّابِ **حتى** يُصِيبَهَا أَهْلُ النَّذَالَةِ، **ويَزْهَدَ** فيها أولو الفضل.

## [ذِكْرُ مَا نَصَحَتْ بِهِ الأَوَائِلُ الْوُزَرَاءَ]

**مَثَلُ** الْمَلِكِ الصالح **إذا** كان وزيره فاسدًا- **مَثَلُ** الماء العذب الصافي **وفيه** التمساح، **لا** يستطيع الإنسان - وإن كان سابحًا، وإلى الماء ظامئا - **دُخُولَهُ**؛ حَذَرًا على نفسه.

**قال** عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القُرَظِيِّ **حين** اسْتُخْلِفَ: **لو** كُنْتَ كَاتِبِي وَرِدْءًا لي على ما دُفِعْتُ إليه؟ **قال:** لا أَفْعَلُ، **وَلَكِنِّي** سَأُرْشِدُكَ: **أَسْرِعِ** الاستماعَ، **وأَبْطِئْ** في التصديق **حتى** يَأْتِيَكَ وَاضِحُ الْبُرْهَانِ، **ولا** تُعْمِلَنَّ سوطك **فيما** تكتفي فيه بلسانك، **ولا** سَيْفَكَ **فيما** تكتفي فيه بسوطك.

**وكان** يقال: الْتِقَاطُ الكاتب لِلرُّشَا وضَبْطُ المُلْكِ لا يجتمعان.

**وقال** أبرويز لكاتبه: **اكْتُمِ** السِّرَّ، **وَاصْدُقِ** الحديث، **وَاجْتَهِدْ** في النصيحة. **وعليك** بالحذر؛ **فإن** لك عَلَيَّ أَلَّا أَعْجَلَ عليك **حتى** أَسْتَأْنِيَ لك، **ولا** أَقْبَلَ فيك قَوْلًا **حتى** أَسْتَيْقِنَ، **ولا** أُطْمِعَ فيك أحدًا فَتُغْتَالَ.

**وَاعْلَمْ** أَنَّكَ بِمَنْجَاةِ رِفْعَةٍ؛ **فَلَا** تَحُطَّنَّهَا، **وفي** ظِلِّ مملكة **فلا** تَسْتَزِيلَنَّهُ: **قَارِبِ** الناسَ مُجَامَلَةً من نفسك، **وبَاعِدْهُمْ** مُسَامَحَةً عن عدوك، **واقْصِدْ** إلى الجميل ازْدِرَاعًا لغدك، **وتنزه** بالعفاف صَوْنًا لمروءتك، **وتَحَسَّنْ** عندي بما قدرت عليه.

**احْذَرْ**: لا تُسَرِّعَنَّ الأَلْسِنَةَ عليك، **ولا** تُقَبِّحَنَّ الأُحْدُوثَةَ عنك، **وصُنْ** نَفْسَكَ صَوْنَ الدُّرَّةِ الصافية، **وَأَخْلِصْهَا** إِخْلَاصَ الْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ، **وَعَاتِبْهَا** مُعَاتَبَةَ الْحَذِرِ الْمُشْفِقِ، **وَحَصِّنْهَا** تَحْصِينَ الْمَدِينَةِ الْمَنِيعَةِ: **لَا** تَدَعَنَّ أن تَرْفَعَ إليَّ الصَّغِيرَ؛ **فَإِنَّهُ** يَدُلُّ عَلَى الْكَبِيرِ، **وَلَا** تَكْتُمَنَّ عَنِّي الكبيرَ؛ **فَإِنَّهُ** لَيْسَ بِشَاغِلٍ عِنِ الصَّغِيرِ.

**هَذِّبْ** أُمُورَكَ ثُمَّ الْقَنِى بها، **وأَحْكِمْ** أَمْرَكَ ثُمَّ رَاجِعْنِي فِيهِ. **وَلَا** تَجْتَرِئَنَّ عَلَيَّ فَأَمْتَعِضَ، **وَلَا** تَنْقَبِضَنَّ مِنِّي فَأَتَّهِمَ، **وَلَا** تُمْرِضَنَّ مَا تَلْقَانِي بِهِ وَلَا تُخْدِجَنَّهُ.

**وَإِذَا** أَفْكَرْتَ **فلا** تَعْجَلْ، **وَإِذَا** كَتَبْتَ **فَلَا** تُعْذِرْ، **وَلَا** تَسْتَعِنْ بالفُضُولِ؛ **فَإِنَّهَا** عَلَاوَةٌ عَلَى الْكِفَايَةِ، **وَلَا** تُقَصِّرَنَّ عَنِ التَّحْقِيقِ؛ **فَإِنَّهَا** هُجْنَةٌ بِالْمَقَالَةِ، **وَلَا** تُلْبِسْ كَلَامًا بِكَلَامٍ، **وَلَا** تُبْعِدَنَّ مَعْنًى عَنْ مَعْنًى.

**وَأَكْرِمْ** لِي كِتَابَكَ عَنْ ثَلَاثٍ: **خُضُوعٍ** يَسْتَخِفُّهُ، **وَانْتِشَارٍ** يُهَجِّنُهُ، **وَمَعَانٍ** تُعَقِّدُ به. **واجْمَعِ** الْكَثِيرَ **مِمَّا** تُرِيدُ **فِي** الْقَلِيلِ **مِمَّا** تَقُولُ، **وَلْتَكُنْ** بَسْطَةُ كَلَامِكَ **عَلَى** كَلَامِ السُّوقَةِ **كَبَسْطَةِ** الْمَلِكِ الَّذِي تُحَدِّثُهُ عَلَى الْمُلُوكِ. **لَا يَكُنْ** مَا نِلْتَهُ عَظِيمًا، **وَمَا** تَتَكَلَّمُ بِهِ صَغِيرًا؛ **فَإِنَّمَا** كَلَامُ الْكَاتِبِ عَلَى مِقْدَارِ الْمَلِكِ؛ **فَاجْعَلْهُ** عَالِيًا كَعُلُوِّهِ، وَفَائِقًا كَتَفَوُّقِهِ؛ **فَإِنَّمَا** جِمَاعُ الْكَلَامِ كُلِّهِ خِصَالٌ أَرْبَعٌ: **سُؤَالُكَ** الشَّيْءَ، **وَسُؤَالُكَ** عَنِ الشَّيْءِ **وَأَمْرُكَ** بِالشَّيْءِ، **وَخَبَرُكَ** عَنِ الشَّيْءِ! **فَهَذِهِ** الْخِصَالُ **دَعَائِمُ** الْمَقَالَاتِ، **إِنِ**

الْتُمِسَ إِلَيْهَا خَامِسٌ **لَمْ** يُوجَدْ، **وَإِنْ** نَقَصَ مِنْهَا وَاحِدٌ **لَمْ** يَتِمَّ.

**فَإِذَا** أَمَرْتَ فَأَحْكِمْ، **وَإِذَا** سَأَلْتَ فَأَوْضِحْ، **وَإِذَا** طَلَبْتَ فَأَسْمِحْ، **وَإِذَا** أَخْبَرْتَ فَحَقِّقْ؛ **فَإِنَّكَ** إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ **أَخَذْتَ** بِجَرَاثِيمِ الْقَوْلِ كُلِّهِ؛ **فَلَمْ** يَشْتَبِهْ عَلَيْكَ وَارِدَةٌ، **وَلَمْ** تُعْجِزْكَ صَادِرَةٌ.

**أَثْبِتْ** فِي دَوَاوِينِكَ **مَا** أَخَذْتَ، **وَأَحْصِ** فِيهَا **مَا** أَخْرَجْتَ، **وَتَيَقَّظْ** لِمَا تُعْطِي، **وَتَجَرَّدْ** لِمَا تَأْخُذُ، **وَلَا** يَغْلِبَنَّكَ النِّسْيَانُ **عَنِ** الْإِحْصَاءِ، **وَلَا** الْأَنَاةُ **عَنِ** التَّقَدُّمِ، **وَلَا** تُخْرِجَنَّ وَزْنَ قِيرَاطٍ **فِي** غَيْرِ حَقٍّ، **وَلَا** تُعَظِّمَنَّ إِخْرَاجَ الْأُلُوفِ الْكَثِيرَةِ فِي الْحَقِّ، **وَلْيَكُنْ** ذَلِكَ كُلُّهُ عَنْ مُؤَامَرَتِي.

**أقول:** ينبغي **لكل** شريف النفس، **كريم** الطبع، بعيد الهمة **أن** يستظهر كلام أمير المؤمنين، **ويديم** قراءته، **ثم** لا تتسرب من بين يديه **حِكَمُ** الْحُكَمَاءِ، **وتجارب** الكملاء؛ **فإنها** تجارب دهور ، **وخلاصة** أزمان، **وعصارة** تفكير عباقرة كبار.

## [علاقة الحاكم بالتجار]

**ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ، وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا: الْمُقِيمِ مِنْهُمْ، وَالْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ، وَالْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ؛ فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ، وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ وَجُلَّابُهَا: مِنَ الْمَبَاعِدِ، وَالْمَطَارِحِ: فِي بَرِّكَ، وَبَحْرِكَ، وَسَهْلِكَ، وَجَبَلِكَ، وَحَيْثُ لَا يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا وَلَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْهَا؛ فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لَا تُخَافُ بَائِقَتُهُ، وَصُلْحٌ لَا تُخْشَى غَائِلَتُهُ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ، وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ.**

**تَحَوَّلَ** الملوك، والرؤساء، وقادة الجيوش، والوزراء، ورؤساء الجمارك، والضرائب، ومشائخ القبائل ونحوهم من أصحاب السطوة والنفوذ - **إلى** تجار، ومقاولين، ومستوردين، **ولا** يَسْتَحْيُونَ مِنْ فِعْلِ شيء، **ولو** وجدوا أرباحًا في بيع البيض المسلوق في الشوارع **لَمَا** ترددوا؛ **فقد** استحوذوا على كل شيء؛ **فأصبح**

الناس تحت سيطرتهم، **وأسرى** جَشَعِهِمْ وَوَحْشِيَّتِهِمْ.

**وتحولت** البلاد إلى مَتْجَرٍ كبير لهؤلاء الجشعين؛ **وغدا** كل شيء فَاسِدًا مُلَوَّثًا: **يعبثون** بالشجر والحجر، والبحر والبر ، **ولا** يَعْبَئُونَ بأرواح البشر؛ **فقد** يُدْخِلُونَ السموم والمبيدات المحرمة، والأغذية الفاسدة، والأدوية المنتهية، والسلع التجارية ذات المستوى المُتَدَنِّي الذي لا يقبل به حتى رؤساء العصابات في أدغال أفريقيا، وأقاصي أَلَاسْكَا.

**إذ** يطلبون من المصانع في الصين ونحوها **أن** يصنعوا أدوات الكهرباء وأجهزة الكمبيوتر ونحوها من تلفونات وشرائح وما يتبعها بمواصفات قليلة الجودة، رخيصة القيمة؛ **حتى** يعترض صاحب الصين، ويؤنبه ضميره **ويقول** لتاجر اليمن مَثَلًا: هذا لا يصلح، هذا حرام!! **ولا** يُوجَدُ حَسِيبٌ، **ولا** رَقِيبٌ، **ولا** رَابِطٌ، **ولا** ضَابِطٌ؛ **لأن** الموظفين عندما يَدْخُلُونَ في عالم التجارة **وهم** المسؤولون عن نظام البلد، **وهم** الرُّقَبَاءُ على التجار والأسعار؛ **فَسَيَتَهِكُونَ** كل مُحَرَّمٍ، **وَيَمْتَهِنُونَ** كل مقدس، **وقد** ذَهَبَتْ بفعلهم الشنيع الْمُنْكَرِ الْمُحَرَّمِ شرعًا وقانونًا وذوقًا وأخلاقًا - **نُفُوسٌ** كثيرةٌ، **وأُصِيبَ** كَثِيرٌ من السكان بالأمراض الخطيرة، **وتضرر** الناس في أرزاقهم، **وتضايقت** مَعِيشَتُهُمْ.

**وقد** اختفت الطبقة الوسطى من التجار، **وتَغَلَّبَ** هؤلاء المتوحشون على كل شيء: **فَهُمُ** التُّجَّارُ، **وَهُمُ** الوكلاء، **وهم** المقاولون، **وهم** الجمارك، والضرائب، **وهم** الجيش، **وهم** الشرطة، **وهم** القضاء، **وهم** النيابة، **وهم** الرقابة! **فَأَيُّ** حياة أَبْشَعُ وَأَفْظَعُ من هذا الْجُرْمِ؟!

**وإذا** حاول مستثمر أو تاجر **أن** يزاحمهم؛ **فإنه** سرعان ما يتحطم على صخور قاسية، ويتلاشى بين أمواج عاتية **من** الفاسدين المفسدين، **ولا** يُمْكِنُ أَنْ يَرَى له بَعْضَ أمل **إلا** إذا دخل تحت حماية فرعون من هؤلاء الفراعنة، **وَاسْتَذَلَّ** لطاغية من

هؤلاء الطغاة؛ **فهذه** هي مشكلة التجارة؛ **فلن** تصلح الحال **إلا** إذا وُضِعَ عِقَابٌ صَارِمٌ حَاسِمٌ: بِشَنْقٍ وَصَلْبٍ أي موظف تاجر، **أو** مُقَاوِلٍ من رئيس فما دونه[1].

**فإلى** من يا تُرَى يُوصِي أمير المؤمنين سلام الله عليه؟ **برعاية** التجار والتَّرَفُّقِ بِهِمْ، **وأَخْذِ** الْحَقِّ لهم وعليهم؟! **إذا** كان الآمِرُ هو التاجر، والحامي هو الحرامي! **لا** تَهُمُّهُ **إلا** مصالحه، **ولذة** بطنه وفرجه، **ورفاهية** أسرته وحاشيته.

**لِمَنْ يُوَجَّهُ** كلام الإمام **إن** كان مالك الأشتر -صانه الله- **هو** التاجر، **وهو** الوَصِيُّ على التجار؟! **سيكون** الحال **كمن** يوصي **الذئب** بالخراف، **والصَّقْرَ** بالحمام، **والأَسَدَ** بالظِّبَاءِ والغزلان، **وَالثَّعْلَبَ** بالدجاج.

**وقد قَسَّمَ** الإمام عليٍ عليه السلام المُوصَى بهم من التجار ثَلَاثَةَ أقسامٍ: **الأول:** المقيم، **والثاني:** المسافر وهو الذي يضرب في الأرض، **والثالث:** هم أصحاب الصناعات الذين يَتَرَفَّقُونَ بأبدانهم. **ويُرْوَى:** بأيديهم.

**وعَلَّلَ** وصيته بهم بِذِكْرِ مَزَايَا ما يقومون به : 1- **فمنها** أنهم يمدون المجتمع **بما** يأتون به من البلدان، **وما** يَجْلِبُونَهُ من أقاصي الأرض وأطرافها؛ **لا** يستطيع غيرهم من الناس أن يذهب إليها: **جَهْلًا** منهم لمكانها، **أو** خَوْفًا ووحشة من سبيلها؛ **بينما** التجار يبحثون عن البضائع وينقلونها، **ويتحملون** في سبيل ذلك ما لا يتحمله أفراد الناس؛ **طلبًا** منهم للفوائد والأرباح.

2- **ومنها** أنهم على عكس أصحاب الخراج، وقادة الجند؛ **فالتجار** مَيَّالُونَ إلى السِّلْمِ، وكَفِّ الشرور من جهتهم **ما** سَلِمَتْ لهم تِجَارَتُهُمْ، **ودَرَّتْ** عليهم الأرباح.

3- **ومنها** أن التجارة توفر للناس **كثيرًا** مما يحتاجونه من المواد الخام، **والصناعات** التي لا تصنع في بلدانهم، **والأدوات** والمعدات التي تساعدهم في ممارسة مهنهم، وإنجاز أعمالهم.

**وَاعْلَمْ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقًا فَاحِشًا، وَشُحًّا قَبِيحًا، وَاحْتِكَارًا**

(1) اسْتَخْدَمْتُ: **فَمَا** دُونَهُ؛ **وَمَا** لغير العقلاء، **وَمَنْ** للعقلاء **لغرض** بلاغي مفهوم.

**لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّمًا فِي الْبِيَاعَاتِ؛ وَذَلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ، وَعَيْبٌ عَلَى الْوُلَاةِ؛ فَامْنَعْ مِنَ الِاحْتِكَارِ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَنَعَ مِنْهُ[1]، وَلْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعًا سَمْحًا بِمَوَازِينِ عَدْلٍ، وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ: مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ؛ فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكِّلْ بِهِ، وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ.**

**يشير** ﷺ إلى وضع نظام المراقبة المالية، ومحاربة الجشع، **وأن** إطلاق الحرية الواسعة للتجار **يشجعهم** على **انتهاك** حقوق الناس، **والتلاعب** بأقواتهم؛ **لأن** النفس أمارة بالسوء **إلا** من رحم الله؛ **وغَرِيزَةُ** النَّفْعِ الشَّخْصِيِّ - **إن** لم يكن معها تقوى تردعها عن الإفراط - **ستجعل** التجار يسيطرون على الأسواق، **ويحتكرون** المنافع لهم دون غيرهم، **وهذا** ما سيجلب النقمة على الولاة.

**وقد** لَعَنَ النبي ﷺ المحتكرين، وتَوَعَّدَهُمْ بالعقاب الدنيوي والأخروي؛ **فقال** ﷺ: «**مَنِ** احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ يَوْمًا؛ **فَقَدْ** بَرِئَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، **وَبَرِئَ** اللهُ مِنْهُ»[2]. **وأحرق** علي ﷺ طَعَامًا لرجل كان احتكره[3].

**والرأسماليون** يحتكرون السلع بمختلف أنواعها: **سواء** كانت غذائية، **أم** مخترعات أخرى؛ **فنلحظ** أن المبتكرات **تنزل** في العالم المتقدم إلى الأسواق، **وتأتي** إلى العالم المتخلف متأخرة، **أو** ربما يحتكر المخترعون مخترعاتهم على أهل بلادهم، **ونسمع** بأن الدول المصدرة للقمح ترمي فائضه في البحر! **لئلا** يَرْخُصَ ثَمَنُهُ! **وهذا** هو شأن جشع الرأسمالية، **ولا** سيما في غُرْبَةِ الإسلام، **وضعف** المسلمين، **وعدم** وجود البديل الذي يملأ الفراغ، **ويقدم** للناس الحلول، قولًا لا فعلًا؛ **فلا** ينفعنا الطنطنة بقولنا: **الإسلام** هو الحل، **وما** شابه ذلك! **ونحن** عاجزون لم نقدم شيئًا: **لا** صناعة، **ولا** اختراعات، **ولا** طب، **ولا** زراعة، **ولا** احترام حقوق

(1) أصول الأحكام 2/ 27 رقم 1752، وشفاء الأوام 2/ 422، وابن أبي شيبة 4/ 303 رقم 20387، والمستدرك 2/ 11.
(2) أصول الأحكام 2/ 27 رقم 1751، ومسند أحمد 2/ 270 رقم 4880، والمستدرك 2/ 12.
(3) أصول الأحكام 2/ 28 رقم 1754، وشفاء الأوام 2/ 224، وابن أبي شيبة 4/ 301 رقم 20392.

الناس، **ولا** عدل، **بل** يعيش المسلم في بؤس، وغربة!.

**والخلاصة**: فإنه من الواجب أن يُحْفَظَ حَقُّ التاجر وحَقُّ المستهلك.

**لقد** قصد الإمام من وراء ذلك **إلى** تحطيم كل الوسائل **التي** تؤدي إلى **تكديس** الأموال، **وتضخيم** الثروات **التي** لا تلبث أن تنحصر في فئة خاصة، **وتصبح** دُولَةً بين الأغنياء دون غيرهم من فئات المجتمع، **ولقد** كَرِهَ للمجتمع الصالح تَضْخِيمَ الأموال التي لا تقوم على جهد، **ولا** تنشأ عن كفاءة، **وتؤدي** في الغاية البعيدة **إلى** خلق **طَبَقَةٍ** المترفين الكسالى **الذين** يعيشون على حساب الجماعة الفقيرة، **وَطَبَقَةٍ** أخرى مُعْوِزَةٌ مُعْسِرَةٌ تعمل وتشقى، **ولا** أمل لها في غذاء **ولا** كساء، **ثم** يؤدي إلى انهيار لا بد منه في خُلُقِ الفرد وخُلُقِ الجماعة.

**يقول** الإمام في ذكر المكاييل والموازين في موضع آخر من نهج البلاغة [ص328 رقم127 ]: عِبَادَ اللَّهِ إِنَّكُمْ وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا أَثْوِيَاءُ مُؤَجَّلُونَ، وَمَدِينُونَ مُقْتَضَوْنَ: **أَجَلٌ** مَنْقُوصٌ، **وَعَمَلٌ** مَحْفُوظٌ؛ **فَرُبَّ** دَائِبٍ مُضَيَّعٌ، **وَرُبَّ** كَادِحٍ خَاسِرٌ، **وَقَدْ** أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنٍ لَا يَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ **إِلَّا** إِدْبَارًا، **وَلَا** الشَّرُّ فِيهِ **إِلَّا** إِقْبَالًا، **وَلَا** الشَّيْطَانُ فِي هَلَاكِ النَّاسِ **إِلَّا** طَمَعًا؛ **فَهَذَا** أَوَانٌ **قَوِيَتْ** عُدَّتُهُ، **وَعَمَّتْ** مَكِيدَتُهُ، **وَأَمْكَنَتْ** فَرِيسَتُهُ!

**اضْرِبْ** بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ: **فَهَلْ** تُبْصِرُ **إِلَّا** فَقِيرًا يُكَابِدُ فَقْرًا، **أَوْ** غَنِيًّا بَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا، **أَوْ** بَخِيلًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ وَفْرًا، **أَوْ** مُتَمَرِّدًا كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْرًا، **أَيْنَ** أَخْيَارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ؟ **وَأَيْنَ** أَحْرَارُكُمْ وَسُمَحَاؤُكُمْ؟ **وَأَيْنَ** الْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ، وَالْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ؟.

**نعود** إلى كلامنا في العهد؛ **فالتجارة** في عهد الإمام عليه السلام **ربما** كانت في الأغلب تِجَارَةً داخلية: **أي** داخل الدولة المسلمة؛ **فالتجار** فيها كانوا يقومون بشراء المنتجات وبيعها داخل الدولة الإسلامية بوسائل بسيطة: **إما** بفتح دكاكين،

**أو** يسافرون بها إلى الأسواق على ظهور الدواب. **ولا يبعد** أن يكون هناك طرق تجارية نحو السند، والهند، والقرن الإفريقي ونحو ذلك.

**أما** تِجَارَةُ اليوم **فقد** أصبحت تحت رحمة الاستعمار الاقتصادي **إن** صح التعبير؛ **لأن** الدول المصنعة **تغرق** الأسواق بمنتجاتها، **وتضرب** الْمُنْتَجَ الْمَحَلِّيَّ إن وجد، **ولا** سيما عندما يكون المُسْتَوْرَدُ أَجْوَدَ وَأَرْخَصَ، **وعندما** لا توجد نية، وعزيمة، وتصميم على تطوير وتحسين الصناعة المحلية وحمايتها وتشجيعها.

**وهناك** اليوم ما يشبه الكارثة: **من** تهريب السلع، **وانعدام** الرقابة؛ **فالحدود** البحرية والبرية والجوية **مفتوحة**؛ بسبب الفساد، واستفحال الرشوة، **وكون** المهربين **هم** الأمراء، **وإما** بسبب الضعف والعجز؛ **فَيَدْخُلُ** إلى البلاد كُلُّ ضَارٍّ فَاسِدٍ، **ولو** لم يكن إلا المبيدات الزراعية **لكفى** بها تَدْمِيرًا للإنسان والنبات والأرض.

**ولأن** التجار في عهد الإمام علي عليه السلام **كان** أكثرهم من الهادفين إلى سد الحاجة، **والبحث** عن لقمة عَيْشٍ تَسُدُّ الرمق، **وكانوا** في الغالب يعرفون الدِّينَ، والخير والشر، والعدل والظلم.

**وربما** كانت هناك بعض الصناعات البسيطة: كالغزل اليدوي.

**ولم يكن** للشركات الاحتكارية، وعابرات القارات أي وجود، **ولم تكن** هذه المنكرات قد ظهرت؛ **فلم** يكن الإمام علي عليه السلام بحاجة للتنبيه عليها، **والإيصاء** بمراقبة البضائع المستوردة، **وضبط** التجار **الْمُخِلِّينَ** بالمواصفات، **الهادفين** إلى ضرب اقتصاد البلد المسلم، **ولم يكن** بحاجة **إلى** أن يَأْمُرَ وُلَاتِهِ **بدعم** السلع الْمُنْتَجَةِ مَحَلِّيًّا، **وعدم** السماح بالمنافس الأجنبي على حساب اقتصاد البلد؛ **فاكتفى** بما يلي:

1 - **مُرَاقَبَةُ** التجار أصحاب الشح القبيح **الذين** يمارسون الاحتكار، وَضَبْطُهُمْ، وَمُعَاقَبَتُهُمْ.

2 - **ضبط** الأسعار **بما** لا يجحف بالبائع والمشتري.

3 - **أن** يكون البيع والشراء سَمْحًا **حَسَبَ** موازين العدالة **من** غير تطفيف **ولا** خسران.

**تنبيه:** نحن اليوم أمام تيار العولمة، وتحرير التجارة من القيود والشروط والعوائق؛ **وذلك** يعني سيطرة الدول المتقدمة اقْتِصَادِيًّا وَصِنَاعِيًّا وَتُكْنُولُوجِيًّا؛ **فنحن** حقيقة أمام فَكٍّ مُفْتَرِسٍ: شِئْنَا أَمْ أَبَيْنَا؛ **فالعالم** أصبح كالقرية؛ **ولذلك** لا يُمْكِنُ أَنْ تَظَلَّ الدول المتخلفة خارج النظام العالمي **إلى** ما لا نهاية.

**فلا بد** من الصراع من أجل البقاء، والعمل الجاد؛ **لنلحق** بالقافلة البشرية، **كفانا** ما نحن فيه **من** ضياع، **ومن** تفكير لا يتعدى العنفقة؛ **فلنبدأ** بتحرير الإنسان **ليستعيد** كرامته وآدميته، **ونُطْلِقُ** للمبدعين المجال؛ **فالاستبداد**، والتسلط، والتحكم، والادعاء الفارغ بالتفوق أو امتلاك الحقيقة، **أو** أن فلانًا فوق النقد، **أو** أنه مقدس؛ **كل** هذا لا يؤدي **إلا** إلى الهلاك والضياع.

**هذا** نهر النيل يمر بأراض شاسعة واسعة من أطراف السودان **إلى** قناة السويس **معظمها** خصبة، **بل** هي أخصب تربة على وجه الأرض، **لكنها** معطلة مهملة؛ **لأن** الملايين من سكان وادي النيل في مصر والسودان، **وكذا** مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ **لا** يفكرون في شيء، **وكان** بإمكان مليارات النفط الخليجي وغيره **أن** تحول البلاد العربية **إلى** جنة الأرض: زراعة، وصناعة، وإبداعًا؛ **فنسأل** الله أن يحقق لنا ذلك.

## [وصية الإمام علي عليه السلام بالطبقة السفلى]

**ثُمَّ اللَّهَ اللَّهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ: مِنَ الْمَسَاكِينِ، وَالْمُحْتَاجِينَ، وَأَهْلِ الْبُؤْسَى، وَالزَّمْنَى؛ فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعًا وَمُعْتَرًّا، وَاحْفَظْ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْمًا مِنْ بَيْتِ مَالِكِ، وَقِسْمًا مِنْ غَلَّاتِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ؛ فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَدْنَى، وَكُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ، وَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ؛ فَإِنَّكَ لَا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ التَّافِهَ لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرَ الْمُهِمَّ؛ فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ، وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ، وَتَفَقَّدْ**

**أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ: مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ، وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ؛ فَفَرِّغْ لِأُولَئِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ؛ فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذَارِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الْإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَى اللَّهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ، وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُتْمِ، وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ: مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ، وَلَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذَلِكَ عَلَى الْوُلَاةِ ثَقِيلٌ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللَّهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللَّهِ لَهُمْ.**

**الأصل** في تنمية البشر **ليس** الصدقة العمياء **التي** تصنع الفقر، **وتُكْثِرُ** مِنَ الْمُتَسَوِّلِينَ، **ولكن** ما فعله النبيﷺ **حين** جاءه شاب يستجديه، **فلما** نظر إلى شبابه وقدرته على العمل **قال له:** «أَمَعَكَ فِي الْبَيْتِ شَيْءٌ»؟ **قال:** لا إِلَّا قَعْبٌ وَحِلْسٌ: **قعب** يشرب منه، **وجلد** كبش يجلس عليه! **قال:** «فَأْتِنِي بِهِمَا»؛ **فَلَمَّا** أحضرهما **قال** النبيﷺ: «مَنْ يَشْتَرِيهِمَا»؟ **فقال** رجل: أنا، بدرهم، **قال**ﷺ: «مَنْ يَزِيدُ»؟ **قال** آخر: أنا، بدرهمين؛ **فناوله** وأخذ الدرهمين، **وقال** للشاب: «انْبِذْ دِرْهَمًا إِلَى أَهْلِكَ، وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدُومًا وَأْتِنِي بِهَا»؛ **فَشَدَّ** له النبيﷺ عُودًا **وقال:** «اذْهَبْ وَاحْتَطِبْ وَبِعْ، **وَلَا** أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا».

**فذهب** يعمل بنشاط عارم؛ **فجاء** بعد نصف شهر **وقد** ملأ الله يديه من الرزق، شاكرًا لله ولرسوله الذي علمه طريق العمل الشريف؛ **فقال**ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَدْ أَثَّرَتِ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً سَوْدَاءَ فِي وَجْهِكَ»[1].

**نعم** هذه هي التنمية البشرية؛ **فيجب** أن نُعْطِيَ أموال الزكاة للفقراء - **ولدينا** هدف **وهو** أن نساعدهم على الخروج من الفقر: **بِحَفْزِ** هِمَمِهِمْ، **وتَطْوِيرِ** قدراتهم؛ **فإن** الإنسان قد وهبه الله مخزونًا هَائِلًا من القدرة على الإبداع، **وذلك** المخزون

(1) أبو داود 2/ 120 رقم1641، وابن ماجة 2/ 740 رقم2198، وشرح معاني الآثار 3/ 6.

الذي لا ينضب هو دماغه؛ **فمتى** وُجِدَتِ القيادة الرشيدة **التي** تستلهم نصح الإمام علي ونهجه **الذي** هو عصارة علمه الغزير بكتاب الله وسنة رسوله، **وملازمته** الطويلة لنعمة الله الكبرى، **ورحمته** العظمى محمدﷺ، **وعصارة** تجربة مريرة **أُجْبِرَ** فيها على الصمت مدة 25 سنة خلال عهد الخلفاء الثلاثة **وهو** يراقب، ويتأمل، ويرصد ويحلل، وينتقد مكامن الخطأ السياسي والإداري والمالي.

**أقول:** متى وجدت القيادة من طراز الإمام علي؛ **فإن** الناس سيكونون في أحسن حال، وأسعد بال؛ **لأن** القائد الطاهر التقي لا يَقِرُّ له قرار، **ولا** يهدأ له بال **حتى** يطمئن على صغير الأمور وكبيرها، وجليلها **كما قيل:**

**رأى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا فَكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتِ**

**لا** يفعل ذلك تَفَضُّلًا، **ولا** امْتِنَانًا، **بل** يراه وَاجِبًا شَرْعِيًّا، وأخلاقيًّا، وإِنْسَانِيًّا؛ **فلا** يجوز التفريط بشيء من ذلك، **وإلا** فقد خان الدين، والأمة، والوطن، والشرف، والأمانة، والمسؤولية. **وقد ركزت** وصية الإمامؑ في هذه الفقرة على نقاط هامة لا يجوز إغفالها:

1) **كل** المحتاجين من أبناء المجتمع المسلم **متساوون** في استحقاقهم من مال الله: **لا** فرق بين أسود **ولا** أبيض، **ولا** قريب **ولا** بعيد.

2) **نَبَّهَ** الإمام وَالِيَهُ **أَلَّا** ينشغل عن طبقة المحتاجين الضعفاء من الطبقة السفلى في المجتمع **بأي** شاغل: **من** بطر، **أو** اغترار بمال، **أو** جاه. **ولا تشغله** الأمور الكبيرة التي يُنْجِزُهَا وَيُحْكِمُهَا عن مثل هذه الأشياء الصغيرة؛ **فإنها** ليست صغيرة؛ **ففيها** إنقاذ نفوس، **وجبر** خواطر؛ **فلا** عذر لأحد بتضييع رعيته، **ولا** سيما أهل هذه الطبقة الذين أوصى بهم الإمامؑ، **وهم** الذين لا حيلة لهم: **ممن** تَسْحَقُهُمُ المسكنة، **ويَطْحَنُهُمُ** الفقر، **وتَسْتَذِلُّهُمُ** الحاجة، **وَتَغْبَرُّ** وجوههم من البؤس.

**ومَنْ** أقعده المرض، **أو** كان ذا عاهة؛ **فيجب** أن يبحث عنهم الوالي، **وأن**

تفتش عنهم الدولة؛ **وتضع** لهم ضمانًا اجتماعيًا يوفر حقوقهم، **ويصون** حرمتهم، ويحترم آدميتهم.

3) **الاهتمام** بالذين لا يَصِلُونَ إلى الحاكم لِعَرْضِ حاجاتهم، **ولا** يتمكنون من ذلك: كاليتامى، والْعَجَزَةِ، **ومَنْ** لَا يَنْصِبُ نفسه للمسألة؛ **فلو** تكاثرت المشاغل على الحاكم، **ولم** تُتَحْ له فُرْصَةُ الاطلاع على أحوال الضعفاء - **فيجب** أن يُفَرِّغَ أعوانا ثِقَاتٍ، أَهْلَ خشيةٍ، وتواضع، وصبر، وإنسانية، وشفقة، وضمائر حية نقية، ومعرفة بالحقوق؛ **للبحث** عن أحوال هؤلاء، والإصغاء لمطالبهم؛ ويرفعونها إليه؛ **ليعمل** فيها بما يستحقونه.

**ونحن** اليوم في زمن المؤسسات، والنظام الذي لا يعتمد على الفرد، **ما** عدا الرقابة المتتابعة دون كلل أو ملل؛ **لسد** أي نقص **أو** خلل، **أو** تقصير في الواجب.

4) **بَيَّنَ** الإمام أَنَّ تَعَهُّدَ أحوال الناس **وَاجِبٌ** على الوالي: **سَوَاءٌ** سُئِلَ **أم** لم يُسْأَلْ، **وهو** واجب ثقيل؛ **لكنه** حَقٌّ، **وقد** يخففه الله على أقوامٍ طلبوا العاقبة وَصَبَّرُوا أنفسهم، ووثقوا بموعود الله لهم.

**ومن** علامات توفيق الولاة للاطلاع على حاجات الناس وأداء حقوقهم **هو** الشعور بالمسؤولية باستمرار، **والتَّحَمُّلُ** لواجباتهم على الدوام، **وثقتهم** بلقاء الله؛ ﴿**وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ**﴾[العنكبوت:69].

**إِنَّ من العجب** أَنْ يُنْظَرَ للضعيف في الغالب باشمئزاز في بلاد المسلمين! **وتسمع** في غير بلاد المسلمين بالصليب الأحمر، **وأطباء** بلا حدود، **ومنظمات** الحقوق، وتُخَصَّصُ خدمات جليلة للمعوقين: **من** أعمى، **أو** مشلول، **أو** نحوهم؛ **فلهم** مقاعدهم في وسائل المواصلات، **ولهم** طُرُقٌ خاصة، وتسهيلات تفوق الوصف، **وعناية** أغرب من الخيال.

**نَعَمْ** هناك تفكك في الأسر، **واستعاضة** بصداقة الكلاب؛ **لكني** ألتقط المزايا

الجميلة؛ **فالحكمة** ضالة المؤمن **أينما** وجدها **فهو** أحق بها؛ **وقد شاهدت** وأنا بالطائرة **كيف** لم يَنْسَ مُصَمِّمُوهَا **وَضْعَ** أحواض معلقة في جدار الطائرة **لينام** الطفل المسافر مع أمه في راحة ودفء أمام ناظريها، **وشَاهَدْتُ** العربات المخصصة للمشلولين في نفس الطائرة!

**ولم** يتيسر لي زيارة اليابان؛ **لأرى** بعيني ما أبدعوا من وسائل راحة للإنسان، **ناهيك** عن المحتاجين للمساعدة؛ **وقد أخبرني** أحد الأصحاب المهاجرين في إحدى الدول الغربية الكبرى **بأنه** فوجئ فور ولادة امرأته بمبادرة الجهات المختصة بجميع حاجات الأم وطفلها، **حتى** قال: لقد وَفَّرُوا لنا من الحليب **ما** يكفي للشرب والغسل!! **فبالله** عليكم **مَنْ** أحق بهذا الإحساس الجميل **نحن** أو هم؟! **والله** لقد ضيعنا الإسلام، **وضيعنا** سلوك النبي الذي كان يُفَرِّغُ من وقته الشريف لاستقبال المواليد بالمدينة المنورة، **وربما** مَضَغَ لهم شيئًا من التمر، **ويؤذن** في أذن الطفل اليمنى، **ويقيم** الصلاة في اليسرى، **ويختار** لهم الأسماء الجميلة، **ويُضْفِي** على أسرة الطفل من الحنان والأنس والمداعبة **ما** لا يوصف، **ولا** يقدر عليه **إلا** خاتم الرسلﷺ الذي أرسله الله سِرَاجًا للعالمين، ورحمة للبشر!.

**وقد** بال عليه مولود فانزعجت أمه، **لكن** النبيﷺ **لم** يتغير له وجه، **بل** قابل ذلك بالبِشْرِ، وتعليم الأم كيف يُغْسَلُ الْبَوْلُ[1]؟! **فصلوات** الله عليه وعلى آله وسلامه **يوم** ولد، **ويوم** بُعِثَ نَبِيًّا، **ويوم** مات، **ويوم** يبعث حيًّا.

**فيا ترى** لماذا ضيعنا هديه وعَمِلَ به غيرنا؟! **إني أتلقى** أسئلة حول طلاقٍ وَاقِعٍ ساعة الولادة! **وأتلقى** أسئلة متعلقة بطرد الأم النفساء من بيت زوجها! **وأَخْذِ** ولدها منها **دون** رحمة، **ولا** إنسانية، **ولا** ضمير، **ولا** اعتبار لدمعها الذارف! **لا** يُغِيثُهَا أَحَدٌ: **لا** أُسْرَةٌ، **وَلَا** جِيرَانٌ، **وَلَا** شُرْطَةٌ، **وَلَا** مَحْكَمَةٌ، **وَلَا** قَبِيلَةٌ، **وَلَا** دِينٌ،

(1) مسند أحمد 1/ 647 رقم 2750، والطبراني في الكبير 25/ 18 رقم 16.

**وَلَا** قَرِيبٌ **ولا** بَعِيدٌ **ولا** أَحَدَ يَقِفُ بجوار المظلوم الضعيف، **إِلَّا** نَوَادِرُ الْأَخْيَارِ، **وقليل** ما هم!! **بل** يعيش المجتمع وَحْشِيَّةً، وَقَسْوَةً! **أسأل** الله أن يُقَيِّضَ للأمة **مَنْ** يَبْذُلُ نفسه، وراحته لحمايتها وراحتها؛ **ابتغاء** مرضات الله، **وَطَلَبًا** لجنته.

**وها** هو الإمام عليه السلام **يُتْبِعُ** توصياته **بما** يُعَزِّزُهَا وَيَزِيدُهَا تَوْكِيدًا؛ **فقال:**

**وَاجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْمًا: تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِسًا عَامًّا؛ فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ: مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ؛ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَعْتِعٍ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: «لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعْتِعٍ»[1]. ثُمَّ احْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ، وَنَحِّ عَنْهُمُ الضِّيقَ وَالْأَنَفَ- يَبْسُطِ اللَّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبْ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ. وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئًا، وَامْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ. ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا: مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْيَا عَنْهُ كُتَّابُكَ، وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ، وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ؛ فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ.**

**هذا الفصل** من تتمة ما قَبْلَهُ. **وقد** روي: "حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُكَلِّمُهُمْ"، **وهو** فَاعِلٌ مِنْ "كَلَّمَ" **والرواية** الأولى أحسن. **وغَيْرُ مُتَعْتِعٍ**: غير مُزْعَجٍ **ولا** مُقْلَقٍ.

**والتعتعة** في الكلام: هي التردد: **من** حَصَرٍ، **أو** عِيٍّ، **أو** فَشَلٍ، **أو** دَهْشَةٍ.

**يُرْوَى**: مُتَعْتِعٍ اسم فاعل: **أي** ذا تَعْتَعَةٍ، **وَمُتَعْتَعٍ:** اسم مفعول إذا تَعْتَعَهُ غَيْرُهُ.

قال الإمام عليه السلام: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في غير موطن: «لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ»: **التقديس:** التطهير؛ **وأراد** لَنْ تُطَهَّرَ أمة عن الدنس والعيب، **يُضَامُ** فيها الضعيف؛ **فلا** يُؤْخَذُ له حقه من القوي.

---

(1) ينظر نحوه في مسند الإمام زيد ص276 رقم 670، والطبراني في الكبير 19/ 387 رقم 908، وحلية الأولياء6/ 138 رقم 8091، وشعب الإيمان 6/ 81 رقم 75449، وابن ماجة 2/ 810 رقم 2426، وأبي يعلى 4/ 344 رقم 1091، وابن أبي شيبة 4/ 458 رقم 22105.

**ونَحِّ عنهم الضِّيقَ:** أي أَبْعِدْهُ نَاحِيَةً. **والْأَنَفُ**: الضَّجَرُ وَالْكِبْرُ وَالتَّأَفُّفُ منهم.

**والْمُتَعْتِعُ في الخبر النبوي**: الْمُتَرَدِّدُ، الْمُضْطَرِبُ كَلَامُهُ عِيًّا **من** خوف لحقه، **وهو** راجع إلى المعنى الأول. **والْخُرْقُ**: الجهل. **والْعِيُّ**: الذي لا يُفْصِحُ. **وروي:** "وَالْغَيُّ": **وهو** الجهل؛ **والرواية** الأولى أحسن.

**ثم بَيَّنَ** لهﷺ **أنه** لا بد له من هذا المجلس **لأمر** آخر غَيْرِ ما قَدَّمَهُ: **وهو** أنه لابد **من** أن يكون في حاجات الناس **ما** تضيق به صدور أعوانه، والنُّوَّابُ عنه؛ **فيتعين** عليه **أَنْ** يباشرها بنفسه، **ولا بد** من أن يكون في كُتُبِ عُمَّالِهِ الواردة عليه ما يَعْيَى كُتَّابُهُ عن جوابه؛ **فيجيب** عنه بعلمه.

**ويدخل** في ذلك **أن** يكون فيها **ما** لا يجوز في حكم السياسة، ومصلحة الولاية **أَنْ** يُطْلِعَ الْكُتَّابَ عليه؛ **فيجيب** أَيْضًا عن ذلك بعلمه.

**ثم قال له**: لا تُدْخِلْ عَمَلَ يوم في عمل يوم آخر؛ **فَيُتْعِبَكَ** وَيُكَدِّرَكَ وَيُكَدِّرَ أَعْوَانَكَ؛ **فإنَّ** لكل يوم **ما** فيه من العمل.

**أين** هذا مما هو حادث في دنيانا اليوم: **من** تراكم القضايا لسنوات؟ **ويموت** صاحب الحاجة وحاجته في حلقه، **ويلقى** الله وغُصَّتُهُ في قلبه، **ولم** يَرْمِشْ للمسؤولين **عن** أحوال الناس جَفْنٌ، **ولم** يتكدر **لهم** خاطر، **ولم** يَصْحُ ضمير، **ولا** يَحْضُرُنِي كلام أُعَبِّرُ به عن الواقع المفجع؛ **فإنا** لله وإنا إليه راجعون، **ولا** حول ولا قوة إلا بالله، **ولَكِنَّ** مع العُسْرِ يُسْرًا:

**عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ اللهُ إِنَّهُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي خَلِيقَتِهِ أَمْرُ**

**والْحُلُّ** أن يضع **الْمَرْؤُ** الْمَنُوطَةُ به حَاجَاتُ الناس، **والمسؤول** أمام الله عن الصغيرة والكبيرة - **بَرْنَامَجًا** صارمًا يضبط فيه وقته، **ويأقلم** كالتالي:

1- **يستيقظ** قبل الفجر بساعة، أو نصف ساعة على الأقل؛ **ليصلي**، ويتضرع إلى الله، **ويسأله** المغفرة، والعون، والتوفيق، **ثم** يصلي الفجر.

2- **يتناول** بعد الفجر ما تيسر من الفطور والقهوة مع أسرته، **ويتفقد** أحوالهم أوَّلًا، **وينظر** في شؤونهم: صغيرها، وكبيرها.

3- **يبدأ** في إنجاز ما بين يديه من أعمال: **إما** مكتبية ينجزها بيده، **أو** بمعاونة مساعديه بأيديهم، **أو** بأجهزة الكمبيوتر: **مِنَ** الَّذِينَ قد اختارهم بعناية فائقة لكفاءتهم، وأمانتهم، **وإما** أن يكون العمل مرتبطًا بالتحرك **كما** كان يفعل القاضي عبدالله العمري رئيس وزراء الإمام يحيى حميد الدين رحمه الله؛ **فقد قيل:** إنه كان يدور راكبًا حِمَارَهُ على مرافق الدولة؛ **فلا** يبدأ الدوام الرسمي **إلا** وقد تفقد أهم الأشياء؛ أُسْوَةً بالإمام.

4- **يفتح** بابه لأهل الحاجات؛ **وفق** نظام يجمع **بين** التخطيط، والتنظيم، **وبين** البساطة، والسرعة، **وتوزيع** الاختصاصات بدقة متناهية.

5- **ما** يَصْعُبُ حَلُّهُ **يتم** التشاور العاجل **مع** العلماء وأهل الاختصاص؛ **ولا بد** لكل مشكلة من حَلٍّ.

6- **قبل** أذان الظهر يستريح بساعة أو نصف ساعة، **ثم** يصلي الظهر، **ثم** يتناول الغداء، **ثم** ينام إلى العصر، **ثم** يصلي العصر، **ثم** يستأنف العمل إلى قبيل المغرب، **ثم** يخصص ما بين العشائين للقرآن ، **أو** مذاكرة العلماء حسب الحالة.

7- **بعد** العشاء يخصص الوقت لتناول العشاء مع أسرته، **وتَفَقُّدِ** شؤونهم، ومؤانستهم، **ثم** النظر السريع فيما بقي من عمل؛ لينام مُبَكِّرًا؛ **ولا معنى** للسهر **إلا** لضرورة؛ **لأن** الله قد أرشدنا بقوله: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا**﴾[الفرقان:47] ﴿**وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا**﴾[النبأ:9، 10]، ﴿**هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**﴾[يونس:67]، ﴿**إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا**﴾[المزمل:7].

**ولأن** المسؤول، وَرَبَّ الأسرة، وقَائِدَ التنوير في المجتمع **يجب** أن يكونوا قدوة

لغيرهم في الالتزام بإرشاد الله جَلَّ وعلا، والاهتداء بهديه.

**ثم** إن في النوم المبكر **رَاحَةً** وَغِذَاءً للأبدان، **وتوفيرًا** للطاقة الكهربائية، **والاستفادة** من طاقة الشمس المَجَّانِيَّةِ في النهار؛ **فقد** خلقها الله بما يتناسب مع العين؛ **فهو** الخالق العظيم **أدرى** بمصالح خلقه.

**والصينيون** كما أَعْرِفُ هم الملتزمون بهذا الأدب: النوم المبكر، والقيام المبكر!

**أَمَّا** أهلنا مسلمو اليمن فمعظمهم يمضغون القات، وينفخون الدخان، ويثرثرون طوال الليل، ويُضَيِّعُونَ النهار! **فَيَا ضَيْعَةَ الْأَعْمَارِ تَمْضِي سَبَهْلَلَا.**

## [القيام بالفرائض]

**وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيما بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ تعالى أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ، وَأَجْزَلَ تِلْكَ الأَقْسَامِ - وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لله إِذَا صَلَحَتْ فيهَا النِّيَّةُ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ- وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ للهِ بِهِ دِينَكَ: إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتي هِيَ لَهُ خَاصَّةً؛ فَأَعْطِ اللهَ مِن بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللهِ مِنْ ذلِكَ كَامِلًا غَيْرَ مَثْلُوم وَلاَ مَنْقُوص، بَالِغًا مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ؛ وَإِذَا قُمْتَ فِي صلَاتِكَ لِلنَّاسِ فَلاَ تَكُونَنَّ مُنَفِّرًا وَلاَ مُضَيِّعًا؛ فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ، وَلَهُ الْحَاجَةُ؛ وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى اليَمنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ؟ فَقَالَ: «صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَضْعَفِهِمْ»[1]، وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا.**

**لما فرغ** ﷺ من وصيته بأمور رعيته **شَرَعَ** في وصيته بأداء الفرائض التي افترضها الله على عباده؛ **ولقد** أحسن ﷺ في قوله: «وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا للهِ»: **أي** إن النظر في أمور الرعية **مع** صحة النية وسلامة الناس من الظلم **مِنْ** جُمْلَةِ العبادات والفرائض أيضًا.

**ثم** قال له: **(كَامِلًا غَيْرَ مَثْلُومٍ)**: أي لا يحملنك شُغْلُ السلطان **على** أن تَخْتَصِرَ

(1) الطبراني في الكبير 9/ 56 رقم8377-8378، و9/ 75 رقم8380، وكنز العمال رقم 22872(ر).

الصَّلَاةَ اخْتِصَارًا، **بل** صَلِّهَا بفرائضها، وسننها، وشعائرها: **في** نهارك وليلك، **وَإِنْ** أتعبك ذلك، **ونال** من بدنك وقُوَّتِكَ.

**ثم** أمره إذا صلى بالناس جَمَاعَةً **أَلَّا** يُطِيلَ فَيُنَفِّرَهُمْ عَنْهَا، **وَأَلَّا** يُخْدِجَ الصلاة ويُنْقِصَهَا فَيُضَيِّعَهَا.

**ثم** رَوَى خَبَرًا عن النبيﷺ: **وهو** قولهعليه السلام له: «**صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَضْعَفِهِمْ**». **وقوله: «وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا» الظاهر** أنه من كلام أمير المؤمنين من الوصية للأشتر؛ **والمعلوم** أن الواجبات أقسام:

1- **ما** يتعلق بالقلب: **وهو** النية الصالحة.

2- **ما** يتعلق بالبدن: **وَالْمُتَعَلِّقُ** به: **إِمَّا** عِبَادَةٌ خَالِصَةٌ كالصلاة، والصيام، ونحوهما، **وَإِمَّا** مَشُوبَةٌ: كالحكم بين الناس؛ **فظاهرها** دنيوي، **وتكون** عِبَادَةً مع النية الصالحة.

3- **ما** يتعلق بالمال: كالزكاة، والكفارات، ونحوها.

**وَخَصَّ** الْإِمَامُ الْعِبَادَةَ الْبَدَنِيَّةَ؛ **لأن** الكلام مع الْحُكَّامِ؛ **وقد** يشغلهم بَعْضُ العمل، **أو** يتكاسلون؛ **فَحَثَّ** بصرامة لا هوادة فيها **على** أَنَّ أَدَاءَ الصلوات **وَاجِبٌ** يجب أن تؤدى **كما** تُؤَدَّى الْوَظِيفَةُ الرَّسْمِيَّةُ. **وَالتَّخْفِيفُ** في الصلاة **يساعد** الوالي على التخلص من كثرة الوسوسة، **ويخفف** عن الناس؛ **وهذا** شَأْنُ الإسلام السمح.

## [النهي عن الاحتجاب]

**وَأَمَّا بَعْدَ هَذَا، فَلَا تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ؛ فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ، وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ، وَالِاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ؛ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ، وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ، وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ، وَيُشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ! وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ، وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ، وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ فِي الْحَقِّ؛ فَفِيمَ**

**احْتِجَابُكَ مِنْ وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ، أَوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ؟! أَوْ مُبْتَلًى بِالْمَنعِ؛ فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيِسُوا مِنْ بَذْلِكَ! مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ ما لَا مَؤُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ: مِنْ شَكَاةِ مَظْلِمَةٍ، أَوْ طَلَبِ إِنْصافٍ فِي مُعَامَلَةٍ.**

**حَذَّرَ** الإمام علي عليه السلام **من** الاحتجاب عن الرعية، **وبَيَّنَ** عَوَاقِبَهُ، **وَمَنَعَ** أَسْبَابَهُ وَوَضَّحَهَا؛ **فَالِاحْتِجَابُ** يؤدي إلى انطواء الأخبار عن الوالي، **وعدم** معرفته بما يدور حوله من الأمور.

**وإذا** سَهُلَ على النَّاسِ عليه لم يَخْفَ عليه شَيْءٌ من أمور رعيته، وأحوال عمله؛ **وليس** هناك ما يدعو للاحتجاب؛ **لأن** الْوَالِيَ إن كان يقوم بإيصال الحقوق إلى أهلها- **فلن** يصل إليه من الناس **إلا مَنْ** له مظلمة أو حاجة؛ **فإن** كان مُنْصِفًا جَوَادًا **لم** يكن له داع إلى الحجاب؛ **وقد** سبق في وصايا الإمام عليه السلام **ما** يدعو إلى أن يكون الوالي حَرِيصًا **على** إيصال الحقوق إلى أهلها، **وتتبع** أحوال الرعية بحيث لا يصل إليه **إلا** مَنْ لم تكتشفه أجهزة الوالي.

**ولم يُغْفِلِ** الإمامُ عليه السلام هنا **أن** يُنَبِّهَ **على** أن أكثر حاجات الناس **ليس** فيها مؤونة على الوالي:

**فَإِنْ** أَعْطَى **فَإِنَّمَا** يُعْطِي من مال الله، **وإن** أنصف **فَإِنَّمَا** ينصف من غريم؛ **والوالي** يملك القوة الكافية لإحقاق الحق، وإنصاف المظلوم.

**كما** أن الارتباط واللقاء المباشر بالرعية **يُمَكِّنُ** الْحَاكِمَ مِنْ تقييم المعلومات التي تَرِدُهُ عن طريق أجهزة الدولة العلنية والسرية؛ **فيقف** على حقائق الأمور كما هي وعلى طبيعتها بنفسه بدون زيادة ولا نقصان.

**وقول** الإمام: **(لَا تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ)** فيه إشارة **إلى** أَنَّ لَهُ أَنْ يحتجب بَعْضَ الوقت لراحته، وقضاء حوائجه الشخصية، ومَهَامِّهِ في أهله وبيته.

**والرَّعِيَّةُ** قد يغفرون الاحتجاب القليل، **وأما** الطويل فلا؛ **لأنهم** لا يعلمون أسبابه: **فقد** يكون الوالي على حق في احتجابه، **إلا** أن الناس **لا** يَطَّلِعُونَ على الخفايا، **وقد** تذهب ظنونهم بَعِيدًا، **وعلى** الوالي أن يُرَاعِيَ ذلك منهم؛ **إذ** لا توجد أدلة

تدل دَلَالَةً ظاهرة على صدق الوالي **إذا** بَيَّنَ سَبَبَ احتجابه، **وقد** يُعْتَبَرُ ذلك مجرد عذر.

**وقَطْعًا** لأسباب الشك بين الوالي والرعية- **فلا بد** من تنظيم الحجاب، **وترتيب** دخول الناس على الوالي **ولو** بكتابة حاجاتهم على الورق، **إِلَّا** إذا احتاج أحد إلى مقابلة الوالي فَيُسَهِّلُ له ذلك؛ لأنه حَقٌّ للمواطن.

**قال** الإمام الهادي **وهو** من أبرز المقتدين بجده الإمام علي عليه السلام: **وأنتم** مَعَاشِرَ الرعية **فليس** عليكم دوني حجاب، **ولا** على بابي بَوَّابٌ، **ولا** على رأسي خَلْقٌ من الزبانية، **ولا** أَحَدٌ مِنْ أعوان الظلمة: **كبيركم** أخي، **وشَابُّكُمْ** ولدي، **لا** آنَسُ **إِلَّا** بأهل العلم منكم، **ولا** أستريح **إِلَّا** إلى مفاوضتكم! **فَسَلُونِي** عن أمر دينكم وما يَعْنِيكُمْ من العلم، وتفسير القرآن؛ **فإنا** نحن تَرَاجِمَتُهُ، **وَأَوْلَى** الخلق به، **وهو** الذي قُرِنَ بِنَا وَقُرِنَّا بِهِ؛ **فقال** أبي رسول الله ﷺ: «**إِنِّي** مُخَلِّفٌ فِيكُمْ **مَا** إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ **لَنْ** تَضِلُّوا مِنْ بَعْدِي: **كِتَابَ** اللهِ، **وَعِتْرَتِي** أَهْلَ بَيْتِي» **والله** وَلِيُّ توفيقكم لرشدكم، **وحسبي** الله وحده، **وعليه** توكلت، **وإليه** أنيب.

**أقول:** يا ليت **مَنْ** يعتز بنسبه إلى النبي ﷺ مثل الهادي وهو في مستوى علمه، ومحبته لرعيته، وإخلاصه لهم؛ **فقد** كان يؤكد عليهم **أَنَّهُ** أَوَّلُهُمْ عند اللقاء، وآخرهم عند العطاء؛ **وقد** قلنا أكثر من مرة: **إِنَّهُ** لم يأخذ من أموال اليمن ما يساوي درهمين! **وليس** هذا من باب المبالغة بل هو مؤكد موثق.

## [ذِكْرُ الْحِجَابِ، وَمَا وَرَدَ فِيهِ مِنَ الْخَبَرِ وَالشِّعْرِ]

**قال** أَبْرَوِيزُ لحاجبه: **لا** تَضَعَنَّ شريفًا بِصُعُوبَةِ حِجَابٍ، **ولا** تَرْفَعَنَّ وَضِيعًا بِسُهُولَتِهِ؛ **ضَعِ** الرجال مواضع أخطارهم: **فَمَنْ** كان قَدِيمًا شَرَفُهُ، **ثُمَّ** ازْدَرَعَهُ ولم يَهْدِمْهُ بَعْدَ آبَائِهِ **فَقَدِّمْهُ** عَلَى شَرَفِهِ الْأَوَّلِ، **وَحَسِّنْ** رَأْيَهُ الْآخِرَ. **وَمَنْ** كان له شَرَفٌ مُتَقَدِّمٌ، **ولم** يَصُنْ ذلك حِيَاطَةً لَهُ، **ولم** يَزْدَرِعْهُ تَثْمِيرُ الْمُغَارَسَةِ؛ **فَأَلْحِقْ** بِآبَائِهِ مِنْ

رِفْعَةِ حاله **مَا** يَقْتَضِيهِ سَابِقُ شَرَفِهِمْ، **وأَلْحِقْ** بـه في خاصته **مـا** ألحق بنفسه، **ولا** تَأْذَنْ لَهُ **إلا** مُتَأَخِّرًا، **ولا** تُلْحِقْهُ بطبقة الأولين.

**وإذا** وَرَدَ كِتَابُ عَامِلٍ مِنْ عُمَّالِي **فلا** تَحْبِسْهُ عَنِّي طَرْفَةَ عَيْنٍ **إِلَّا** أَنْ أَكُونَ عَلَى حَالٍ لَا تَسْتَطِيعُ الْوُصُولَ إِلَيَّ فِيهَا.

**وإذا** أتاك مَنْ يَدَّعِي النَّصِيحَةَ لَنَا **فَلْتَكْتُبْهَا** سِرًّا، **ثم** أدخله بعد أن تستأذن له؛ **حتى** إذا كان مني بحيث أراه **فَادْفَعْ** إِلَيَّ كِتَابَهُ: **فَإِنْ** أَحْمَدْتُ قَبِلْتُ، **وَإِنْ** كَرِهْتُ رَفَضْتُ.

**وَإِنْ أَتَاكَ** عَالِمٌ مُشْتَهِرٌ بالعلم والفضل يَسْتَأْذِنُ **فَأْذَنْ** لَهُ؛ **فَإِنَّ** الْعِلْمَ شَرِيفٌ، وَشَرِيفٌ صَاحِبُهُ.

**وَلَا تَحْجُبَنَّ** عَنِّي أَحَدًا من أفناء الناس [وهو الذي لا يُعْرَفُ] **إذا** أَخَذْتُ مَجْلِسِي مَجْلِسَ الْعَامَّةِ؛ **فإن** الْمَلِكَ لا يُحْجَبُ **إلا** عن ثلاث: **عِيٍّ** يَكْرَهُ أَنْ يُطَّلَعَ عَلَيْهِ مِنْهُ، **أَوْ** بُخْلٍ يَكْرَهُ أَنْ يَدْخُلَ عليه مَنْ يَسْأَلُهُ، **أَوْ** رِيبَةٍ هُوَ مُصِرٌّ عَلَيْهَا فَيَشْفِقُ مِنْ إِبْدَائِهَا، وَوُقُوفِ النَّاسِ عَلَيْهَا؛ **وَلَا بُدَّ** أَنْ يُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا **وَإِنِ** اجْتَهَدَ فِي سَتْرِهَا.

**وقد** أخذ هذا المعنى الأخير محمود الوراق **فقال**:

**إِذَا اعْتَصَمَ الْوَالِي بِإِغْلَاقِ بَابِهِ ... وَرَدَّ ذَوِي الْحَاجَاتِ دُونَ حِجَابِهِ**
**ظَنَنْتُ بِهِ إِحْدَى ثَلَاثٍ وَرُبَّمَا ... رَجَمْتُ بِظَنٍّ وَاقِعٍ بِصَوَابِهِ**
**أَقُولُ بِهِ مَسٌّ مِنَ الْعِيِّ ظَاهِرٌ ... فَفِي إِذْنِهِ لِلنَّاسِ إِظْهَارُ مَا بِهِ**
**فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِيَّ اللِّسَانِ فَغَالِبٌ ... مِنَ الْبُخْلِ يَحْمِي مَالَهُ عَنْ طِلَابِهِ**
**وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَا ذَا وَلَا ذَا فَرِيبَةٌ ... يُكَتِّمُهَا مَسْتُورَةٌ بِثِيَابِهِ**

**قال** عبد الملك بن مروان لحاجبه: **إنك** عَيْنٌ أَنْظُرُ بها، **وَجُنَّةٌ** أَسْتَلْئِمُ بها، **وقد** وَلَّيْتُكَ **ما** وراء بابي، **فماذا** تراك صانعا برعيتي؟ **قال:** أنظر إليهم بعينك، **وأحملهم** على قدر منازلهم عندك، **وأضعهم** في إبطائهم عن بابك، ولزوم خدمتك- **مَوَاضِعَ** استحقاقهم، **وَأُرَتِّبُهُمْ** حيث وضعهم تَرْتِيبُكَ، **وَأُحْسِنُ** إِبْلَاغَهُمْ عَنْكَ وَإِبْلَاغَكَ عَنْهُمْ! **قال:** لقد وَفَّيْتَ بما عليك، **ولكن** إن صَدَّقْتَ ذلك بفعلك!.

**والوالي** الناجح المقتدر **هو** الذي لا يحتاج **إلى** إغلاق بابه **من** غير موجب؛ **لذلك** ذَمُّوا **مَنْ** يَحْتَجِبُ **وهو** غير ذي قيمة ولا أهمية، **ولا** لضرورة:

**يَا أَمِيرًا عَلَى جَرِيبٍ مِنَ الْأَرْ ... ضِ لَهُ تِسْعَةٌ مِنَ الْحُجَّابِ**
**قَاعِدٌ فِي الْخَرَابِ يُحْجَبُ عَنَّا ... مَا سَمِعْنَا بِحَاجِبٍ فِي خَرَابِ**

**فالزعيم** هو الزعيم بغير إمارة، **وَمِنْ** غير المقبول **أَنْ** يحتجب مسؤول عن قضاء حاجات الناس، ويبقى الناس مكدسين خارج الأبواب. **قال** إبراهيم بن هرمة في كرام الولاة:

**هَشٌّ إِذَا نَزَلَ الْوُفُودُ بِبَابِهِ ... سَهْلُ الْحِجَابِ مُؤَدَّبُ الْخُدَّامِ**
**وَإِذَا رَأَيْتَ صَدِيقَهُ وَشَقِيقَهُ ... لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا ذَوِي الْأَرْحَامِ**

**وقال آخر:**

**وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي الْكَرِيمَ إِذَا أَتَى ... عَلَى طَمَعٍ عِنْدَ اللَّئِيمِ يُطَالِبُهْ**
**وَأَرْثِي لَهُ مِنْ مَجْلِسٍ عِنْدَ بَابِهِ ... كَمَرْثِيَّتِي لِلطِّرْفِ وَالْعِلْجُ رَاكِبُهْ**

**وقال** عبد الله بن محمد بن عيينة في ذم المحتجبين:

**أَتَيْتُكَ زَائِرًا لِقَضَاءِ حَقٍّ ... فَحَالَ السِّتْرُ دُونَكَ وَالْحِجَابُ**
**وَرَأْيِي مَذْهَبٌ عَنْ كُلِّ نَاءٍ ... يُجَانِبُهُ إِذَا عَزَّ الذَّهَابُ**
**وَلَسْتُ بِسَاقِطٍ فِي قِدْرِ قَوْمٍ ... وَإِنْ كَرِهُوا كَمَا يَقَعُ الذُّبَابُ**

**كان** الإمام الهادي عليه السلام **يقول:** لولا أن تذهب الهيبة ما احتجبت! **وكان** يصلي بالناس بمسجده بصعدة، **ويؤدي** الراتب من الأذكار بعد الصلاة في محرابه، **ويجيب** على أسئلة المستفتين! **وقد** أَتَتْهُ عجوز إلى بيته في الليل **وأيقظته** من النوم؛ **فقضى** حاجتها؛ **وقال**: الحمد لله الذي جعلها لا تَتَهَيَّبُ من الوصول إلى بابي في هذه الساعة! **في** حين لا تقدر على ذلك عند الجبابرة!!.

**وَقَدْ وَصَفَ** ضِرَارٌ الصُّدَائِيُّ الْإِمَامَ عَلِيًّا **بِقَوْلِهِ**: كَانَ فِينَا كَأَحَدِنَا: **يُجِيبُنَا** إِذَا سَأَلْنَاهُ، **وَيُنْبِئُنَا** إِذَا اسْتَنْبَأْنَاهُ، **وَنَحْنُ** وَاللهِ مَعَ تَقْرِيبِهِ إِيَّانَا، **وَقُرْبِهِ** مِنَّا **لَا** نَكَادُ نُكَلِّمُهُ

هَيْبَةً لَهُ: **يُعَظِّمُ** أَهْلَ الدِّينِ، **وَيُقَرِّبُ** الْمَسَاكِينَ: **لَا** يَطْمَعُ الْقَوِيُّ فِي بَاطِلِهِ، **وَلَا** يَيْأَسُ الضَّعِيفُ مِنْ عَدْلِهِ.

**وقال** صعصعة بن صُوحَانٍ وَغَيْرُهُ مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ: **كَانَ** فِينَا كَأَحَدِنَا: **لِينُ** جَانِبٍ، **وَشِدَّةُ** تَوَاضُعٍ، **وَسُهُولَةُ** قِيَادٍ! **وَكُنَّا** نَهَابُهُ مَهَابَةَ الْأَسِيرِ الْمَرْبُوطِ لِلسَّيَّافِ الْوَاقِفِ عَلَى رَأْسِهِ!.

**إن مشكلة** الولاة اليوم **أنهم** معزولون عن الناس، **غرباء** عن المواطنين؛ **قَرَّبُوا** منهم بِطَانَةً فَاسِدَةً، وحُرَّاسًا غلاظ الأكباد، **وَاكْتَفَوْا** بما يقدم لهم من تقارير مُزَيَّفَةٍ، **وَبِالْقَوْلِ**: كُلُّ شَيْءٍ تَمَامٌ يَا فَنْدِمْ! **حتى قيل**: إِنَّ الشَّاهَ نَظَرَ مِنَ الطَّائِرَةِ إِلَى مَلَايِينِ الْحُشُودِ الْمُتَظَاهِرَةِ ضِدَّهُ؛ **فلم** يَكَدْ يُصَدِّقُ!.

## [معاملة الوالي لِخَاصَّتِهِ، وبطانته، وحاشيته]

**ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وبِطَانَةً: فِيهِمُ اسْتِئْثَارٌ وَتَطَاوُلٌ، وَقِلَّةُ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ؛ فَاحْسِمْ مَادَّةَ أُولئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الأَحْوَالِ، وَلاَ تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيتِكَ وَحَامَّتِكَ قَطِيعَةً، وَلَا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ: فِي شِرْبٍ، أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ يَحْمِلُونَ مَؤُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ؛ فَيَكُونَ مَهْنَأُ ذلِكَ لَهُمْ دُونَكَ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.**

**وَأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَكُنْ فِي ذلِكَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، وَاقِعًا ذلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ، وَابْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ؛ فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذلِكَ مَحْمُودَةٌ.**

**وَإِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفًا فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ، وَاعْدِلْ عَنكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ؛ فَإِنَّ فِي ذلِكَ إِعْذَارًا تَبْلُغُ فِيه حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ.**

**أَعْلَمَ** الإمامُ ﷺ **وَالِيَهُ** بأن البطانة عادة ما تتطاول، وتشمخ بسلطان صاحبها

**لدرجة** أن يقوموا بإصدار الأوامر **منتظرين** من الناس السمع والطاعة؛ **وذلك** لأنهم يرون سلطان الوالي سلطانًا لهم؛ **فإذا** كان الوالي شخصية ضعيفة **تَغَلَّبُوا** على أمره، **واتخذوا** مال الله دُوَلًا، وَعِبَادَهُ خَوَلًا، **وَمَلَؤُوا** قلوب الرعية حِقْدًا عليه، وَكَرَاهَةً لَهُ؛ **فإذا** طفح الكيل بالرعية **ثاروا** عليهم وعليه؛ **كما** حدث لعثمان، **وكما** يحدث عبر الأزمان **للولاة** الذين تسلطوا وسلطوا أقاربهم **من** عواقب وخيمة.

**وأمره** عليه السلام أن يقتلع أسباب الظلم والغطرسة من جذورها، **ونهاه** عن أن يَحْمِلَ أقاربه وحاشيته وخواصه على رقاب الناس، **وأن** يُمَكِّنَهُمْ من الاستئثار عليهم، والإذلال لهم، **ونهاه** مِنْ أَنْ يُقْطِعَ أَحَدًا منهم قطيعة، **أو** يُمَلِّكَهُ ضَيْعَةً تَضُرُّ بمن يجاورها: **في** شِرْبٍ يتغلبون على الماء منه، **أو** ضِيَاعٍ يُضِيفُونَهَا إلى ما مَلَّكَهُمْ إياه، **أو** إعْفَاءٍ لهم من مَؤُونَةٍ، **أو** حفر وغيره؛ **فَيُعْفِيهِمُ** الْوُلَاةُ مِنْهُ مُرَاقَبَةً لَهُمْ؛ **فيكون** مَؤُونَةُ ذلك الْوَاجِبِ عليهم قد أُسْقِطَتْ عنهم، **وحُمِّلَ** ثِقْلُهَا على غيرهم.

**ثم قال** عليه السلام: لأن منفعة ذلك في الدنيا تكون لهم دونك، **والْوِزْرُ** في الآخرة عليك، والعيب والذم في الدنيا أيضا لَاحِقَانِ بك.

**ولم ينس** الإمام عليه السلام **أَنْ** يَحُثَّهُ على عدم المحاباة والمجاملة في الحق **ولو** كان على أقرب الأقربين من حاشيته وبطانته؛ **فَالْحَقُّ** أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ، **وإِنْ** لَحِقَ به غَضَاضَةٌ مِنْ أَقَارِبِهِ وَطَعْنٌ **فَلْيَصْبِرْ**، وَلْيَحْتَسِبْ ذَلِكَ فِي جَنْبِ اللهِ وَمَرْضَاتِهِ؛ **فَهْوَ** خَيْرٌ لَهُ **مِنْ** أَنْ يُرْضِيَ بِطَانَتَهُ وَيُغْضِبَ اللهَ، **وَيَخُونَ** شَعْبَهُ، **وَيَخْسَرَ** ثِقَتَهُمْ به.

**ثم قال** له مُؤَكِّدًا معالم السياسة الناجحة، وملامح الشفافية المطلقة: **بِأَنَّ** الحكمة تقضي **بمصارحة** الرأي العام.

**وَإِنْ** ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفًا **فَأَصْحِرْ** لَهُمْ بِعُذْرِكَ: **يعني** إذا اتَّهَمَتْكَ الرَّعِيَّةُ بِحَيْفٍ عَلَيْهِمْ، **أو** ظَنَّتْ بك جَوْرًا، **فَاذْكُرْ** لهم عُذْرَكَ في ذلك، ظَاهِرًا غَيْرَ مَسْتُورٍ؛ **فإنه** الأولى وَالْأَقْرَبُ إِلَى اسْتِقَامَتِهِمْ لك على الحق.

**فقد** يُعْلِمُ الرعية بالأخطار التي تواجههم، **ويخاف** الوالي عليهم منها؛ **فَيُعْفُونَهُ** مِنَ الْخَوْفِ، **ويُعْلِنُونَ** له أنهم مستعدون لمواجهة تلك الأخطار تحت قيادته مهما كانت، **وخُصُوصًا** إذا ما علموا أنه قادر على المواجهة **لو** كانوا مُسْتَعِدِّينَ لَهَا؛ **فَيَقْوَى** بِهِمْ، وَيَقْوَوْنَ بِهِ، **وَيَفْخَرُ** كُلٌّ مِنْهُمْ بِالْآخَرِ.

**وَإِعْلَامُ** الوالي لمواطنيه بِعُذْرٍ يُبَيِّنُهُ لهم دون مُوَارَبَةٍ **حتى** ولو بَيَّنَ لهم خَطَأَهُ- **فَهْوَ** خَيْرٌ له: **من** التكتم، **وَاخْتِلَاقِ** أَعْذَارٍ **قَدْ** تُؤَدِّي **إلى** خَلْقِ أَزَمَاتٍ داخلية **ربما** يُكَلِّفُ حَلُّهَا أَكْثَرَ مِمَّا يكلفه حَلُّ المشكلة الحقيقية ومواجهتها، **وبَدَلًا** من أن يكون الشَّعْبُ معه يَنْقَلِبُ ضده؛ **فإذا** بلغ السيل الزُّبَى، وأصبح الوالي هو مشكلة الشعب **فَسَيَبْحَثُ** الشعب عن حَلٍّ لمشكلته بنفسه **ولو** بالإطاحة بالوالي.

**فالإمام** ﷺ يرى أن الحاكم **أَجِيرٌ** لدى الرعية، **وعليه** أَنْ يُخْلِصَ وَيُتْقِنَ الْعَمَلَ، **وإذا** اتَّهَمَهُ الْمُسْتَأْجِرُ بالتَّقْصِيرِ **وَجَبَ** عليه **أَنْ** يُبَرِّئَ نفسه بالحجة والدليل، **وقد** طَبَّقَ الإمام علي هذا في نفسه؛ **فَلْنَسْتَمِعْ** وَنَتَمَعَّنْ إلى كلامه، وعلاقته برعيته خارج عهد الأشتر؛ فهو ﷺ مثال نادر للعدالة، والزهد، وَحُبِّ الفقراء :

**إِنَّ** مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلَالُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي نَفْسِهِ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ **أَنْ** يَصْغُرَ عِنْدَهُ لِعِظَمِ ذَلِكَ **كُلُّ** مَا سِوَاهُ. **وَإِنَّ** أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ **لَمَنْ** عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَلَطُفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ؛ **فَإِنَّهُ** لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ **إِلَّا** ازْدَادَ حَقُّ اللَّهِ عَلَيْهِ عِظَمًا.

**وَإِنَّ** مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ الْوُلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ **أَنْ** يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ، **وَيُوضَعَ** أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبْرِ! **وَقَدْ** كَرِهْتُ **أَنْ** يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ **أَنِّي** أُحِبُّ الْإِطْرَاءَ، وَاسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ، **وَلَسْتُ** بِحَمْدِ اللَّهِ كَذَلِكَ، **وَلَوْ** كُنْتُ أُحِبُّ **أَنْ** يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ!

**وَرُبَّمَا** اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ؛ **فَلَا** تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ؛ لِإِخْرَاجِي

نَفْسِي **إِلَيْ** اللَّهِ سُبْحَانَهُ، **وَإِلَيْكُمْ** مِنَ التَّقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ **لَمْ** أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا، وَفَرَائِضَ **لَا** بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا؛ **فَلَا** تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ، **وَلَا** تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ ، **وَلَا** تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ، **وَلَا** تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالًا فِي حَقٍّ قِيلَ لِي، **وَلَا** الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي؛ **فَإِنَّهُ** مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ **أَنْ** يُقَالَ لَهُ، **أَوِ** الْعَدْلَ **أَنْ** يُعْرَضَ عَلَيْهِ- **كَانَ** الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ؛ **فَلَا** تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ؛ **فَإِنِّي** لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ! **وَلَا** آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي! **إِلَّا** أَنْ يَكْفِيَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِي **مَا** هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي؛ **فَإِنَّمَا** أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ؛ **يَمْلِكُ** مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا، **وَأَخْرَجَنَا** مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ؛ **فَأَبْدَلَنَا** بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى!.

**ماذا** أقول بعد هذا **إلا** تَرْدَادُ: **سلام** الله عليك أيها الإمام **يوم** ولدت، **ويوم** عشت، **ويوم** استشهدت، **ويوم** تبعث يوم القيامة حَيًّا، **ولله** أُمٌّ أَنْجَبَتْكَ، **وصلوات** الله وسلامه على النبي الذي رَبَّاكَ، **والحمد** لله الذي رزقنا حُبَّكَ، **وملأ** قُلُوبَنَا بِمَوَدَّتِكَ: محبة الحق، ومودة الإيمان بلا إفراط ولا تفريط. **اللهم** ثَبِّتْنَا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ حتى نلقاك.

**ومن المناسب أن** نذكر طرفًا من أخبار عمر بن عبد العزيز، ونزاهته في خلافته؛ **لأنه** رحمه الله كان مُحِبًّا للإمام عَلِيٍّ عليه السلام، مُتَأَسِّيًا به؛ **وهو** الذي مَنَعَ لَعْنَ أمير المؤمنين عليه السلام في خطب الجمعة **بعد** أن كان سُنَّةً عند بني أمية، **أسسها** معاوية.

* **رَدَّ** عمر الْمَظَالِمَ الَّتِي احْتَقَبَهَا بنو مروان **فَأَبْغَضُوهُ** وَذَمُّوهُ، **وقيل:** إِنَّهُمْ سَمُّوهُ فَمَاتَ.

* **دخل** ابنه عبد الملك عليه **وهو** في قائلته فأيقظه، **وقال له:** ما يُؤَمِّنُكَ أن تُؤْتَى في منامك؟ **وقد** رُفِعَتْ إليك مَظَالِمُ **لم** تَقْضِ حَقَّ الله فيها؟! **فقال**: يا بُنَيَّ إن نفسي مطيتي **إن** لم أَرْفُقْ بِهَا لَمْ تُبَلِّغْنِي؛ **وإني** لو أتعبت نفسي وأعواني **لم** يكن ذلك إلا قليلا **حتى** أسقط ويسقطوا؛ **وإني** لأحتسب في نومتي **مِنَ** الأجر **مثل** الذي أحتسب في يقظتي؛ **إِنَّ** الله جل ثناؤه **لو** أراد أن ينزل القرآن جملة لأنزله،

**ولكنه** أنزل الآية والآيتين **حتى** استكثر الإيمان في قلوبهم.

**ثم قال:** يا بُنَيَّ مما أنا فيه **أَمْرٌ** هو أهم إِلَيَّ: **إنهم** أهل بيتك: **فهم** أهل العدة والعدد، وَقِبَلَهُمْ مَا قِبَلَهُمْ؛ **فلو** جَمَعْتُ ذلك في يوم واحد خَشِيتُ انْتِشَارَهُمْ عَلَيَّ، **ولكني** أُنْصِفُ مِنَ الرَّجُلِ والاثنين؛ **فَيَبْلُغُ** ذلك مَنْ وَرَاءَهُمَا؛ **فيكون** أَنْجَعَ له، **فإن** يُرِدِ اللهُ إِتْمَامَ هذا الْأَمْرَ أَتَمَّهُ، **وإن** تكن الأخرى **فَحَسْبُ** عَبْدٍ **أَنْ** يَعْلَمَ اللهُ منه **أنه** يحب أن ينصف جميع رعيته.

* **صعد** منبر المسجد **وقال** للناس: **قد** بدأت بنفسي والأقربين من أهل بيتي، **اقرأ** يا مزاحم؛ **فجعل** مزاحم يقرأ كِتَابًا فيه الإقطاعات بالضياع والنواحي، **ثم** يأخذه عمر بيده فيقصه بالْجَلَمِ، **لم** يزل كذلك **حتى** نودي بالظهر.

* **كان** عند زوجه فاطمة بنت عبدالملك بن مروان جوهر جليل وَهَبَهَا أبوها، **ولم** يكن لأحد مثله! **فقال** لها: اختاري: **إما** أن تردي جوهرك وحُلِيَّكِ **إلى** بيت مال المسلمين، **وإما** أن تأذني لي في فراقك! **فإني** أكره أن أجتمع أنا وأنت وهو في بيت واحد! **فقالت**: بل أختارك عليه وعلى أضعافه لو كان لي! **وَأَمَرَتْ** به فَحُمِلَ إلى بيت المال! **فلما** هلك عمر **وَاسْتُخْلِفَ** يزيد بن عبد الملك **قال** لفاطمة أخته: **إن** شئت رددته عليك؟ **قالت**: فإني لا أشاء ذلك؛ **طِبْتُ** عنه نَفْسًا في حياة عمر، **وأرجع** فيه بعد موته! لا والله أَبَدًا! **فلما** رأى يزيد ذلك قسمه بين ولده وأهله.

* **لَمَّا** دُفِنَ سليمان صعد عمر على المنبر؛ **فقال:** إني قد خلعت ما في رقبتي من بيعتكم؛ **فصاح** الناس: **قد** اخترناك؛ **فنزل** ودخل وأمر بالستور فَهُتِكَتْ، والثِّيَابِ التي كانت تبسط للخلفاء فَحُمِلَتْ إلى بيت المال، **ثم** خرج ونادى مناديه: **مَنْ** كانت له مظلمة مِنْ بَعِيدٍ أو قَرِيبٍ من أمير المؤمنين فليحضر؛ **فقام** رجل ذمي من أهل حمص أبيض الرأس واللحية؛ **فقال:** أسألك كتاب الله! **قال:** ما شأنك؟ **قال:** العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني ضيعتي! والعباسُ

جَالِسٌ؛ **فقال** عمر: ما تقول يا عباس؟ **قال:** أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد، وكتب لي بها سِجِلًّا! **فقال** عمر: ما تقول أنت أيها الذمي؟ **قال:** يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله! **فقال** عمر: إِيهًا لَعَمْرِيْ إن كتاب الله لَأَحَقُّ أن يُتَّبَعَ من كتاب الوليد، **ارْدُدْ** عليه يا عباس ضَيْعَتَهُ!.

* **روى** ميمون بن مهران **قال:** بعث **إِلَيَّ** عمر بن عبد العزيز، **وإلى** مكحول، وأبي قلابة **فقال:** ما ترون في هذه الأموال التي أخذها أهلي من الناس ظلمًا؟ **فقال** مكحول قولا ضعيفا كرهه عمر، **فقال:** أرى أن تستأنف وَتَدَعَ ما مضى؛ **فنظر** إِلَيَّ عمر كالمستغيث بي؛ **فقلت**: يا أمير المؤمنين، أَحْضِرْ ولدك عبدالملك لننظر ما يقول؟ فحضر **فقال**: ما تقول يا عبد الملك؟ **فقال**: ماذا أقول؟ أَلَسْتَ تَعْرِفُ مَوَاضِعَهَا؟! **قال:** بلى والله؛ **قال:** فارددها؛ **فإن** لم تفعل كنت شَرِيكًا لمن أخذها.

* **رَدَّ** ضيعته المعروفة بالسهلة، **وكانت** باليمامة، **وكانت** أَمْرًا عَظِيمًا لَهَا غَلَّةٌ عظيمة كثيرة، عَيْشُهُ وَعَيْشُ أَهْلِهِ منها، **فَلَمَّا** وُلِّيَ الخلافة **قال** لمزاحم مولاه، **وكان** فاضلًا: إني قد عزمت أن أرد السهلة إلى بيت مال المسلمين؛ **فقال** مزاحم: أتدري كم وَلَدُكَ؟ إنهم كذا وكذا، **قال:** فذرفت عيناه؛ **فجعل** يَسْتَدمِعُ ويمسح الدمعة بأصبعه الوسطى، **ويقول**: أَكِلُهُمْ إلى الله، أَكِلُهُمْ إلى الله! **فمضى** مزاحم فدخل على عبدالملك بن عمر؛ **فقال** له: ألا تعلم ما قد عزم عليه أبوك! **إنه** يريد أن يرد السهلة! **قال:** فما قُلْتَ له؟ **قال:** ذَكَرْتُ له ولده؛ **فجعل** يستدمع **ويقول**: أَكِلُهُمْ إلى الله! **فقال** عبدالملك: بِئْسَ وَزِيرُ الدِّينِ أنت! **ثم** وثب وانطلق إلى أبيه؛ **فقال** لِلْآذِنِ: اسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ؛ **فقال**: إنه قد وضع رأسه الساعة للقائلة؛ **فقال**: استأذن لي عليه، **فقال**: أما ترحمونه! **ليس** له من الليل والنهار إلا هذه الساعة! **قال:** استأذن لي عليه لا أُمَّ لك! **فسمع** عمر كلامهما، **فقال:** ائذن لعبدالملك؛ **فدخل** فقال: على ماذا عَزَمْتَ؟ **قال:** أَرُدُّ السَّهْلَةَ، **قال:** فلا تؤخر ذلك، قُمِ الآنَ! **قال:** فجعل عمر

يرفع يديه **ويقول**: الحمد لله الذي جعل لي من ذريتي من يعينني على أمر ديني! **قال:** نعم يا بُنَيَّ أصلي الظهر، **ثم** أصعد المنبر فأردها علانية على رؤوس الناس، **قال**: وَمَنْ لك أن تعيش إلى الظهر! **ثم** مَنْ لك أن تَسْلَمَ نِيَّتُكَ إلى الظهر إن عِشْتَ إليها! **فقام** عمر فصعد المنبر؛ فخطب الناس ورد السهلة.

* **كتب** عمر بن الوليد بن عبد الملك **إلى** عمر بن عبد العزيز **لَمَّا** أخذ بني مروان برد المظالم كتابًا أغلظ له فيه؛ **مِنْ جُمْلَتِهِ:** إنك أَزْرَيْتَ على كل من كان قبلك من الخلفاء وَعِبْتَهُمْ، **وسِرْتَ** بغير سيرتهم؛ بُغْضًا لهم، **وشَنَأْتَا** لمن بعدهم من أولادهم، **وَقَطَعْتَ** ما أمر الله به أن يوصل! **وعمدت** إلى أموال قريش ومواريثهم **فأدخلتها** بَيْتَ المال جَوْرًا وعُدْوَانًا! **فاتق** الله يا ابن عبدالعزيز وراقبه؛ **فإنك** خصصت أهل بيتك بالظلم والجور؛ **ووالذي** خَصَّ مُحَمَّدًا ﷺ بما خصه به **لقد** ازْدَدْتَ مِنَ اللهِ بُعْدًا بولايتك هذه التي زَعَمْتَ أنها عليك بلاء! **فَأَقْصِرْ** عن بعض ما صنعت! **واعلم** أنك بعين جبار عزيز، **وفي** قَبْضَتِهِ؛ **ولن** يتركك على ما أنت عليه!

**فكتب** عمر جوابه: **أما** بعد؛ **فقد** قرأت كتابك، وسوف أجيبك بنحو منه! **أَمَّا** أَوَّلُ أمرك يا ابن الوليد **فإن** أُمَّكَ نُبَاتَةَ أَمَةٌ **كانت** تطوف في أسواق حمص، **وتدخل** حوانيتها، **ثم** الله أعلم بها! **اشتراها** ذبيان بن ذبيان مِنْ فيء المسلمين، **فأهداها** لأبيك؛ **فحملت** بك؛ **فبئس** الحامل! **وبئس** المحمول! **ثم** نَشَأْتَ فَكُنْتَ جَبَّارًا عَنِيدًا! **وتزعم** أني من الظالمين؛ **لأني** حَرَمْتُكَ وأهل بيتك فَيْءَ الله الذي هو حق القرابة والمساكين والأرامل! **وَإِنَّ** أَظْلَمَ مني، وأَتْرَكَ لعهد الله **مَنِ** استعملك صَبِيًّا سَفِيهًا على جند المسلمين: **تَحْكُمُ** فيهم برأيك! **ولم** يكن له في ذاك نية **إِلَّا** حُبُّ الوالد ولده؛ **فويل** لك وويل لأبيك! **ما** أَكْثَرَ خُصَمَاءَكُمَا يوم القيامة!

**وإِنَّ** أظلم مني وَأَتْرَكَ لعهد الله **مَنِ** استعمل الحجاج بن يوسف على خُمُسَيِ العَرَبِ: **يسفك** الدم الحرام! **ويأخذ** المال الحرام!

**وإنَّ** أظلم مني وأترك لعهد الله **مَنِ** استعمل قُرَّةَ بْنَ شريك[1]: أعرابيًّا جافيًا على مصر، وأذن له في المعازف، والخمر والشرب، واللهو.

**وإنَّ** أظلم مني وأترك لعهد الله **مَنِ** استعمل عثمان بن حيان[2] على الحجاز؛ **فينشد** الأشعار على منبر رسول اللهﷺ!

**وَمَنْ** جعل للعالية البربرية سَهْمًا في الْخُمُسِ! **فَرُوَيْدًا** يا ابن نباتة، **فلو** التقت حَلَقَتَا البِطَانِ، وَرُدَّ الْفَيْءُ إلى أهله - **لَتَفَرَّغْتُ** لك ولأهل بيتك فوضعتكم على المحجة البيضاء؛ **فطالما** تركتم الحق، وأخذتم في بُنَيَّاتِ الطريق [الطرق الصغار]! **ومِنْ** وَرَاءِ هذا من الفضل **مَا** أرجو أَنْ أعمله: بَيْعُ رقبتك! وَقَسْمُ ثمنك بين الأرامل واليتامى والمساكين؛ **فَإِنَّ** لِكُلٍّ فيك حَقًّا! والسلام علينا، **ولا** ينال سلام الله الظالمين.

* **روى** الأوزاعي قال: **لَمَّا** قطع عمر بن عبدالعزيز عن أهل بيته **مَا** كان مَنْ قَبْلَهُ يُجْرُونَهُ عليهم من أرزاق الخاصة - **تَكَلَّمَ** في ذلك عنبسة بن سعيد؛ **فقال**: يا أمير المؤمنين، إن لنا قرابة؛ **فقال**: مالي إِنْ يَتَّسِعْ لكم، **وأما** هذا الْمَالُ فَحَقُّكُمْ فِيهِ كَحَقِّ رَجُلٍ بِأَقْصَى بَرْكِ الْغِمَادِ، **ولا** يَمْنَعُهُ مِنْ أَخْذِهِ **إِلَّا** بُعْدُ مكانه؛

**والله** إني لأرى أن الأمور **لو** استحالت **حتى** يصبح أهل الأرض يرون مثل رأيكم **لَنَزَلَتْ** بهم بَائِقَةٌ من عذاب الله.

* **روى** أيضا قال: **قال** عمر بن عبدالعزيز يَوْمًا وقد بَلَغَهُ عن بني أمية كَلَامٌ أَغْضَبَهُ: **إِنَّ** لله في بني أمية يَوْمًا، **أو** قال: ذَبْحًا ! **وَايْمُ** اللهِ لئن كان ذلك الذبح، **أو** قال: ذلك اليوم على يَدَيَّ لَأُعْذِرَنَّ الله فيهم! **قال:** فلما بلغهم ذلك كَفُّوا، **وكانوا** يعلمون صرامته، **وأنه** إذا وقع في أمر مضى فيه.

* **روى** إسماعيل بن أبي حكيم ، **قال :** قال عمر بن عبدالعزيز يَوْمًا لحاجبه :

---

(1) العبسي الغطفاني، ولي مصر زمن الوليد أوائل سنة 60، كان جَبَّارًا صَلْبًا مَخُوفًا، «ت:96هـ». الأعلام 5/ 194.

(2) ابن معبد المري، من أهل دمشق، استعمله الوليد على المدينة سنة 93هـ **كان** في سيرته عنف؛ **فعزله** سليمان بن عبدالملك 96هـ **وثقه** بعض أهل الحديث! **فروى** له مسلم، وابن ماجة. تهذيب الكمال 19/ 360، والأعلام 4/ 205.

**لا** تُدْخِلَنَّ عَلَيَّ اليوم إلا مروانيا؛ **فلما** اجتمعوا **قال:** يا بني مروان **إنكم** قد أُعْطِيتُمْ حَظًّا وَشَرَفًا وأَمْوَالًا؛ **إني** لأحسب شطر أموال هذه الأمة **أو** ثلثيها في أيديكم! فسكتوا، **فقال**: ألا تجيبوني؟ **فقال** رجل منهم: فما بَالُكَ؟ **قال**: إني أريد أن أنتزعها منكم فَأَرُدَّهَا إلى بيت مال المسلمين؛ **فقال** رجل منهم: والله لا يكون ذلك **حتى** يحال بين رؤوسنا وأجسادنا! **والله** لا نُكَفِّرُ أسلافنا، **ولا** نُفْقِرُ أولادنا!

**فقال** عمر: والله لولا أن تستعينوا عَلَيَّ بمن أطلب هذا الحق له **لَأَضْرَعْتُ** خدودكم! قوموا عني.

* **عاب** مَنْ كان قبله من المروانية، وعنده هشام بن عبد الملك؛ **فقال**: يا أمير المؤمنين، إنا والله نكره أن تعيب آباءنا، وتضع شرفنا! **فقال** عمر: وأي عيب أَعْيَبُ مما عابه القرآن؟!

* **روى** وهيب بن الورد، **قال**: اجتمع بنو مروان على باب عمر بن عبدالعزيز؛ **فقالوا** لولد له: قل لأبيك يأذن لنا، **فإن** لم يأذن فأبلغ إليه عنا رسالة، **فلم** يأذن لهم، **وقال**: فليقولوا؛ **فقالوا**: قل له: إن من كان قبلك من الخلفاء كان يعطينا، ويعرف لنا مواضعنا، **وإن** أباك قد حرمنا ما في يديه! **فدخل** إلى أبيه فأبلغه عنهم؛ **فقال**: اخرج **فقل** لهم: ﴿**إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ**﴾[الأنعام:15]! **ولله** قصص في رد المظالم، **دخل** بها في سجل الخالدين؛ **لأنه** نقطة ضوء في ليل مظلم. والله أعلم بما هو الواقع.

**أقول:** إن هناك سَوْءَآتٍ أُخَرَ بجانب الاحتجاب عن الضعفاء:

**منها**: فتح الأبواب لوجهاء اللصوص، **ومنها**: الاجتماعات، **وزيارات** الأجانب وقت الدوام؛ **فيقال** للواقفين على الأبواب: الوزير **أو** المدير في اجتماع، **أو** عنده السفير الفلاني، **أو** شخص مهم! **أما** مَنْ فَوْقَ الوزير **فلا** أمل في لقائه.

**والخلاصة:** فلا علاقة لهم بالعمل، **ولا** بخدمة المواطنين، **ولا** معرفة لهم تمكنهم من البت، **ولا** أدوات تنفيذ؛ **مِمَّا** جعل الناس يبحثون عن حماية

حقوقهم بنفوسهم؛ **فهم** بين قاتل أو مقتول؛ **لأن** كل شيء فاسد.

## [قبول الصلح والحذر فيه]

**وَلاَ تَدْفَعَنَّ صُلْحًا دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ؛ للهِ فِيهِ رِضًى؛ فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ، وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ، وأَمْنًا لِبِلَادِكَ، وَلَكِنِ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ؛ فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ؛ فَخُذْ بِالْحَزْمِ، وَاتَّهِمْ فِي ذلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ: وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوٍّ لَكَ عُقْدَةً، أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً، فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ، وَارْعَ ذِمَّتَكَ بِالأَمَانَةِ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أَعْطَيْتَ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعًا مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ، وَتَشَتُّتِ آرَائِهِمْ - مِنَ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ، وَقَدْ لَزِمَ ذلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا اسْتَوْبَلُوا[1] مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ؛ فَلَا تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ، وَلَا تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ[2]، وَلَا تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ[3]؛ فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِئُ عَلَى اللهِ إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْنًا أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ[4]، وَحَرِيمًا يَسْكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ، وَيَسْتَفِيضُونَ إِلَى جِوَارِهِ[5]، فَلَا إِدْغَالَ[6]، وَلَا مُدَالَسَةَ[7]، وَلَا خِدَاعَ فِيهِ، وَلَا تَعْقِدْ عَقْدًا تُجَوِّزُ فِيهِ الْعِلَلَ، وَلَا تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ القَوْلِ بَعْدَ التَّأْكِيدِ وَالتَّوْثِقَةِ، وَلَا يَدْعُوَنَّكَ ضِيقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللهِ إِلَى طَلَبِ انْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ؛ فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضِيقٍ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ، وَفَضْلَ**

---

(1) **واستوبلوا:** وجدوه وبيلا، أي ثقيلا؛ استوبلت البلد: أي استوخمته واستثقلته، ولم يوافق مزاجك.

(2) **ولا تخيسن بعهدك:** أي لا تَغْدِرَنَّ؛ خَاسَ فلان بِذِمَّتِهِ: أي غَدَرَ ونَكَثَ.

(3) **ولا تَخْتِلَنَّ عدوك:** أي لا تَمْكُرَنَّ به؛ **خَتَلْتُهُ**: أي خدعتُه.

(4) **أفضاه بين عباده:** جعله مشتركا بينهم، لا يختص به فريق دون فريق.

(5) **ويستفيضون إلى جواره:** أي يتشرون في طلب حاجاتهم ومآربهم، أي ساكنين إلى جواره؛ فـ"إلى" هاهنا متعلقة بهذا المحذوف المقدر، كقوله تعالى:﴿**فِي تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ**﴾[النمل:12]: أي مُرْسَلًا إلى فرعون.

(6) **فلا إدغال:** أي لا إفساد؛ **والدَّغَلُ:** الفساد.

(7) **ولا مدالسة:** أي لا خديعة، يقال: فلان لا يوالس ولا يدالس، أي لا يخادع ولا يخون. **وأصل** الدَّلَسِ الظلمة، **والتدليس في البيع:** كتمان عيب السلعة عن المشتري.

**عَاقِبَتِهِ - خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ تَخَافُ تَبِعَتَـهُ، وَأَنْ تُحِيطَ بِـكَ مِـنَ اللهِ فِيـهِ طَلِبَـةٌ لَا تَسْتَقِيلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلَا آخِرَتَكَ.**

**أمره** أن يَقْبَلَ السِّلْمَ والصلح **إذا** دُعِيَ إليه؛ **لِمَا** فيه من دَعَةِ الجنود، وراحتهم من الهم، والأمن للبلاد؛ **قال** تعالى: ﴿**وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ**﴾[الأنفال:61]

**ولكن** ينبغي أن يحذر بعد الصلح **مِنْ** غائلة العدو وكيده؛ **فإنه** ربما قارب بالصلح ليتغفل: **أي** يطلب غفلتك، **ولا** تثق، **ولا** تسكن **إلى** حسن ظنك بالعدو، **وكن** كالطائر الحذر.

**ثم أمره** بالوفاء بالعهود، **قال:** واجعل نفسك جُنَّةً دون ما أعطيت: **أي** ولو ذهبت نفسك فلا تغدر.

**ثم** قال له ﷺ: **وقد** لَزِمَ المشركون مع شركهم الوفاء بالعهود، **وصار** ذلك لهم شريعة، وبينهم سُنَّةٌ! **فالإسلام** أولى باللزوم والوفاء.

**ثم نهاه** عن **أَنْ** يعقد عقدًا يُمْكِنُ فيه التأويلاتُ والعللُ وطَلَبُ المخارج.

**ونهاه** إذا عقد العقد بينه وبين العدو **أن** ينقضه مُعَوِّلًا على تأويل خَفِيٍّ، **أو** فحوى قول، **أو** يقول: **إنما** عنيت كذا، **ولم** أَعْنِ ظَاهِرَ اللفظة؛ **فإن** العقود **إنما** تعقد على ما هو ظاهر في الاستعمال، متداول في الاصطلاح والعرف، **لا** على ما في الباطن. **وروي** " انْفِسَاحِهِ" بالحاء المهملة: أي سَعَتِهِ.

## [فصل فيما جاء في الحذر من كيد العدو]

**جاء** في الحذر من كيد العدو، **والنهي** عن التفريط في الرأي، **والسكون** إلى ظاهر السلم **أشياء** كثيرة. **وكذا** في النهي عن الغدر، **والنهي** عن طلب تأويلات العهود وفسخها بغير الحق.

**وفي قول** الإمام: «للهِ فِيهِ رِضًى» شَرْطٌ مُهِمٌّ في الصلح؛ **لأن** من شروط صلح

المستعمرين المستكبرين تجاه الدول الضعيفة المستعمرة - **إقامة** حكومة عميلة، وموظفين أذناب، وجهاز إداري وعسكري يدور في فلك المستعمر؛ **فليس** في هذا الصلح **لله** فيه رضى، **بل** هو تفريط يغضب الله منه.

**ومن أبشع** صور نقض العهود والخيانة **نَقْضُ** هارون المسمى بالرشيد **لعهد** الأمان الذي كتبه للإمام يحيى بن عبدالله عليه السلام وسبعين رَجُلًا من أصحابه، **وشَرَطَ** على نفسه **أنه** إذا نقض العهد **فإن** ماله **وما** سيملكه صَدَقَةٌ على المسلمين، **وَأَنَّ** كل امرأة يتزوجها طالق منه ثلاثًا، **وكل** أمة أو عبد يملكه فهو حر.

**وعليه** الحج إلى بيت الله حافيًا، **وعليه** أغلظ الأيمان كلها، **ويخلع** نفسه من إمرة المسلمين، ويُبَرِّئُ الْأُمَّةَ من ولايته!! **ومع** ذلك فقد احتال لنقض العهد الذي خطه بيده؛ **فجمع** القضاة والفقهاء **وأمرهم** بالنظر إلى أمان يحيى، **وهل** إلى نقضه من سبيل أو حيلة من الحيل؟! **وكان** حاضرًا من الفقهاء محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله صاحب أبي حنيفة **فقال:** هذا أمان لا سبيل إلى نقضه، **ولو** أُلْجِئْتُ إلى أن أكتب مثله لَمَا أحسنتُ! **فَمَنْ** نقضه فعليه لعنة الله! **فحذفه** هارون بالدواة فَشَجَّهُ!

**وقال** الحسن بن زياد بصوت ضعيف: هو أمان! **وصححه** الفقهاء كافة!

**وقال** أبو البختري[1] مُتَقَرِّبًا إلى هارون: هو منتقض! **فجعله** هارون قَاضِيَ القضاة! **وقال** له: أنت أعلم بذلك! **فإن** كان مُنْتَقِضًا فَمَزِّقْهُ! **فقال** لمسرور: مَزِّقْهُ يا أبا هاشم! **فقال**: لا والله مَزِّقْهُ أَنْتَ! **فَمَزَّقَهُ** وَيَدُهُ تَرْتَعِشُ! **وَظَلَّ** الإمام يحيى في حبس هارون **حتى** هلك فيه!.

**والخلاف** في كيفية هلاكه **حاصل**: هل سَمُّوهُ، **أو** خنقوه، **أو** أجاعوه، **أو** بَنَوْا عليه، **أو** دفنوه حَيًّا؟![2].

---

(1) وهب بن أبي وهب، قاض، محدث، متهم بوضع الحديث والكذب. سير أعلام النبلاء 9/ 374، وتأريخ بغداد 3/ 451، ولسان الميزان 6/ 231.

(2) أخبار فخ 1/ 107، ومآثر الأبرار 1/ 321، ومقاتل الطالبيين 320، واليعقوبي 2/ 408.

**فَرَّطَ** عبد الله بن طاهر في أيام أبيه في أمر أَشْرَفَ فيه على العَطَبِ، ونجا بعد لَأْيٍ؛ **فكتب** إليه أبوه: أتاني يا بُنَيَّ من خبر تفريطك **ما** كان أَكْبَرَ عندي من نعيك لو وَرَدَ؛ **لأني** لم أَرْجُ قط ألا تموت! **وقد** كنت أرجو **ألا** تفتضح بترك الحزم والتيقظ.

**وروى** ابن الكلبي **أَنَّ** قيس بن زهير لما قَتَلَ حذيفة بن بدر ومن معه بِجَفْرِ الهباءة [موضع بعالية نجد] **خرج** حتى لحق بالنمر بن قاسط **وقال**: لا تنظر في وجهي غطفانية بعد اليوم! **فقال** يا: معاشر النمر، أنا قيس بن زهير، غريب، حريب، طريد، شريد، موتور، **فانظروا** لي امرأةً قد أَدَّبَهَا الغنى، وأَذَلَّهَا الفقر؛ **فزوجوه** بامرأة منهم؛ **فقال** لهم: إني لا أقيم فيكم حتى أُخْبِرَكُمْ بأخلاقي: أنا فخور، غيور، أَنِفٌ، **ولست** أفخر حتى أُبْتَلَى، **ولا** أغار حتى أرى، **ولا** آنَفُ حتى أُظْلَمَ؛ **فَرَضُوا** أخلاقه؛ **فأقام** فيهم حتى وُلِدَ له، **ثم** أراد أن يتحول عنهم، **فقال:** يا معشر النمر، **إِنَّ** لكم حقًّا عليَّ في مصاهرتي فيكم، وَمُقَامِي بين أظهركم؛ **وإني** موصيكم بخصال آمركم بها، وأنهاكم عن خصال:

1- **عليكم** بالأناة؛ **فَإِنَّ** بها تُدْرَكُ الحاجة، وتُنَالُ الفرصة. 2- **وتسويدِ** من لا تعابون بتسويده. 3- **والوفاءِ** بالعهود؛ **فإن** به يعيش الناس. 4- **وإعطاءِ** ما تريدون إعطاءه قبل المسألة. 5- **وَمَنْعِ** ما تريدون منعه قبل الإنعام. 6- **وإجارةِ** الجار على الدهر. 7- **وتنفيسِ** البيوت عن منازل الأيامى. 8- **وَخَلْطِ** الضَّيْفِ بالعيال.

**وأنهاكم**: 1- **عن** الغدر؛ **فإنه** عَارُ الدَّهْرِ. 2- **وعن** الرهان؛ **فإن** به ثَكِلْتُ مالكا أخي. 3- **وعن** البغي؛ **فَإِنَّ** به صُرِعَ زهيرٌ أبي. 4- **وعن** السَّرَفِ في الدماء؛ **فإن** قتلى أهل الهباءة أورثني العار. 5- **ولا** تُعْطُوا في الفُضُولِ فتعجزوا عن الحقوق. 6- **وأنكحوا** الأيامى الأكفاء؛ **فإن** لم تصيبوا بهن الأكفاء **فَخَيْرٌ** بيوتهن القبور.

**واعلموا** أني أصبحت ظالمًا ومظلومًا: **ظلمني** بنو بدر بقتلهم مالكا، **وظلمتُهم** بقتلي من لا ذنب له! **ثم** رحل عنهم إلى غمار [اسم وادٍ بنجد] **فتنصر** بها، **وَعَفَّ** عن المآكل **حتى** أكل الحنظل إلى أن مات.

## [سَفْكُ الدِّمَاءِ سَبَبُ زَوَالِ الدُّوَلِ]

**إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنِقْمَةٍ، وَلاَ أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ، وَلاَ أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ، وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ - مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا، وَاللهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِئٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَلاَ تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ؛ فَإِنَّ ذلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ، بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ، وَلاَ عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللهِ وَلاَ عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمدِ؛ لِأَنَّ فِيهِ قَوَدَ الْبَدَنِ، وَإِنِ ابْتُلِيتَ بِخَطأ وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ أَوْ يَدُكَ بِعُقُوبَةٍ؛ فَإِنَّ فِي الْوَكْزَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً[1]؛ فَلَا تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ.**

**قد** ذكرنا في وصية قيس بن زهير **آنِفًا** النهي عن الإسراف في الدماء، **وتلك** وصية مبنية على شريعة الجاهلية **مع** حميتها وتهالكها على القتل والقتال.

**وَوَصِيَّةٌ** أمير المؤمنين عليه السلام **مبنية** على الشريعة الإسلامية، **والنهي** عن القتل والعدوان الذي لا يُسِيغُهُ الدين، **وقد** ورد في الخبر المرفوع: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يَقْضِي اللهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ الْعِبَادِ أَمْرُ الدِّمَاءِ»[2].

**قال** الإمام عليه السلام: إنه ليس شيء أدعى إلى حلول النقم، وزوال النعم، وانتقال الدول - **مِنْ** سفك الدم الحرام، **وإنك** إن ظننت **أَنَّكَ** تُقَوِّي سلطانك بذلك **فليس** الأمر كما ظننت، **بل** تُضْعِفُهُ، **بل** تُعْدِمُهُ بالكلية.

**ثم عَرَّفَهُ** أن قتل العمد يوجب القَوَدَ، **وقال** له: " لِأَنَّ فِيهِ قَوَدَ الْبَدَنِ ": **أي** يجب عليك هَدْمُ صورتك **كما** هَدَمْتَ صورة المقتول؛ **والمراد** إرهابه بهذه اللفظة؛ **فإنها** أبلغ من أن يقول له: **فَإِنَّ** فِيهِ الْقَوَدَ فقط.

**ثم قال له:** إِنْ قَتَلْتَ خَطَأً أَوْ شِبْهَ عمد: كالضرب بالسوط **فعليك** الدية؛ **وهذا** عندنا **إذا**

---

(1) يريد أن الوكزة قاتلة؛ فإن موسى وكز القبطي فقتله بها. الديباج الوضي للإمام يحيى بن حمزة 5/ 2598.

(2) البخاري 6/ 2517 رقم6471، ومسلم 3/ 1304 رقم1678، وأحمد 1/ 388 رقم 3674، وغيرهم.

كانت إقامة الحد خطأ **فتجب** الدية من بيت المال، **وأما** إن كان يستحقّ الحدّ **فلا** دية عليه.

**وكلام** أمير المؤمنين عليه السلام **يدل** على أن المُؤَدِّبَ من الولاة **إذا** تَلِفَ تحت يده إنسان في التأديب **فعليه** الدية.

**نَقَلَ** التأريخ القديم صُوَرًا مروعة من سفك الدماء **كَنَزْوَةٍ** شخصية، **وَلَكِنَّ** الصورة الأكثر وحشية **ما** جرى بعد النبوة **حين** أطل برأسه معاوية حاصدًا – **تحت** راية الدين **كما يزعم** – مئات الألوف.

**وعَهِدَ** لولده بالاستعانة بأشهر السفاحين **مثل** المجرم مسلم بن عُقْبَةَ الْمُرِّيِّ، وعبيد الله بن زياد. **وجاء** مروان وبنوه بَدْأً بعبدالملك بن مروان **وما** أدراك ما عبدالملك؟! **فما** الْحَجَّاجُ **إلا** واحد من سفاحيه الكبار. **ولكن** لم يُوَطِّدْ سَفْكُ الدماء حُكْمَ بني أمية **بل** دارت عليهم الدوائر، **وذَهَبَتْ** دولتهم أدراج الريح، **وَقُتِلُوا** تحت كل شجر وحجر! **وهذا** لا يساوي شَيْئًا إزاء عقاب الجزاء الأخروي.

## [نصائح فيما ينبغي للوالي اجتنابه]

**وَإِيَّاكَ وَالإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ الإِطْرَاءِ؛ فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ؛ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ. وَإِيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ، أَوِ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ، أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ؛ فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الإِحْسَانَ، وَالتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ، وَالْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ؛ قَالَ اللهُ سبحانه: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[الصف:3].**

**وإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا، أَوِ التَّسَاقُطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا، أَوِ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ، أَوِ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ.**

**فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ، وَأَوْقِعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْقِعَهُ. وَإِيَّاكَ وَالاِسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ، وَالتَّغَابِيَ عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ؛ فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ،**

**وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ الأُمُورِ، وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ: امْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ، وَسَوْرَةَ حَدِّكَ ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ، وَغَرْبَ لِسَانِكَ، وَاحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذلِكَ: بِكَفِّ الْبَادِرَةِ، وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ، حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الاِخْتِيَارَ؛ وَلَنْ تُحْكِمَ ذلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ.**

**وَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ: مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ، أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنَاﷺ، أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ؛ فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا، وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَهِدْتُ إِلَيْكَ فِي عهْدِي هذَا، وَاسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ؛ لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا.**

**قد تكرر** بعض ما في هذه الفقرة فيما سبق، **وحَسُنَ** إيراده هنا **كَنَصَائِحَ** خَاصَّةٍ **لمن** يُنْصَبُ في موضع القيادة، **وَمِنْ** أَهَمِّ هذه النصائح:

1- **عَدَمُ** الإعجابِ بالنفس والثقة الزائدة بالذات؛ **فَاتِّهَامُ** النفس بالتقصير **أدعى** إلى المزيد من العمل في مرضاة الله، **وإِصْلَاحِ** شؤون الرعية.

**ومما** ورد عن النبيﷺ في هذا الشأن **قَوْلُهُ**: «ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ»[1]، **وقَوْلُهُ**: «النَّاسُ لِآدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ»[2]؛ فما لِابْنِ آدَمَ وَالْفَخْرَ والْعُجْبَ! **وقَوْلُهُ**: «الْجَارُّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ **لَا** يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[3]، **وقَوْلُهُ**: وقد رأى أبا دُجَانَةَ يَتَبَخْتَرُ: «**إِنَّهَا** لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ **إِلَّا** بَيْنَ الصَّفَّيْنِ»[4]. **وقال** عليعليه السلام: «لَا وَحْشَةَ أَشَدُّ مِنَ الْعُجْبِ»[5].

---

(1) الطبراني في الأوسط 5/ 328 رقم5452، وابن أبي شيبة 7/ 503 رقم37572.

(2) نحوه في مسند أحمد 2/ 523 رقم10791، وأبي داود 4/ 331 رقم5116.

(3) البخاري رقم3465، ومسلم رقم2085، وأحمد 2/ 9 رقم4567، ومالك 2/ 914 رقم1628، وغيرهم.

(4) نحوه في: الطبراني في الكبير 7/ 104 رقم6508، وابن هشام 3/ 711، وتأريخ الطبري 2/ 64، والبداية والنهاية 2/ 337.

(5) نهج البلاغة: قصار الحكم رقم 113 بلفظ: "ولا وحدة أوحش من العجب". وينظر: كنز العمال رقم44396، وتأريخ دمشق 42/ 509، 513.

2- **تَرْكُ** حُبِّ الإطراء، وَعَدَمُ الاستماع إلى المدَّاحين؛ **لأن** ذلك من أسباب الإعجاب. **وقد** ناظر الْمَأْمُونُ مُحَمَّدَ بْنَ القاسم النُّوشَجَانِيَّ المتكلم؛ **فجعل** يصدقه ويُطْرِيهِ ويستحسن قوله؛ **فقال** المأمون: يا محمد، أراك تنقاد إلى ما تظن أنه يسرني قبل وجوب الحجة لي عليك، وتُطْرِينِي بما لست أحب أن أُطْرَى به، **وتستخذي** لي في المقام الذي ينبغي **أن** تكون فيه مُقَاوِمًا لي، ومُحْتَجًّا عَلَيَّ، **ولو** شئتُ أَنْ أَقْسِرَ الأمور بفضلِ بَيَانٍ، وَطُولِ لِسَانٍ، وَأَغْتَصِبَ الْحُجَّةَ بقوة الخلافة، وَأُبَّهَةِ الرياسةِ **لَصُدِّقْتُ** وإن كنتُ كاذبًا، **وَعُدِّلْتُ** وإن كنتُ جائرًا، **وَصُوِّبْتُ** وإن كنتُ مُخْطِئًا! **لكني** لا أرضى **إلا** بِغَلَبَةِ الحُجَّةِ، ودَفْعِ الشُّبْهَةِ.

**وإنَّ** أَنْقَصَ الملوك عَقْلًا، وأَسْخَفَهُمْ رَأْيًا **مَنْ** رَضِيَ بقولهم: صدق الأمير.

3- **الإِبْتِعَادُ** عَنِ الْمَنِّ؛ **لأن** الْمَنَّ يُحوِّلُ الإحسان إلى إساءة؛ **قال** تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ**﴾[البقرة:264].

**وكان** يقال: المنُّ مَحَبَّةٌ للنفس، مَفْسَدَةٌ للصنع.

4- **التَّرَيُّثُ** والْأَنَاةُ فيما يستدعيه التَّرَيُّثُ، **ولا** يُخْشَى عليه الْفَوْتُ **أو** تَضُرُّ به العجلة، وَاقْتِنَاصُ الْفُرَصِ السَّانِحَةِ، وَعَدَمُ تَأْخِيرِهَا إِذَا حَانَ وَقْتُهَا؛ **وكان** يقال: أصاب مُتَثَبِّتٌ أو كاد، وأخطأ عَجِلٌ أو كاد. **وفي** المثل: "رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا"، **وقد** ذمها تعالى **فقال**: ﴿**خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ**﴾[الأنبياء:37]. **قال** الشاعر:

**فَإِذَا أَمْكَنَتْ فَبَادِرْ إِلَيْهَا ... حَذَرًا مِنْ تَعَذُّرِ الْإِمْكَانِ**

**وقال** زهير:

**قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ ... وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ**

**وَرُبَّمَا فَاتَ قَوْمًا جُلُّ أَمْرِهِمُ ... مِنَ التَّأَنِّي وَكَانَ الرَّأْيُ لَوْ عَجِلُوا**

5- **حِسَابُ** ما تؤول إليه الأمور: **أي** انظر لمخرجك قَبْلَ مدخلك؛ **فما** وَضَحَ في عاقبته، **وكان** صلاحًا لأمورك وأمور الرعية **فَأَقْدِمْ** عليه، **ولا** تتهاون في طلبه.

**وما لم** يتضح لك وجهه وعاقبته **فإياك** أن تَلِجَ فيه. **قال** الشاعر:

**إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَرَدَّدَا**

6- **تَرْكُ** الحرص والجشع على الشيء **عند** حضوره. **قال** الشنفرى:

**وَإِنْ مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ**

7- **الْوَفَاءُ** بالعهد وعَدَمُ الإخلاف في الوعد؛ **قال** الله في إسماعيل ﴿**وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا**﴾[مريم:54]. **وكان** يقال: وَعْدُ الكريم نَقْدٌ وتعجيل، ووعد اللئيم مَطْلٌ وتعطيل.

**وكتب** بعض الكُتَّابِ: وحُقَّ لِمَنْ أَزْهَرَ بِقَوْلٍ أَنْ يُثْمِرَ بِفِعْلٍ. **وقال** أعرابي في إِكْثَارِ الناس للمواعيد: بِئْسَ الشَّيْءُ الْوَعْدُ: مَشْغَلَةٌ لِلْقَلْبِ الْفَارِغِ، مَتْعَبَةٌ لِلْبَدَنِ الْخَافِضِ: خَيْرُهُ غَائِبٌ، وَشَرُّهُ حَاضِرٌ!.

**وفي** الحديث المرفوع: «عِدَةُ الْمُؤْمِنِ كَأَخْذٍ بِالْيَدِ»[1]، **فأما** أمير المؤمنين عليه السلام **فَأَكَّدَ** أَنَّ إخلاف الوعد يوجب المقت، **واستشهد** عليه بالآية: **وَالْمَقْتُ**: الْبُغْضُ.

8- **الإِيْثَارُ** عن الاستئثار في الحقوق العامة؛ **وهذا** هو الْخُلُقُ النبوي الكريم. **غَنِمَ** رسول الله ﷺ في حنين غنائم كثيرة؛ **فتبعه** الناس يطلبون الغنائم وقِسْمَتَهَا، **وهو** ساكت، **فأكثروا** عليه، **فَمَرَّ** بشجرة فخطفت رداءه؛ **فقال**: «رُدُّوا عَلَيَّ رِدَائِي، **فَلَوْ** مَلَكْتُ بِعَدَدِ رَمْلِ تِهَامَةَ مَغْنَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ عَنْ آخِرِهِ! **ثُمَّ** لَا تَجِدُونَنِي بَخِيلًا وَلَا جَبَانًا»، **وَنَزَلَ** وقسم ذلك المال عن آخره عليهم كله، لم يأخذ لنفسه منه وَبَرَةً !.

**فالإمام** عليٌّ يُحَذِّرُ الْوُلَاةَ **أَنْ** يَخُصُّوا أنفسهم **أَوْ** غَيْرَهُمْ **في** الحقوق العامة بكثير **أو** قليل؛ **فالناس** متساوون **لا** فرق بين كبير **أو** صغير، **أو** بين قريب وبعيد، **أو** بين مسلم وغير مسلم، **أو** بين عربي **أو** أجنبي؛ **لأن** هؤلاء جَمِيعًا هو الذي يُعَبَّرُ عنهم بلفظة «الناس». **ثم** يشدد على هذا المعنى خشية أن يَلْتَبِسَ على الولاة

(1) كنز العمال رقم6870 عن علي.

ما أراد: **وهو** أن البشر جميعًا متساوون في الحقوق؛ **فأكد** أَنَّ كل إنسان: **إما** أخ في الدين، **أو** نظير في الْخَلْقِ.

9- **عَدَمُ** التغابي عن أخطاء الخاصة والأقارب: **وصورة ذلك** أن الأمير يُومَى إليه أَنَّ فُلَانًا من خاصته يفعل كذا، ويفعل كذا من الأمور المنكرة ويرتكبها سِرًّا! **فيتغابى** عنها ويتغافل وهو مسؤول عنها، **نَهَاهُ** ﷺ عن ذلك **وقال**: إنك مأخوذ منك لغيرك: **أي** معاقب بما فعله غيرك، **وعندما** تنكشف الأمور **فإن** الرعية **سَتُحَمِّلُكَ** مسؤولية سكوتك عن المظالم التي رُفِعَتْ إليك، **وسوف** تَنْتَصِفُ مِنْكَ للمظلوم، **ولنا** اليوم عبرة بما حدث لحكام اليوم؛ **وما** جلبوه لأنفسهم وذويهم؛ **فخسروا** الدنيا والآخرة.

10- **عَدَمُ** الغضب، **وعَدَمُ** الحكم بما تقتضيه قوته الغضبية **حتى** يسكن غضبه؛ **وقد** جاء في الخبر المرفوع: «لا يَقْضِي الْقَاضِي وَهْوَ غَضْبَانُ»[1]؛ **فإذا** كان قد نهى أن يَقْضِيَ الْقَاضِي وهو غضبان على غير صاحب الخصومة- **فبالأولى** أن ينهى الأمير عن أن يَسْطُوَ على إنسان وهو غضبان عليه؛ **لأن** الغضب يجعل صاحبه مِلْكًا لجهله وهواه، **ولا** يكون القرار حينئذ مملوكًا له؛ فتطيش يده بما لا يحل، وينطق لسانه بما لا يجوز.

**وكان** لكسرى أنوشروان صَاحِبٌ قد رَتَّبَهُ ونَصَبَهُ لهذا المعنى **يقف** على رأس الْمَلِكِ يوم جلوسه، **فإذا** غضب على إنسان وأمر به **قَرَعَ** سِلْسِلَةَ تَاجِهِ بقضيب في يده، **وقال** له: إنما أنت بشر؛ فَارْحَمْ من في الأرض يَرْحَمْكَ من في السماء.

11- **الْإِكْثَارُ** من ذكر الوقوف بين يدي الله ﴿**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾[الشعراء:88،89]، **يوم** لا تنفع البطانة **ولا** الحاشية **ولا** المحسوبون **ولا** الْمُصَفِّقُونَ؛ **لأن** كلا منهم يومئذ بنفسه مشغول، **وعن** ذنبه مسؤول، **ومن** هَوْلِ الموقف مذهول.

---

(1) شرح التجريد 6/ 72، والبخاري 6/ 2616 رقم6739، ومسلم 3/ 1342 رقم1717، وغيرهم.

12- **تَذَكُّرُ** وَاسْتِحْضَارُ ما مضى من محاسن الحكومات العادلة، **وتَذَكُّرُ** الآياتِ القرآنية، والآثارِ النبوية، وسيرة الأئمة الهادين، والاقتداءِ بهم، والاستفادةِ من أعمالهم، وسلوك نهجهم، **وعلى** رأسهم إمام الهدى علي بن أبي طالب عليه السلام.

13- **الاجتهادُ** في تطبيق هذا العهد **وما** فيه من الوصايا والنصائح الصادرة **مِنْ** إمام الهدى **عن** عِلْمٍ عَرَفَهُ **مِنْ** كتاب الله تعالى، **ومن** رسوله الكريم، **ومن** خبرته العميقة، **وما** واجه من أحداث تَهُدُّ الجبال .

**وختم** الإمام عليه السلام وصاياه بتعليل مختصر لدواعي هذا العهد بقوله: (**اسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ؛ لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا**).

**لو** تعلم يا أمير المؤمنين **إلى** أي مدى وصل العالم في معرفة النفس **ولا** سيما بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية **اللتين** ذهبتا بمئات الملايين من القتلى والجرحى، والتدمير الرهيب؛ **فَوَضَعَتِ** الشعوب المتحضرة حواجز أمام الغرور الفردي، والإعجابِ بالنفس **إلى** درجة الجنون، **بل** إلى درجة الصنمية؛ **فوضعت** للقضاء سلطة مستقلة، **ولوسائل** الإعلام حرية تامة **لا** تخضع للسلطة، **وأنشأت** البرلمانات إزاء السلطة التنفيذية، **وضبطت** مدة بقاء الرؤساء ورؤساء الحكومات بفتراتٍ محددة؛ **فهم** يأتون إلى السلطة برغبة شعوبهم، **ويذهبون** باختيارها، **ولا** يفخر أحدهم **إلا** بما قدم لبلاده، **وقد** يعمل بعضهم 19 ساعة في اليوم والليلة، **ورغم** الجهد المضني؛ **فإنه** لا يسلم من النقد الْمُرِّ، والعتابِ اللاذع! **ولا يرى** في ذلك نُكْرَانًا لجهده! **بل** هو الواجب الذي التزم به الجميع! **ولو** أخطأ **استدعته** الشرطة للتحقيق! **ولا** حرج أن يعود مواطنًا عاديا بعد الرئاسة أو رئاسة الوزراء.

**لكن** الأمر عند المعجبين بأنفسهم **مختلف**؛ فالأمر كما يلي:

1- **جميع** وسائل الإعلام تُسَبِّحُ بحمده، وتقدس بمجده، **ولا** تَفْتُرُ ليل نهار **في** كيل المديح، وَسَرْدِ الْأَلْقَابِ: **مِنْ** حَكِيمٍ، وَمُلْهَمٍ، وَرَمْزٍ... إلخ.

2- **يُطْلَقُ** اسمه على جميع المرافق **حتى** المقاهي! **فيقال:** شارع فلان، مستشفى فلان ... إلخ، **بل** يقال: شَعْبُ فلان.

3- **تُنْثَرُ** صورته في الشوارع، والصحف، والمكاتب، وجميع المرافق بصورة تكاد تفوق عدد الخبز.

4- **تمتلئ** الصحف بالتهاني مع الصور على اختلاف أحجامها في المناسبات وهي أكثر من عدد أيام السنة.

5- **تتسابق** الوزارت والمؤسسات الحكومية بتقديم التهاني **على** صفحات الجرائد الرسمية والشعبية **مقابل** مبالغ ضخمة.

6- **كل** متحدث يحاول إقحام صاحب الفخامة **أو** الجلالة **أو** السمو، **ويُسْنِدُ** إليه نجاح العمل **حتى** بائع البيض.

7- **تَرَاكَمَ** مَفْهُومُ الْأَنَا، **وتَفَخَّمَ** في نفوس الرؤساء والملوك والأمراء **حتى** صَدَّقُوا أنهم قِوامُ الحياة! **ولولا هم** لانكسفت الشمس، وركدت الريح! ﴿**قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ**﴾[عبس:17-23].

**نَسِيَ الطِّينُ سَاعَةً أَنَّهُ طِينٌ حَقِيرٌ فَصَالَ تِيهًا وَعَرْبَدْ**
**وَكَسَى الْخَزُّ جِسْمَهُ فَتَبَاهَى وَحَوَى الْمَالَ كِيسُهُ فَتَمَرَّدْ**

8- **لو** أَساءَ إلى الله تعالى مُسِيءٌ **لَمَا** لاحقته أجهزة المعجبين بأنفسهم!

**ولكن** لِأُمِّهِ الْوَيْلُ **لو** فَلَتَتْ منه كلمة تُسِيءُ لهم.

9- **الغالب** أن تَسْرِيَ الْعَدْوَى؛ **لأن** الناس على دين ملوكهم؛ **وأعضاء** الحزب بعد قائدهم، وهكذا؛**فَكُلٌّ** فتاة بأبيها معجبة، **وفي** الْمَثَلِ: «الْقِرْدُ في عَيْنِ أُمِّهِ غَزَالٌ»! **وصدق** الله القائل: ﴿**كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾[المؤمنون:53، والروم:32]، ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾[الكهف:103-104].

**وختم** سلام الله عليه العهد **بهذا** الدعاء الشريف ، **ومنه** تَعَلَّمَ النَّاسُ فَنَّ الدُّعَاءِ:

**وَأَنَا أَسْأَلُ اللهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ- أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فيهِ رِضَاهُ: مِنَ الإِقَامَةِ عَلَى الْعُذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ، مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ، وَجَمِيلِ الأَثَرِ فِي الْبِلاَدِ، وَتَمَامِ النِّعْمَةِ، وَتَضْعِيفِ الْكَرَامَةِ، وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ؛ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ، وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه و على آله الطيبين الطاهرين.**

**روي**: " كُلُّ رغيبة: **والرَّغِيبَةُ** ما يُرْغَبُ فيه، **فأما** الرغبة فمصدر رَغِبَ في كذا، **كأنه** قال: القادر على إعطاء كل سؤال: **أي** إعطاء كل سائل ما سأله.

**ومعنى قوله**: "من الإقامة على العذر ": **أي** أسأل الله أن يوفقني للإقامة على الاجتهاد، وبذل الوسع في الطاعة؛ **وذلك** لأنه إذا بذل جهده **فقد** أعذر.

**ثم** فَسَّرَ اجتهاده في ذلك في رضى الخلق، **ولم** يفسر اجتهاده في رضى الخالق؛ **لأنه** معلوم؛ **فقال**: هو حُسْنُ الثناءِ في العباد، وجميل الأثر في البلاد.

**فإن قلت:** فقوله: " وتمام النعمة " **على** ماذا تعطفه؟ **قلت:** هو معطوف على "**ما**" مِنْ قوله "لِمَا فِيهِ": **كأنه** قال: أسال الله توفيقي لذا ولتمام النعمة: **أي** ولتمام نعمته عَلَيَّ، وتَضَاعُفِ كَرَامَتِهِ لَدَيَّ؛ **وَتَوْفِيقُهُ** لَهُمَا **هُوَ** تَوْفِيقُهُ للأعمال الصالحة التي يستوجبهما بها.

**حَقًّا** يا أمير البيان، **لقد** جمعت في عهدك الخالد **ما لم** تجمع الْأُمَمُ مُجْتَمِعَةً مِثْلَهُ **كما** قال الأستاذ الكبير جورج جرداق في كتابه «عَلِيٌّ صوتُ العدالة» عند المقارنة **بين** هذا العهد، **وبين** وثيقة حقوق الإنسان **التي** نشرتها هيئة الأمم المتحدة: **قَلَّ** أَنْ تَجِدَ فيها بَنْدًا إِلَّا وَتَجِدَ لَهُ مَثِيلًا في دستور ابن أبي طالب! **ثم** تجد في دستوره ما يعلو ويزيد!

**ثم** يستطرق المنصف المسيحي لحديثه في المقارنة بين العهد العلوي، ووثيقة حقوق الإنسان؛ **فيعدد** من الفروق **ما** يمتاز به الْعَهْدُ العلوي **على** الوثيقة بقوله:

**الفرق الأول:** هو أن الوثيقة الدولية لإعلان حقوق الإنسان وَضَعَهَا أُلُوفٌ مِنَ الْمُفَكِّرِينَ ينتمون لمعظم دول الأرض **أَوْ** لَهَا جميعا، **فيما** وَضَعَ

الدُّسْتُورَ الْعَلَوِيَّ عبقري **واحد** هو علي بن أبي طالب.

**الفرق الثاني:** هو أن علي بن أبي طالب **يسبق** واضعي هذه الوثيقة ببضعة عشر قرنًا.

**الفرق الثالث:** هو أن واضعي هذه الوثيقة **أو** جامعي شروطها، **وهو** القول أصح - **قد** ملأوا الدنيا عَجِيجًا فَارِغًا حَوْلَ مَا صَنَعُوا وما يصنعون، **وأكثروا** من الدعاوى لأنفسهم **على** صورة ينفر منها الصدق والذوق جَمِيعًا، **وأزعجوا** الإنسان بمظاهر غرورهم، **وَحَمَّلُوهُ** ألف مِنَّةٍ وأَلْفَ حِمْلٍ ثقيل؛ **فيما** تَواضَعَ ابْنُ أبي طالب للنَّاسِ وَرَبِّ الْعَالَمِينَ **فلم** يَسْتَعْلِ **ولم** يستكبر! **بل** رجا الله والناس **في** أن يغفروا له ما عمل وما لم يعمل.

**الفرق الرابع:** والأهم **هو** أن معظم هذه الدول المتحدة **ساهمت** في وضع وثيقة حقوق الإنسان، **واعترفت** بها، **بينما** هي التي تَسْلُبُ الإنسان حقوقه؛ **فينتشر** جنودها في كل ميدان تمزيقًا لهذه الوثيقة، وهَدْرًا لهذه الحقوق.

**فيما** مَزَّقَ ابْنُ أبي طالب صور الاستبداد والاستئثار **حيث** حطت له قدم، **وحيث** سُمِعَ له قول، **وحيث** تَلَامَعَ سَيْفُهُ مع نور الشمس، وَسَوَّى بها الأرض، ومشى عليها الأقدام، **ثم** قَضَى شَهِيدَ الدفاعِ **عن** حقوق الأفراد والجماعات **بعد** أَنِ اسْتُشْهِدَ في حياته أَلْفَ مَرَّةٍ.

**حَقًّا** إن هذا المسيحي الرائع وزملاء له **عَرَفُوا** الإمام عليا أكثر من الشيعة.

## ذِكْرُ بعض وصايا العرب

**ينبغي** أن يُذْكَرَ في هذا الموضع وصايا **مِنْ** كلام قوم من رؤساء العرب **أَوْصَوْا** بها أولادهم ورهطهم، **فيها** آداب حسان، وكلام فصيح، **وهي** مناسبة لعهد أمير المؤمنين عليه السلام هذا، ووصاياه المودعة فيه، **وإن** كان كلام أمير المؤمنين عليه السلام أجل وأعلى من أن يناسبه كلام؛ **لأنه** قَبَسٌ من نور الكلام الإلهي، وفرع من دوحة المنطق النبوي.

**من وصية** أوس بن حارثة جَدِّ الْأَوْسِ وأخي الخزرج **لابنه** مالك: يا مالك:

المنية ولا الدنية، والعتاب قبل العقاب، والتجلد لا التبلد.

**واعلم** أن القبر خير من الفقر، **وَمِنْ** كَرَمِ الكريم الدَّفْعُ عن الحريم، **وَمَنْ** قَلَّ ذَلَّ، **وخَيْرُ** الْغِنَى الْقَنَاعَةُ، **وَشَرُّ** الفقر الخضوع.

**الدَّهْرُ** صَرْفَانِ: **صَرْفُ** رَخَاءٍ، **وَصَرْفُ** بَلَاءٍ، **وَالْيَوْمُ** يَوْمَانِ: **يَوْمٌ** لَكَ، **وَيَوْمٌ** عَلَيْكَ، **فإذا** كان لك فلا تَبْطَرْ، **وإذا** كان عليك فاصطبر، **وكلاهما** سينحسر، **وكيف** بالسلامة لمن ليست له إقامة، **وَحَيَّاكَ** رَبُّكَ.

**وأوصى** الحارث بن كعب بنيه **فقال:** يا بَنِيَّ، **قد** أتت عَلَيَّ مِائَةٌ وَسِتُّونَ سَنَةٌ **ما** صَافَحَتْ يميني يمين غادر، **ولا** قَنِعْتُ لنفسي بِخَلَّةِ فاجر، **ولا** صَبَوْتُ بِابْنَةِ عَمٍّ، **وَلَا** كَنَّةٍ[امرأة الابن]، **ولا** بُحْتُ لصديق بسر، **ولا** طرحت عن مُومِسَةٍ قناعًا؛ **فاحفظوا** عَلَيَّ وصيتي، **وَإِلَهَكُمْ** فاتقوا **يَكْفِكُمْ** ما أهمكم، **ويُصْلِحْ** لكم حالكم، **وإياكم** ومَعْصِيَتَهُ؛ **فَيُحِلُّ** بكم الدمار، **ويُوحِشُ** منكم الديار. **كونوا** جميعًا ولا تفرقوا **فتكونوا** شِيَعًا ، **وَبُزُّوا** قبل أن تُبَزُّوا ؛ **فَمَوْتٌ** في عِزٍّ **خير** من حياة في ذل وعجز، **وكل** ما هو كائن كائن، **وكل** جمع إلى تباين، **والدهر** صرفان: **صرف** بلاء، **وصرف** رخاء. **واليوم** يومان: **يَوْمٌ** حَبْرَةٌ، **ويَوْمٌ** عَبْرَةٌ. **والناس** رجلان: **رجل** لك، **ورجل** عليك.

**زوجوا** النساء الأكفاء، **وإلا** فانتظروا بهن القضاء، **وليكن** أَطْيَبُ طِيبِهِنَّ الْمَاءَ، **وإياكم** والْوَرْهَاءَ[الحمقاء]؛ **فإنها** أَدْوَى الدَّاءِ، **وإن** ولدها إلى أَفَنٍ يكون. **لا** راحة لقاطع القرابة. **وإذا** اختلف القوم أمكنوا عدوهم، **وآفَةُ** العدد اختلاف الكلمة؛ **والتَّفَضُّلُ** بِالْحَسَنَةِ يَقِي السَّيِّئَةَ، **وَالْمُكَافَأَةُ** بالسيئة دُخُولٌ فيها، **وَعَمَلُ** السوء يزيل النعماء. **وقطيعه** الرحم تورث الهم. **وانتهاك** الحرمة يزيل النعمة. **وعقوق** الوالدين يُعْقِبُ النكد، ويخرب البلد، ويمحق العدد. **والإسراف** في النصيحة هو الفضيحة. **والحِقْدُ** مَنْعُ الرِّفْدِ. **ولُزُومُ** الخطيئة يُعْقِبُ البلية. **وسُوءُ** الدَّعَةِ يقطع أسباب المنفعة، **والضغائن** تدعو إلى التباين. **يا بَنِيَّ** إني قد أكلت مع أقوام وشربت **فذهبوا** وغَبَرْتُ،

**وكأني** بهم قد لحقت، **ثم قال:**

**أَكَلْتُ شَبَابِي فَأَفْنَيْتُهُ وَأَبْلَيْتُ بَعْدَ دُهُورٍ دُهُورَا**
**ثَلَاثَةَ أَهْلِينَ صَاحَبْتُهُمْ فَبَادُوا وَأَصْبَحْتُ شَيْخًا كَبِيرَا**
**قَلِيلَ الْعِظَامِ عَسِيرَ الْقِيَا مِ قَدْ تَرَكَ الدَّهْرُ خَطْوِي قَصِيرَا**
**أَبِيتُ أُرَاعِي نُجُومَ السَّمَا ءِ أُقَلِّبُ أَمْرِي بُطُونًا ظُهُورَا**

**وَصَّى** أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ بَنِيهِ ورهطه من بني تميم **فقال:** الهوى يقظان والعقل راقد. والشهوات مطلقة والحزم معقول. والنفس مهملة وَالرَّوِيَّةُ مقيدة؛ **وَمِنْ** جِهَةِ التواني وتَرْكِ الرَّوِيَّةِ **يَتْلَفُ** الحزم. **ولن** يَعْدَمَ المُشَاوِرُ مُرْشِدًا. **والمستبد** برأيه **موقوف** على مداحض الزلل. **ومَنْ** سَمَّعَ سُمِّعَ به. **ومصارع** الرجال تحت بروق الطمع. **ولو** اعْتُبِرَتْ مواقعُ المحن **ما** وُجِدَتْ **إلا** في مقاتل الكرام. **وعلى** الاعتبار **طريقُ** الرشاد. **وَمَنْ** سلك الجَدَدَ **أَمِنَ** العثارَ. **ولن** يَعْدَمَ الحسودُ **أن** يُتْعِبَ قَلْبَهُ، **وَيَشْغَلَ** فِكْرَهُ، **وَيُورِثَ** غَيْظَهُ، **ولا** تُجَاوِزُ مَضَرَّتُهُ نَفْسَهُ.

**يا بني** تميم: **الصبر** على جُرَعِ الْحِلْمِ **أَعْذَبُ** مِنْ جَنْيِ ثمر الندامة. **وَمَنْ** جعل عِرْضَهُ دون ماله **استهدف** للذم. **وَكَلْمُ** اللسان **أنكى** من كَلْمِ السِّنَانِ. **والكلمة** مرهونة **ما لم** تَنْجُمْ من الفم، **فإذا** نجمت **فهي** أَسَدٌ مُحَرَّبٌ، **أو** نار تَلَهَّبُ. **وَرَأْيُ** الناصح اللبيب **دَلِيلٌ** لا يجوز. **ونفاذ** الرأي في الحرب **أجدى** من الطعن والضرب.

**وأوصى** يزيد بن الْمُهَلَّبِ ابنه مَخْلَدًا حين استخلفه على جُرْجَانَ؛ **فقال** له: يا بُنَيَّ، قد استخلفتك على هذه البلاد **فانظر** هذا الحي من اليمن **فكن** لهم كما قال الشاعر:

**إِذَا كُنْتَ مُرْتَادَ الرِّجَالِ لِنَفْعِهِمْ فَرِشْ وَاصْطَنِعْ عِنْدَ الَّذِينَ بِهِمْ تَرْمِي**

**وانظر** هذا الحي من ربيعة ؛ **فإنهم** شيعتك وأنصارك؛ **فَاقْضِ** حقوقهم. **وانظر** هذا الحي من تميم: **لا** تُدْنِهِمْ فيطمعوا، **ولا** تُقْصِهِمْ فيقطعوا. **وانظر** هذا الحي من قيس؛ **فإنهم** أكفاءُ قومك في الجاهلية، **ومناصفوهم** الْمَآثِرَ في الإسلام؛ **وَرِضَاهُمْ** منك البِشْرُ.

**يا بُنَيَّ** إن لأبيك صنائع فلا تفسدها؛ **فإنه** كفى بالمرء نَقْصًا **أن** يهدم ما بنى أبوه.

**وَإِيَّاكَ** والدماء؛ **فإنه** لا تَقِيَّةَ معها. **وَإِيَّاكَ** وَشَتْمَ الأعراض؛ **فإن** الحر لا يُرْضِيهِ عن عِرْضِهِ عِوَضٌ. **وَإِيَّاكَ** وضَرْبَ الأبشار؛ **فإنه** عَارٌ بَاقٍ، وَوِتْرٌ مطلوب. **واستعمل** على النجدة والفضل **دون** الهوى، **ولا** تعزل **إلا** عن عجز **أو** خيانة، **ولا** يمنعك من اصطناع الرجل **أن** يكون غيرُك قد سبقك إليه؛ **فإنك** إنما تصطنع الرجال لفضلها؛ **وليكن** صنيعك عند من يُكَافِئُكَ عنه العشائرُ. **احْمِلِ** الناسَ على أحسن أدبك يَكْفُوكَ أنفسهم. **وإذا** كتبت كتابًا **فأكثر** النظر فيه. **وليكن** رسولك فيما بيني وبينك **مَنْ** يَفْقَهُ عَنِّي وَعَنْكَ؛ **فإن** كتاب الرجل مَوْضِعُ عَقْلِهِ، **وَرَسُولُهُ** مَوْضِعُ سِرِّهِ، **وَأَسْتَوْدِعُكَ** اللهَ؛ **فلا** بد لِلْمُوَدِّعِ **أن** يسكت، **ولِلْمُشَيِّعِ** أن يرجع. **وما** عَفَّ من المنطق **وَقَلَّ** من الخطيئة **أَحَبُّ** إلى أبيك.

**وأوصى** قيس بن عاصم الْمِنْقَرِيُّ بنيه؛ **فقال** يا بَنِيَّ: خُذُوا عَنِّي **فَلَا** أَحَدَ أَنْصَحُ لكم مني: **إذا** دفتموني فانصرفوا إلى رحالكم، فَسَوِّدُوا أكبركم؛ **فَإِنَّ** الْقَوْمَ **إذا** سَوَّدُوا أكبرهم خَلَفُوا أباهم، **وإذا** سودوا أصغرهم أزرى ذلك بهم في أكفائهم. **وَإِيَّاكُمْ** ومعصية الله، وقطيعة الرحم. **وتمسكوا** بطاعة أمرائكم؛ **فإنهم** مَنْ رفعوا ارتفع، **وَمَنْ** وضعوا اتضع [يحمل على أهل العدل]. **وعليكم** بهذا المال فأصلحوه؛ **فإنه** مَنْبَهَةٌ للكريم، وَجُنَّةٌ لعِرْضِ اللئيم. **وَإِيَّاكُمْ** والمسألة؛ **فإنها** آخر كسب الرجل، **وإِنَّ** أَحَدًا لم يسأل **إلا** تَرَكَ الكسب. **وَإِيَّاكُمْ** والنياحة؛ **فإني** سمعت رسول اللهﷺ **ينهى** عنها. **وادفنوني** في ثيابي التي كنت أصلي فيها وأصوم. **وخُذُوا** عني ثلاث خصال: **إِيَّاكُمْ** وكل عرق لئيم أَنْ تُلَابِسُوهُ؛ **فإنه** إِنْ يَسُرْكُمُ اليومَ يَسُؤْكُمْ غدا. **واكظموا** الغيظ. **واحذروا** بَنِيَّ أعداء آبائكم؛ **فإنهم** على منهاج آبائهم، **ثم قال:**

**أَحْيَا الضَّغَائِنَ آبَاءٌ لَنَا سَلَفُوا فَلَنْ تَبِيدَ وَلِلْآبَاءِ أَبْنَاءُ**

**قال ابن الكلبي:** فيحكي الناس هذا البيت سابقًا للزبير **وما** هو **إلا** لقيس بن عاصم.

**وأوصى** عمرو بن كلثوم التغلبي بنيه **فقال:** إني والله ما عَيَّرْتُ رَجُلًا قط أَمْرًا **إلا** عَيَّرَنِي مِثْلَهُ: **إِنْ** حَقًّا فَحَقٌّ، **وَإِنْ** بَاطِلًا فباطل، **ومَنْ** سَبَّ سُبَّ؛ **فكفوا** عن الشتم؛ **فإنه** أسلم لأعراضكم. **وصِلُوا** أرحامكم تُعْمَرْ دَارُكُمْ. **وأكرموا** جاركم بحسن ثنائكم.

## ومن كتاب أردشير بن بَابِكَ إلى بنيه والملوك من بعده:

**رَشَادُ** الوالي خَيْرٌ للرعية **من** خَصْبِ الزَّمَانِ. **المُلْكُ** والدِّينُ توأمان **لا** قوام لأحدهما **إلا** بصاحبه؛ **فالدين** أُسُّ الملك وعماده، **ثم** صار المُلْكُ حَارِسَ الدين؛ **فلا بد** للملك من أُسِّهِ، **ولا بد** للدين من حارسه: **فأما** مالا حارس له فضائع، **وما** لا أُسَّ له فمهدوم. **إِنَّ** رأس ما أخاف عليكم **مُبَادَرَةُ** السفلة إياكم إلى دراسة الدين وتأويله والتفقه فيه؛ **فتحملكم** الثقة بقوة الملك على التهاون بهم؛ **فَتَحْدُثُ** في الدين رياسات منتشرات سِرًّا فيمن قد وَتَرْتُمْ وجفوتم، وحرمتم وأَخَفْتُمْ، وصَغَّرْتُمْ من سفلة الناس والرعية، وحشو العامة، **ثم** لا تنشب تلك الرياسات **أَنْ** تُحْدِثَ خَرْقًا في الملك وَوَهْنًا في الدولة.

**واعلموا** أن سلطانكم **إنما** هو على أجساد الرعية لا على قلوبها! **وإن** غلبتم الناس على ما في أيديهم **فلن** تغلبوهم على ما في عقولهم وآرائهم ومكايدهم.

**واعلموا** أن العاقل المحروم **سَائِلٌ** عليكم لسانه؛ **وهو** أقطع سيفيه، **وإِنَّ** أَشَدَّ مَا يَضُرُّ بكم من لسانه **ما** صَرَفَ الْحِيلَةَ فيه إلى الدين؛ **فكان** للدنيا يحتج، **وللدين** فيما يُظْهِرُ يتعصب؛ **فيكون** للدين بكاؤه، **وإليه** دعاؤه، **ثم** هو أَوْجَدُ لِلتَّابِعِينَ والمصدقين والمناصحين والمؤازرين؛ **لأن** تَعَصُّبَ الناس مُوكَلٌ بالملوك، ورَحْمَتَهُمْ ومحبتهم موكلة بالضعفاء المغلوبين؛ **فاحذروا** هذا المعنى كل الحذر.

**واعلموا** أنه ليس ينبغي لِلْمَلِكِ أن يَعْرِفَ لِلْعُبَّادِ والنُّسَّاكِ **بأن** يكونوا أولى بالدين منه، **ولا** أَحْدَبَ عليه **ولا** أَغْضَبَ له، **ولا** ينبغي له أن يُخْلِيَ النُّسَّاكَ وَالْعُبَّادَ من الأمر والنهي في نُسُكِهِمْ وَدِينِهِمْ؛ **فإن** خروج النُّسَّاكِ وَغَيْرِهِمْ من الأمر والنهي

**عَيْبٌ** على الملوك وعلى المملكة، **وَثَلْمَةٌ** بَيِّنَةُ الضرر على الْمَلِكِ وعلى من بعده.

**واعلموا** أنه قد مضى قَبْلَنَا من أسلافنا ملوك **كان** الْمَلِكُ منهم يتعهد الحماية بالتفتيش، والجماعة بالتفضيل، والفراغ بالاشتغال: كتعهده جسده بقص فضول الشعر والظَّفَرِ، وغسل الدرن والْغَمَرِ، ومداواة ما ظهر من الأدواء وما بطن. **وقد** كان من أولئك الملوك **مَنْ** صِحَّةُ مُلْكِهِ أحبُّ إليه مِنْ صحة جسده؛ **فتتابعت** تلك الأملاك بذلك **كأنهم** مَلِكٌ واحد، **وكأن** أرواحهم روح واحدة: **يُمَكِّنُ** أَوَّلُهُمْ لآخرهم، **ويُصَدِّقُ** آخِرُهُمْ أَوَّلَهُمْ: **يجتمع** أبناء أسلافهم، ومواريث آرائهم، وثمرات عقولهم **عند** الباقي منهم بعدهم، **وكأنهم** جلوس معه يحدثونه ويشاورونه؛ **حتى** كأن على رأس دَارَا بْنِ دَارَا **ما** كان من غَلَبَةِ الإسكندر الرومي **على** ما غلب عليه من ملكه! **وكان** إِفْسَادُهُ أَمْرَنَا، وتَفْرِقَتُهُ جَمَاعَتَنَا، وتَخْرِيبُهُ عُمْرَانَ مملكتنا - **أَبْلَغَ** له فيما أراد من سفك دمائنا.

**فلما** أذن الله عز وجل في جمع مملكتنا، وإعادة أمرنا - **كان** مِنْ بَعْثِهِ إيانا ما كان. **وبالاعتبار** يُتَّقَى الْعِثَارُ؛ **والتجارب** الماضية دُسْتُورٌ يُرْجَعُ إليه من الحوادث الآتية.

**واعلموا** أن طباع الملوك **على** غير طباع الرعية والسُّوقَةِ؛ **فإن** الْمَلِكَ يُطِيفُ به الْعِزُّ، وَالْأَمْنُ، وَالسُّرُورُ، وَالْقُدْرَةُ على ما يريد، والأَنَفَةُ، وَالْجُرْأَةُ، وَالْعَبَثُ؛ **فإن** وجد في العمر تَنَفُّسًا، وفي الملك سلامة **ازداد** من هذه الطبائع والأخلاق **حتى** يُسْلِمَهُ ذلك إلى سُكْرِ السلطان **الذي** هو أشد من سُكْرِ الشَّرَابِ؛ **فينسى** النَّكَبَاتِ وَالْعَثَرَاتِ، وَالْغِيَرَ وَالدَّوَائِرَ، وفُحْشَ تَسَلُّطِ الأيام، وَلُؤْمَ غَلَبَةِ الدَّهْرِ؛ **فيرسل** يده بالفعل، ولسانه بالقول؛ **وعند** حسن الظن بالأيام تَحْدُثُ الْغِيَرُ، وتزول النعم.

**وقد** كان من أسلافنا وقدماء ملوكنا **مَنْ** يُذَكِّرُهُ عِزُّهُ الذُّلَّ، وَأَمْنُهُ الْخَوْفَ، وسُرُورُهُ الْكَآبَةَ، وقُدْرَتُهُ الْمَعْجَزَةَ؛ **وذلك** هو الرجل الكامل، **قد** جمع بهجة

الملوك، وفِكْرَةَ السُّوقَةِ؛ **ولا** كمال إلا في جمعها.

**واعلموا** أنكم سَتُبْلَوْنَ على المُلْكِ بالأزواج، والأولاد، والقرباء، والوزراء، والأخدان، والأنصار، والأعوان، والمتقربين، والندماء، والمضحكين؛ **وَكُلٌّ** هؤلاء -إلا قَلِيلًا- **أَنْ** يَأْخُذَ لِنَفْسِهِ **أَحَبُّ** إليه **مِنْ** أن يُعْطِيَ منها عَمَلَهُ؛ **وإنما** عَمَلُهُ سُوقٌ ليومه، وذخيرة لغده؛ **فَنَصِيحَتُهُ** للملوك **فَضْلُ** نصيحته لنفسه، **وغَايَةُ** الصَّلاح عنده صَلَاحُ نفسه، **وَغَايَةُ** الْفَسَادِ عنده فَسَادُهَا: **يُقِيمُ** للسلطان سوق المودة **ما** أقام له سوق الأرباح والمنافع!!

**إذا** استوحش الملك من ثِقَاتِهِ **أَطْبَقَتْ** عَلَيْهِ ظُلَمُ الْجَهَالَةِ. **أَخْوَفُ** ما يكون الْعَامَّةُ **آمَنُ** ما يكون الوزراء، **وآمَنُ** ما يكون العامة **أَخْوَفُ** ما يكون الوزراء.

**واعلموا** أَنَّ كَثِيرًا **مِنْ** وُزَرَاءِ الملوك **مَنْ** يُحَاوِلُ اسْتِبْقَاءَ دَوْلَتِهِ وأيامه **بإيقاع** الاضطراب، والخبط في أطراف مملكة الملك؛ **ليحتاج** الْمَلِكُ إلى رأيه وتدبيره! **فإذا** عرفتم هذا من وزير من وزرائكم **فاعزلوه**؛ فإنه يُدْخِلُ الْوَهَنَ والنقص على الْمَلِكِ والرعية؛ لصلاح حال نفسه! **ولا** تقوم نفسه بهذه النفوس كلها.

**واعلموا** أن بَدْءَ ذهاب الدولة **ينشأ** من قِبَلِ إهمال الرعية بِغَيْرِ أَشْغَالٍ معروفة، **ولا** أعمال معلومة؛ **فإذا** نَشَأَ الْفَرَاغُ تَوَلَّدَ مِنْهُ النَّظَرُ في الأمور، والفِكْرُ في الفروع والأصول.

**فإذا** نظروا في ذلك **نظروا** فيه بطبائع مختلفة؛ **فَتَخْتَلِفُ** بهم المذاهب، **ويتولد** من اختلاف مذاهبهم تعاديهم وتضاغنهم، **وهم** مع اختلافهم هذا متفقون ومجتمعون على بُغْضِ الملوك! **فَكُلٌّ** صنف منهم **إِنَّمَا** يجري إلى فجيعة الْمَلِكِ بِمُلْكِهِ! **ولكنهم** لا يجدون سُلَّمًا إلى ذلك أَوْثَقَ من الدِّينِ والناموس!.

**ثم** يتولد من تعاديهم **أَنَّ** الْمَلِكَ لا يستطيع جَمْعَهُمْ على هوى واحد.

**فإن** انفرد باختصاص بعضهم **صار** عَدُوَّ بَقِيَّتِهِمْ؛ **وفي** طباع العامة اسْتِثْقَالُ الْوُلَاةِ ومَلَالُهُمْ، والتَّفَاسَةُ عليهم، والْحَسَدُ لهم.

**وفي** الرعية: المحروم، والمضروب، والمقام عليه الحدود؛ **ويتولد** مِنْ كَثْرَتِهِمْ مَعَ عَدَاوَتِهِمْ **أَنْ** يَجْبُنَ الْمَلِكُ عن الإقدام عليهم؛ **فَإِنَّ** فِي إِقْدَامِ الْمَلِكِ على الرَّعِيَّةِ كُلِّهَا كَافَّةً **تَغْرِيرًا** بِمُلْكِهِ؛ **وَيَتَوَلَّدُ** مِنْ جُبْنِ الْمَلِكِ عن الرعية استِعْجَالُهُمْ عليه؛ **وهم** أقوى عدو له، وأَخْلَقُهُ بالظفر؛ **لأنه** حاضر مع الْمَلِكِ في دار ملكه.

**فمن** أفضى إليه الْمُلْكُ بعدي **فلا** يكونن بإصلاح جسده **أَشَدَّ** اهتماما منه بهذه الحال، **ولا** يَكُونَنَّ لشيء من الأشياء **أَكْرَهَ** وأَنْكَرَ لرأس صار ذَنَبًا، وذَنَبٍ صار رَأْسًا، ويَدٍ مَشْغُولَةٍ صارت فارغة، **أو** غَنِيٍّ صار فقيرًا، **أو** عَامِلٍ مَصْرُوفٍ، **أَوْ** أَمِيرٍ مَعْزُولٍ.

**واعلموا** أَنَّ سِيَاسَةَ الْمُلْكِ وحِرَاسَتَهُ **أَلَّا** يَكُونَ **ابْنُ** الْكَاتِبِ **إِلَّا** كَاتِبًا، **وَابْنُ** الجندي **إلا** جُنْدِيًّا، **وابْنُ** التاجر **إلا** تَاجِرًا، **وهكذا** في جميع الطبقات؛ **فإنه** يتولد مِنْ تَنَقُّلِ النَّاسِ عن حالاتهم **أَنْ** يَلْتَمِسَ كُلُّ امرئٍ منهم فوق مرتبته؛ **فإذا** انْتَقَلَ أوشك **أَنْ** يرى شيئًا أَرْفَعَ مما انتقل إليه؛ **فَيَحْسُدَ** أو يُنَافِسَ؛ **وفي** ذلك من الضرر المتولد **ما** لا خفاء به.

**فَإِنْ** عَجَزَ مَلِكٌ منكم عن إصلاح رعيته **كما** أوصيناه - **فلا** يكن للقميص الْقَمِلِ **أَسْرَعَ** خَلْعًا منه لِمَا لَبِسَ **مِنْ** قَمِيصِ ذَلِكَ الْمُلْكِ.

**واعلموا** أنه ليس لِلْمَلِكِ أن يَحْلِفَ؛ **لأنه** لا يقدر أحد على استكراهه، **وليس** له أن يغضب؛ **لأنه** قَادِرٌ؛ **وَالْغَضَبُ** لِقَاحُ الشَّرِّ وَالنَّدَامَةِ، **وليس** له أن يعبث ويلعب؛ **لأن** اللعب والعبث من عمل الفراغ، **وليس** له أن يَفْرُغَ؛ **لأن** الفراغ من أمر السُّوقَةِ، **وليس** لِلْمَلِكِ أن يَحْسُدَ أحدًا **إلا** على حسن التدبير، **وليس** له أن يخاف؛ **لأنه** لا يَدَ فوق يَدِهِ.

**واعلموا** أنكم لن تقدروا على أن تختموا أفواه الناس: **مِنَ** الطَّعْنِ، وَالْإِزْرَاءِ عليكم، **ولا** قُدْرَةَ لَكُمْ على أن تجعلوا القبيح من أفعالكم حَسَنًا؛ **فاجتهدوا** في أن

تَحْسُنَ أَفْعَالُكُمْ كُلُّهَا، **وَأَلَّا** تَجْعَلُوا للعامة إلى الطعن عليكم سَبِيلًا.

**واعلموا** أن لباس المَلِكِ ومَطْعَمَهُ ومَشْرَبَهُ **مقاربٌ** للباس السُّوقَةِ ومطعمهم، **وليس** فَضْلُ المَلِكِ على السُّوقَةِ **إلا** بقدرته على اقتناءِ المَحَامِدِ، واستفادةِ المكارمِ؛ **فإن** الْمَلِكَ إذا شاء أحسن، **وليس** كذلك السُّوقَةُ.

**واعلموا** أَنَّ لكل مَلِكٍ بِطَانَةً، **ولكل** رجل من بطانته بِطَانَةً، **ثم** إِنَّ لكل امرئ من بِطَانَةِ الْبِطَانَةِ بِطَانَةً؛ **حتى** يجتمع من ذلك أهل المملكة؛ **فإذا** أقام الْمَلِكُ بِطَانَتَهُ على حال الصواب فيهم **أقام** كُلُّ امرئ منهم بِطَانَتَهُ **على** مثل ذلك، **حتى** يجتمع على الصلاح عامة الرعية.

**احذروا** بابًا وَاحِدًا طَالَمَا أَمِنْتُهُ فَضَرَّنِي، وحَذِرْتُهُ فنفعني: **احذروا** إفشاء السر بحضرة الصغار من أهليكم وخدمكم.

**واعلموا** أن في الرعية صنفًا **أَتَوُا** الْمَلِكَ من قِبَلِ النصائح له، **وَالْتَمَسُوا** إصلاح منازلهم بإفساد منازل الناس؛ **فأولئك** أعداء الناس وأعداء الملوك؛ **ومَنْ** عادى الملوكَ والناسَ كُلَّهُمْ **فقد** عادى نفسه.

**واعلموا** أن الدهر حاملكم على طبقات: **فمنها** حال السخاء **حتى** يَدْنُوَ أحدُكُمْ مِنَ السَّرَفِ، **ومنها** حال التبذير **حتى** يَدْنُوَ من البخل، **ومنها** حالُ الأَنَاةِ **حتى** يَدْنُوَ من البلادة، **ومنها** حال انتهاز الفُرْصَةِ **حتى** يَدْنُوَ من الْخِفَّةِ، **ومنها** حال الطلاقة في اللسان **حتى** يَدْنُوَ من الهَذَرِ، **ومنها** حال الأخذ بِحِكْمَةِ الصَّمْتِ **حتى** يَدْنُوَ من الْعِيِّ؛ **فَالْمَلِكُ** منكم جدير أَنْ يَبْلُغ **مِنْ** كُلِّ طبقة في محاسنها حَدَّهَا؛ **فإذا** وقف عليه **أَلْجَمَ** نفسه عَمَّا وَرَاءَهَا.

**واعلموا** أن ابن الْمَلِكِ وأخاه وابن عمه **يقول:** كِدْتُ أَكُونُ مَلِكًا؛ وبالْحَرِيِّ أَلَّا أَمُوتَ حتى أكون مَلِكًا؛ **فإذا** قال ذلك **قال** ما لا يَسُرُّ المَلِكَ، **وإن** كتمه **فالدَّاءُ** في كل مكتوم، **وإذا** تمنى ذلك **جعل** الفسادَ سُلَّمًا إلى الصلاح، **ولم** يكن

الفسادُ سُلَّمًا إلى صلاح قط.

[**ولا يصلح** لِلْمُلْكِ] **إلا** كَامِلٌ غَيْرُ سخيف العقل، **ولا** عَازِبُ الرأي، **ولا** نَاقِصُ الْجَوَارِح، **ولا** مَطْعُونٌ عليه في الدين؛ **فإنكم** إذا فعلتم ذلك **قَلَّ** طُلَّابُ الْمُلْكِ؛ **وإذا** قَلَّ طُلَّابُهُ **استراح** كُلُّ امرئ إلى ما يليه، **ونزع** إلى حَدٍّ يليه، **وعرف** حاله، **ورضي** معيشته، **واستطاب** زمانه.

**ونختمها** بمختارات من حكم الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة:

**الْكَذِبُ** علةٌ تُوجِبُ سوء الظن. **الإيمان** كله حَسَنٌ، وأحسنه الصبر. **العصيان** كله قبيح، وأقبحه الجزع. **لكل** شيء آفةٌ، وَآفةُ المروءة سوء الخُلُقِ. **الحصون** أوتاد الممالك. **خَنَادِقُ** الجنودِ الْحَرَسُ. **الغلول** يؤدي إلى الحرمان. **البَطَرُ** يؤدي إلى الخذلان. **شُكْرُ** النعمةِ يؤدي إلى المزيد. **خَيْرُ** الجيوش ما قل حَشْوُهُ، **ولم** تتنازع أُمَرَاؤُهُ. **خيرُ** الفُرْسَانِ **مَنَ** عَطَفَ عند الجولة، **وحاذر** قبل الصَّوْلَةِ. **خيرُ** الإخوان **المواسي** في الشدائد. **خيرُ** الوزراء **مَنْ** عَمَّ نفعه، وَآتَسَعَ ذَرْعُهُ. **مصاحبة** الأرذال تؤدي إلى سقوط المنازل. **حُبُّ** اللئام **يهدم** مآثر الكرام. **مصاحبةُ** أهل الرفعة **تؤدي** إلى الرفعة. **خير** الأموال **ما** نفع الأقارب، **وضر** المحارب. **شَرُّ** البدع **ما** عارض السنة، **وشر** الوُلَاةِ مَنْ تهاون بِالْكُفَاةِ. **وَخَيْرُ** الأمراءِ **مَنِ** انتخب الوزراء. **سلطان** الحق أشد من سلطان الباطل؛ **لأن** أحكامه لا يجوز فيها التبديل **ولا** يُقْبَلُ عنها الفداء. **أساس** الحكمة العقل، ورأسها الورع، ومادتها الفكر، وآيتها الخشية. **الكَرَمُ** شجرة أصلها الحياء، **والحياء** شجرة أصلها العقل. **وقلة** الحياء شجرة أصلها الجهل. **ليس** العاجز مَنْ يترك ما لا يقدر عليه. **العاجزُ** مَنْ تَرَكَ ما يمكنه. **أقبح** الحرمان حرمان ذي الرحم، **أو** مُسْدِي صنيعة. **وأقبح** الجبن ما كان مِنْ نظيرك. **وأقبح** الشُّحِّ شُحُّ الغني. **وأقبح** الرياء رياءُ العَالِمِ. **وأقبح** النفاق نفاق القادر. **وأقبح** العشق عشق الشيخ. **وأقبح** الجهل جهل الشريف. **وأحسن** العفو ما كان عمن هو دونك.

**العدل** أساس الدين؛ **لأنه** لا دين لمن لا عدل له، **وقد** يقع العدل ممن لا دين له كالمشركين؛ **فإن العدل** يستغني بنفسه عن الدين، **والدِّينُ** لا يستغني بنفسه عن العدل؛ **فانظر** إلى مَحَلِّهِ ما أرفعه، وَقَدَمِهِ ما أرسخه!

**الرعية** أساس السلطان. **الوالي** المهين يُسْقِطُ هيبة السلطان القوي. **الحزم** هو الاحتراز مما يقضي العقل بوقوعه لولا الاحتراز. **الفشل** هو تجويز ما لا يقضي العقل بوقوعه في غالب الأحوال. **إكرامُ** الكريم يقوي الداعي إلى الكرم، **وتعظيم** اللئيم يُغْرِي باللؤم. **رحمة** الظالم ظلم، **وَنَهْرُ** الضعيف تَجَبُّرٌ، **ومحاباة** فاعل المنكر إغراء له بفعله.

**معاجلة** الضر قبل استحكام الأمر فَشَلٌ، **وإكثار** الكلام من غير إصابة غَيٌّ. **ما** غَلَبْتُ الجليل بِمِثْلِ الجميل. **ما** ساد حقود، **ولا** جاد كنود، **ولا** استراح حسود. **أحسن** خصال البر الرجوع إلى الحق. **كم** من ظالم لم يتجاوز ظلم نفسه، **وكم** من عادل لم يعدل إلا في نفسه. **الجهل** حيلة الشيطان. **والتواضع** قاعدة الإيمان. **أبخل** الناس مَنْ ترك الحقوق. **حاجة** السلطان إلى الرعية أعظم من حاجة الرعية إلى السلطان؛ **لأنه** يوجد رعية لا سلطان لها، **ولا** يوجد سلطان لا رعية له. **العافية** أصل لطيب كل طَيِّبٍ. **مَنْ** زرع الشر **حصد** الندامة. **مَنْ** نام على الخوف **أمكن** من نفسه. **أصل** الهزائم اختلاف الأهواء. **الرُّعْبُ** جند السعداء. **أَشَرُّ** مِنَ الشَّرِّ شماتة الأعداء. **المهزوم** مذموم. **كم** ينغمر في أثناء الحق مِنَ الباطل! **الشجاع** محمود ولو كان على ضلالة. **الملل** أقوى أسباب زوال الدول. **الإهمال** لا ينمو معه المال. **المَطْلُ** أحد أنواع الفقر. **التبذير** أقوى أسباب الفقر. **الهلاك** ثمرة الجهل. **كُفْرَانُ** الصنيع يُزَهِّدُ في أمثاله. **تصغير** النعمة نوع من الكفران. **عذر** القادر مقبول على كل حال. **المُدِلُّ** على السلطان كالذي يجرب السم بنفسه. **لا** تقوم الضلالات **إلا** بأرباب الجهالات. **لو** كان الجور صورة **لكان** من أقبح الصور، **ولو** كان العطاء صورة **لكان** يُوسُفَ البشر. **الأعمال** ثمرات الأفكار. **إذا** كثرت النعم صغرت كبارها. **الطمع** ينافي المروءة.

**حاجة** الملك إلى حسن السياسة **أكثر** من حاجته إلى القوة. **النصيحة** أصل لصلاح الدين والدنيا. **كل** سلطان يجور على رعيته **فهو** مُتَبَّرُ الرأي، مقطوع الظهر، قليل عمر العز. **مِنَ** التعذير طلب الحاجة في غير وقتها. **مَنْ** لم يهتم بصغير العدو **لم** يضطلع بكبيره. **معاتبة** الجاهل كالذي يناطح الجبل. **الحزم** أنفع من الشجاعة. **قطع** المعروف خراب الدول. **الدعاء** جُنْدٌ لا يُغْلَبُ: **رِزْقُهُ** الإخلاص، **وَكُرَاعُهُ** وسلاحه حُسْنُ الرجاء في الله؛ **يقطع** المسافات البعيدة في لمح البصر. **البخل** أساس الذل. **الجود** أساس العز. **رب** حِفْظٍ يؤدي إلى ضياع. **الجهل** بحر لا ينجو مَنْ ركبه. **العلم** سفينة عاصمة. **الكذاب** يُهَوِّنُ الشديد، **ويقرب** البعيد، **ويخفف** الثقيل، **ويصحح** المستحيل. **المخاطرة** بالمعروف أولى من المخاطرة بضياعه. **الشهوات** حتف أموال السلاطين. **مَنْ** أصاب الرأي وقبل رأي المصيب **أصاب** من جهتين. **مَنْ** أخطأ الرأي ولم يقبل رأي المصيب **أخطأ** من جهتين. **الخيانة** خراب. **الأمانة** عمران. **مَنْ** كان عقله أكبر من قدرته **زانته** قدرته، **وإلا** فهي شَيْنٌ أو هلاك. **مَنْ** كان عقله أَكْثَرَ من ماله **دامت** نعمته في الحالات. **مَنْ** كان ماله أَكْثَرَ من عقله **افتقر** في أسرع الأوقات. **مَنْ** كان عقله أَكْثَرَ من شجاعته **غلب** الأقران، **وهزم** الشجعان. **مَنْ** كانت شجاعته أَكْثَرَ من عقله **شرب** الذل بِالدِّنَانِ، **وصار** فريسة لأحداث الزمان. **مَنْ** كان علمه أكثر من عقله **كان** مسخرة لأهل العقول، **مَنْ** كان عقله أكثر من علمه **فهو** من ورثه الرسول.

**بركوب** الأخطار تُقْضَى الأوطار. **ببذل** الأموال **تبلغ** الآمال. **مستحق** الرئاسة **يَبْتَدِؤُهَا** من أساسها، **وغير** مستحقها يَبْتَدِؤُهَا من رأسها، **وأساسها** اللين والبذل، **ورأسها** الأخذ والقتل. **مَنْ** عصى اللبيب العارف اجترفه الجارف. **مِنَ** العناء تكلف الفقراء حالة الأغنياء. **ما** نام مَنِ استيقظ جَدُّهُ. **ما** أصاب من غاب رشده. **نَمْ** على الشوك، **ولا** تنم على الخوف. **أساس** الطاعة الحياء. **أساس** المعاصي الكذب. **عِظَمُ** الأحداث **دليل** على زوال الدول.

**هذا** ما ذكرنا من وصايا حكماء العرب، **ووصايا** أكثر ملوك الفرس وأعظمهم

حِكْمَةً، **ومختارات** الإمام الفحل عبدالله بـن حمـزة **لِتُـضَمَّ** إلى وصـايا أمـير المـؤمنين؛ **فيحصل** منها وصايا الدين والدنيا؛ **فإن** وصايا أمير المؤمنين عليه السلام: الدِّينُ عَلَيْهَـا أَغْلَـبُ، ووصايا هؤلاء: الدنيا عليها أغلب؛ **فإذا** أخذ مَنْ أَخَذَ التَّوْفِيقُ بيـده بمجمـوع ذلـك **فقد** سعد؛ **ولا** سعيد **إلا** من أسعده الله.

**أقول:** والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها **فهو** أحق بها، **وهاهم** طلاب المعرفة والتفوق يذهبون إلى أقاصي الدنيا شرقًا وغربًـا؛ لاكتـساب العلـوم والمعـارف، **لا حرج** من اختلاف دين، **ولا** لغة، **ولا** عادة، **ولا** ثقافة؛ **ونحن** نتناقل: «اطْلُبُـوا الْعِلْمَ وَلَوْ فِي الصِّينِ»؛ **وهذا** العهد الشريف، **ومـا** تـشرفت بجمعـه: مـن آداب، ونصائح، وخواطر- **كنز** نفيس، ومعدن ثمين، **ينفع** الموفقين، **ويرشد** الصالحين، **وينوِّرُ** درب المجاهدين بإذن الله وتوفيقه وعونه.

**تقبل الله منَّا، وبَصَّرَنَا بعيوبنا، وألحقنا بالصالحين.**

صباح السبت 26 جمادى الأولى 1432هـ، 30/ 4/ 2011م بني أسد -حجه 15رمضان 1432هـ الموافق 15/ 8/ 2011م

**تمت** المراجعة ليلة الجمعة 16/ ذي القعدة/ 1432هـ- 13/ 10/ 2011م.

**ولحقت** مراجعة أخرى اكتملت يـوم الجمعـة أول أيـام شـهر ذي الحجـة الحـرام 1432هـ- 28/ 10/ 2011م، **ثم** مراجعة أخـيرة يـوم الاثنـين16/ محـرم/ 1433هـ الموافق 12/ 12/ 2011م- صنعاء مركز بدر العامر.

**والحمد** لله رب العالمين، **وصلى** على محمـد وآلـه، **وبـارك** الله في الأنامـل التـي ساعدتني في إكمال هذا البحث.

**أعيد** مراجعته للطبعة الثانية ظهر يوم الاثنين 23ذي الحجة1434هـ الموافـق 28/ 10/ 2013م.

# المصادر والمراجع


1. **أخبار فخ:** لأحمد بن سهيل الرازي.

2. **أسد الغابة في معرفة الصحابة**: لأبي الحسن علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير، تحقيق الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود- دار الكتب العلمية- بيروت- (1994م).

3. **أصول الأحكام:** الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان(ت:566هـ)، تحقيق: د. المرتضى بن زيد المحطوري- مكتبة بدر-2004م.

4. **أعيان الشيعة:** للسيد محسن الأمين – دار التعارف للمطبوعات – بيروت – (1406هـ – 1986م).

5. **الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان:** محمد بن حبان البستي – مؤسسة الرسالة- ط2(1414هـ-1993م).

6. **الأحكام:** للإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين – مكتبة التراث الإسلامي – ط1.

7. **الاستيعاب**: لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر القرطبي – دار الكتب العلمية – بيروت- (1415هـ – 1995م).

8. **الإصابة في تمييز الصحابة:** لابن حجر العسقلاني – دار الكتاب العربي – بيروت (1359هـ).

9. **الأعلام**: لخير الدين الزركلي – دار العلم للملايين – الطبعة السادسة- بيروت.

10. **الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء:** لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي -عالم الكتب -ط1.

11. **الأمالي الخميسية**: للإمام المرشد بالله يحيى بن الحسين بن إسماعيل الشجري- الطبعة الثالثة – عالم الكتب 1403هـ – 1983م .

12. **البحر الزخار المعروف بمسند البزار:** للحافظ الإمام أبي بكر أحمد بن عمر بن عبدالخالق العتقي البزار (ت:292هـ) -مكتبة العلوم والحكم -المدينة المنورة- ط(1424هـ-2003م).

13. **البداية والنهاية**: لأبي الفداء إسماعيل بن كثير- دار إحياء التراث العربي- بيروت- (1383هـ- 1964م).

14. **الجامع الصحيح:** لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: كمال الحوت – دار الكتب العلمية- ط1 (1408هـ – 1987م).

15. **الجامع الصحيح:** مسلم بن الحجاج- دار الفكر العربي – الطبعة الأولى 1407هـ – 1987م.

16. **الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي:** للإمام يحيى بن حمزة (ت:749هـ) -تحقيق: خالد بن قاسم بن محمد المتوكل -مؤسسة الإمام زيد بن علي -ط1(1424هـ-2003م).

17. **السيرة الحلبية:** لعلي بن برهان الدين الحلبي -دار الفكر -بيروت.

18. **السيرة النبوية**: لابن كثير -دار إحياء التراث.

19. **السيرة النبوية:** لابن هشام -مطبعة البابي الحلبي -ط( 1355هـ - 1963م).

20. **الطبقات الكبرى:** لابن سعد - دار الفكر .

21. **العقد الفريد**: لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي- دار الكتاب العربي- (1403هـ-1983م).

22. **القاموس المحيط:** مجدالدين محمد الفيروزآبادي- مؤسسة الرسالة بيروت - ط2(1407هـ- 1987م).

23. **المجموع الفقهي والحديثي:** للإمام زيد بن علي عليه السلام - مؤسسة الإمام زيد- ط1(1422هـ-2002م).

24. **المستدرك على الصحيحين:** للحافظ أبي عبدالله الحاكم- دار الكتاب العربي - بيروت - 1335هـ .

25. **المصنف:** لابن أبي شيبة - دار التاج- الطبعة الأولى 1409هـ - 1989م .

26. **المصنف:** للحافظ أبي بكر عبدالرزاق الصنعاني -تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي - المكتب الإسلامي - الطبعة الثانية 1403هـ - 1983م.

27. **المعجم الأوسط:** للطبراني -منشورات دار الحرمين 1415هـ - 1995م.

28. **المعجم الكبير:** للطبراني. تحقيق: حمزة عبدالمجيد- الزهراء الحديثة 1984م .

29. **الموطأ:** للإمام مالك بن أنس الأصبحي - دار الريان للتراث - القاهرة- ط1(1408هـ- 1988م).

30. **تاج العروس من جواهر القاموس:** للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي.

31. **تأريخ الإسلام، ووفيات المشاهير والأعلام**: للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت:748هـ) -تحقيق: د. عمر عبدالسلام تدمري- دار الكتاب العربي- بيروت- ط2(1418هـ-1998م).

32. **تأريخ البخاري الكبير**: لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري -دار الكتب العلمية -بيروت - لبنان (1407هـ -1986م).

33. **تأريخ الطبري**: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم- دار التراث بيروت - ط3 (1387هـ - 1967م).

34. **تأريخ اليعقوبي:** لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي، تحقيق: عبدالأمير مهنا- مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- ط1(1413هـ -1993م).

35. **تأريخ بغداد:** للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي- دار الفكر .

36. **تأريخ دمشق:** لابن عساكر - دار الفكر - الطبعة الأولى 1415هـ - 1995م.

**37. تسير المطالب في آمالي أبي طالب:** للإمام أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني -مؤسسة الإمام زيد -ط1(1422هـ - 2002م).

**38. تهذيب الكمال في أسماء الرجال:** الحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الأولى 1408هـ - 1988م.

**39. جامع الأحاديث (الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير):** للسيوطي-تحقيق: عباس أحمد صقر، أحمد عبد الجواد - دار الفكر بيروت- 1994م - 1414هـ.

**40. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء:** لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني-تحقيق: مصطفى عطاء -دار بيضون- الطبعة الأولى 1418هـ - 1997م.

**41. خصائص أمير المؤمنين علي:** للنسائي - دار الكتاب العربي - بيروت- ط1(1407هـ- 1987م).

**42. سنن ابن ماجة:** لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني. تحقيق: محمد عبدالباقي. دار الكتب العملية -بيروت.

**43. سنن أبي داود:** لسليمان بن الأشعث -إعداد: عزة الدعاس، وعادل السيد- دار الكتب العلمية -ط1(1388هـ).

**44. سنن البيهقي:** لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي - دار المعرفة - بيروت - (1413هـ - 1992).

**45. سنن النسائي:** تحقيق: أبي غدة - دار البشارة الإسلامية- بيروت - ط2(1406هـ - 1986م).

**46. سير أعلام النبلاء:** لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي - مؤسسة الرسالة - ط4(1406هـ - 1986م).

**47. شرح التجريد في فقه الزيدية:** للإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني- مركز التراث والبحوث اليمني، تحقيق: محمد يحيى سالم عزان، وحميد جابر عبيد- ط1(2006م).

**48. شرح معاني الآثار:** لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي . تحقيق: محمد زهري النجار، ومحمد سيد جاد الحق- عالم الكتب- الطبعة الأولى 1414هـ - 1994م .

**49. شرح نهج البلاغة:** لعبدالحميد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد -تحقيق: حسن تميم -دار مكتبة الحياة -بيروت- (1963م).

**50. شعب الإيمان:** للبيهقي -تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد- دار الكتب العلمية- ط1(1410هـ-1990م)

**51. شفاء الأُوام:** للأمير الحسين بن بدر الدين - جمعية علماء اليمن - ط1(1416هـ-1996م).

**52. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل:** للحافظ عبيدالله بن عبدالله بن أحمد الحاكم الحسكاني -تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي -مؤسسة الأعلمي للمطبوعات -ط1(1393هـ-1974م).

**53. صحيح البخاري:** لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري. تحقيق: مصطفى البغا - دار ابن كثير - ط3 (1407هـ - 1987م).

**54. فتح الباري شرح صحيح البخاري:** للحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني- دار الفكر.

**55. فتوح البلدان**: لأحمد بن يحيى البلاذري، تحقيق: عبدالله الطباع، وعمر الطباع- مؤسسة المعارف- (1407هـ-1987م).

**56. في ظلال نهج البلاغة:** لمحمد جواد مغنية -دار العلم للملايين -بيروت -ط3(1979م).

**57. كفاية الطالب مناقب علي بن أبي طالب:** لأبي عبدالله محمد بن يوسف القرشي الكنجي الشافعي -المطبعة الحيدرية -النجف -ط2(1390هـ-1990م)

**58. كنْز العمال في سنن الأقوال والأمثال:** للعلامة علاء الدين المتقي الهندي - مؤسسة الرسالة- بيروت 1409هـ - 1989م.

**59. لسان الميزان**: للإمام أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)- منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت- لبنان- ط2(1390هـ-1971م)- ط3(1406-1986م).

**60. مآثر الأبرار:** محمد بن علي الزحيف - مؤسسة الإمام زيد بن علي - ط1( 1423هـ - 2002م).

**61. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:** للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - دار الكتاب العربي- الطبعة الثالثة 1407هـ -1987م -بيروت.

**62. مسند أبي يعلى الموصلي**- دار الثقافة العربية- الطبعة الثانية 1413هـ- 1993م.

**63. مسند أحمد بن حنبل**: تحقيق: صدقي العطار - دار الفكر - بيروت - ط2(1414هـ-1994م).

**64. مسند الحميدي:** لعبدالله بن الزبير الحميدي -تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي -عالم الكتب.

**65. معجم مقاييس اللغة:** لأبي الحسين أحمد بن فارس-مكتبة إحياء التراث العربي (1422هـ-2001م).

**66. مقاتل الطالبيين:** لأبي الفرج علي بن أحمد الأصفهاني- دار إحياء الكتب العربية -(1413هـ - 1994م).

**67. مناقب الإمام علي بن أبي طالب:** لأبي الحسن علي بن محمد الشافعي الشهير بابن المغازلي ط2(1412هـ-1992م).

**68. نهج البلاغة:** لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام- الطبعة الأولى- دار المعارف.

**69. وفاء الوفاء**: لعلي بن أحمد السمهودي - دار التراث العربي -ط 4.

# الفهرس


مقدمة ---------- 5

أهمية عهد الإمام علي للأشتر: ---------- 9

ترجمة مالك الأشتر ﷺ: ---------- 13

عهد الإمام علي ﷺ لمالك الأشتر ﷺ ---------- 15

أهداف الحكم الإسلامي ---------- 16

[معاملة الحاكم مع نفسه وربه] ---------- 24

[الاستفادة من أخطاء الولاة السابقين]---------- 31

[علاقة الحاكم بالرعية]---------- 32

[الإنصاف والوسطية] ---------- 45

[مبدأ الشورى وصفات المستشارين ] ---------- 52

[حسن الظن بالرعية] ---------- 65

[طبقات الرعية والعلاقة فيما بينها] ---------- 71

[المؤسسة العسكرية وصفة رجالها] ---------- 81

رسالة الإسكندر إلى أرسطو ، وَرَدُّ أرسطو عليه ---------- 92

[ صفات القضاة ] ---------- 95

[صفات العمال في المناصب والوظائف العامة] ----------111

[الواجب نحو العمال] ---------- 114

[جباية أموال الدولة وتنمية مواردها] ---------- 117

[ اختيار الْكُتَّابِ ] ---------- 127

[الكتّاب وما يلزمهم من الآداب] ---------- 130

[ذِكْرُ مَا نَصَحَتْ بِهِ الأَوَائِلُ الْوُزَرَاءَ]---------- 131
[علاقة الحاكم بالتجار] ---------- 133
[وصية الإمام علي عليه السلام بالطبقة السفلى]---------- 139
[القيام بالفرائض] ---------- 147
[النهي عن الاحتجاب] ---------- 148
[ذِكْرُ الْحِجَابِ، وَمَا وَرَدَ فِيهِ مِنَ الْخَبَرِ وَالشِّعْرِ] ---------- 150
[معاملة الوالي لِخَاصَّتِهِ، وبطانته، وحاشيته]---------- 153
[قبول الصلح والحذر فيه]---------- 162
[فصل فيما جاء في الحذر من كيد العدو]---------- 163
[سَفْكُ الدِّمَاءِ سَبَبُ زَوَالِ الدُّوَلِ] ---------- 166
[نصائح فيما ينبغي للوالي اجتنابه]---------- 167
ذِكْرُ بعض وصايا العرب ---------- 175
ومن كتاب أردشير بن بَابِكَ إلى بنيه والملوك من بعده: ---------- 179
المصادر والمراجع ---------- 188
**الفهرس----------192**